الخطب الجامعة
زاد الواعظ والداعية
الجزء الأول

إسماعيل محمد القاسم
عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية
إمام وخطيب جامع الصديق بالرياض

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فيوم الجمعة يوم عيد المسلمين الأسبوعي؛ وقد شرع الله فيه خطبة تقرب العباد إلى الله، قال ابن القيم -رحمه الله-: "ومن تأمل خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- وخطب أصحابه وجدها كفيلاً ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب -جل جلاله-، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه -تعالى- التي تُحببه إلى خلقه، وأيامه التي تُخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يجيبهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحبه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكروه ما يجيبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم".

وقد جمعتُ المجموعة الأولى من الخطب التي ألقىتها في جامع خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- بمدينة الرياض، لفترة تزيد على عقد من الزمان. وقد بلغت تسعين (٩٠) خطبة، وسميتها "الخطب الجامعة"، أوجزت فيها ما يحتاج إلى إيجاز، وبيّنت ما يلزم إلى بيان دون إسهاب.

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين، وأن يجعلها ذخراً لنا في الآخرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أركان الإسلام وأركان الإيمان

أهمية الشهادتين

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمُدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله -عباد الله- حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّهَا المسلمون: خَلَقَ اللَّهُ الثَّقَلَيْنِ لِعِبَادَتِهِ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، وَاهْتَمَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِهَذَا الشَّأْنِ غَايَةَ الْإِهْتِمَامِ، وَبَيَّنَّ ضَرَرَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا سَبَبُ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْخُلُودِ فِي نَارِ الْآخِرَةِ، فَغَالِبَ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِمَّا صَرِيحَةٌ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَإِمَّا مُتَضَمِّنَةٌ لَهُ، كَمَا فِي ذِكْرِ أَحْوَالِ الْهَالِكِينَ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، أَوْ أَفْرَادٍ كَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ، وَقَدْ كَانَ سَبَبُ هَلَاكِهِمْ مَخَالَفَتَهُمْ لِدَعْوَةِ رَسُلِهِمْ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-.

ويظهر حرص رسل الله -عليهم السلام- في دعوة أقوامهم لتوحيد الله في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم بقولهم: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٥٩].

وقد أبرز القرآن الكريم ذكر حالِ إمام الحنيفة إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وقومه في أكثر من سورة في القرآن الكريم؛ كما في قوله -تعالى-: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) [الشعراء: ٦٩-٧٣].

ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- دعا قومه لتوحيد الله ثلاثة عشر عامًا قبل هجرته، وبعد هجرته قاتلهم عليها كما قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله" (متفق عليه).

وأرسل -صلى الله عليه وسلم- رسله إلى الأقطار بذلك، كما في بعثه لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- إلى اليمن فقال: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله" (متفق عليه)، وعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- صغار الصحابة -رضي الله عنهم- ذلك، كما في قوله لعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "إذا استعنت فاستعن بالله" (رواه الترمذي).

وفي الشدائد والملمات يتأكد ذلك، ففي غزوة بدر، لحق رجل من المشركين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ففي صحيح مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها-: "أن رجلاً يُذكر منه جُرأةٌ ومُجْدَة، فردّه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: "ارجع فلن أستعين بمشرك"، وعرض عليه ثانية وثالثة، والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول ذلك حتى أسلم، فقَبِلَه"، وفي غزوة أُحد حين رأى موالي يهود لعبدالله بن أبي بن سلول يريدون مناصرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فردّهم وقال: "فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين" (رواه مسلم).

قال ابن تيمية -رحمه الله- في حقيقة التوحيد: "أن تعبد الله وحده، فلا يُدعى إلا هو ولا يُخشى إلا هو، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا تتخذ الملائكة والنبیین أرباباً فكيف بالأئمة والشيوخ والملوك وغيرهم؟!".

ولأهمية إفراد الله بالعبادة، قد مثَّل الله -سبحانه- بالكلمة الطيبة -أي كلمة التوحيد- بشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن، ولها فرع عالٍ وهي ثابتة في قلب ثابت: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [إبراهيم: ٢٧]؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

وقد رَغِبَ النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثواب من أخلص قلبه وقالبه من أجل تحقيق عبادة الله وحده، فعن عبادة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" (رواه البخاري).

ولعظم جزاء من حقَّق التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشُرُ عليه تسعة وتسعين سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مثل هذا، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كَتَبْتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخْرِجُ بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تُظلم قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثَقُلَتِ البطاقة، ولا يثقلُ مع اسم الله شيء" (رواه الحاكم).

وتوحيد الله سببٌ في رفع الكروب، قال ابن القيم -رحمه الله-: "ما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد،

ودعوة ذي النون - التي ما دعا بها مكروب إلا فرّج الله كربته - بالتوحيد، فلا يُلقَى في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجّي منها إلا التوحيد، فهو مفرغ الخليقة وملجؤها وحصنها وغياتها".
وكلمة التوحيد هي سبب لدخول الجنة و"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" (رواه أبو داود).

و ضد ذلك ما حدّر الله منه، وهو الشرك، وبين عاقبته في الدنيا والآخرة، سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين - أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك"، وقال في الحديث القدسي: "من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" (رواه مسلم)، وأول وصية وصى بها لقمان لابنه: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣]، وقال - سبحانه - في جزاء من أشرك به: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [المائدة: ٧٢]، قال ابن كثير - رحمه الله -: "أي ما له عند الله ناصر، ولا معين، ولا منقذ مما هو فيه".

وأصل ظهور الشرك في الأرض من قوم نوح، فقد أتاهم الشيطان بعد هلاك قوم صالحين فيهم، وزين لهم عملهم، فقال: "انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت" (رواه البخاري).

أما بداية شرك العرب فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "العرب قبله - قبل عمرو بن لُحَيّ - كانوا على ملة أبيهم إبراهيم على شريعة التوحيد، فتشبه عمرو بن لُحَيّ وكان عظيم أهل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله، وفيها الحج، مازالوا معظّمين من زمن إبراهيم - عليه السلام - فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه". إلى أن قال: "فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهاً فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله - عز وجل -، وتغيّر دينه الخفيف، إلى أن بعث الله رسوله فأحيا ملة إبراهيم - عليه السلام - وأقام التوحيد".

وقد ورد ذكر مصير عمرو بن لُحَيّ في صحيح البخاري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في حديث عائشة - رضي الله عنها - حين خسفت الشمس -: "ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لُحَيّ وهو الذي سيّب السوائب"، وفي رواية أخرى

قال: "ورأيت عمراً يجر قُصبه" أي: أمعائه.

والمشرك بالله تجده خائفاً مرعوباً في ميدان المعارك قال -سبحانه-: (سُنْلقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا) [آلِ عِمْرَانَ: ١٥١]، وبين الله ضعف من أشرك به بحال بيت العنكبوت (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: ٤١]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "هذا مثلٌ ضربه الله للمشركين في اتخاذهم آلهةً من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه، ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم، إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فانه لا يجدي عنه شيئاً".

ولخطورة الشرك بالله، دعا إمام الحنيفة خليل الرحمن أن يبعده الله ويصرفه عن عبادة الأصنام؛ (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) [إبراهيم: ٣٥]، وكان من آخر ما قاله نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" (متفق عليه).

والشرك بالله، هو أقبح الذنوب، وهو سوء ظن بالله؛ لأن المشرك قد ساوى المخلوق الناقص الضعيف بالخالق القوي الكامل في صفاته جلّ في علاه، فإن النافع الضارّ الباسط القابض هو الله، ولذا كان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، فلا تكني إلى نفسي طرفة عين" (صححه الحاكم)، والنبي -صلى الله عليه وسلم- اصطفاه الله بالرسالة ولا ينفع ولا يضر نفسه إلا بمشيئة الله، قال -سبحانه-: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) [الأعراف: ١٨٨]، وقد أمره الله أن يُخلص العبادة له وحده لا شريك له: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فأخلص عبادتك لربك في أقوالك وأفعالك، واحذر من الوقوع في الشرك، فإنه هلاك للعبد في الدنيا والآخرة قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه" (رواه النسائي).

رزقنا الله اتباع شرعه، واقتفاء سنة رسوله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيُّها المسلمون: الشهادة تتضمن شقين لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالشهادة لله بالألوهية تتضمن الشهادة لمحمد -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة، ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

فطاعته من طاعة الله، قال -سبحانه-: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا) [النساء: ٨٠]. وأما تصديقه فيما أخبر به، فيجب الإيمان به من أخبار الغيبات وذكر الجنة والنار، ويكون اجتناب ما نهى عنه وزجر بترك المحرمات، قال -سبحانه-: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر: ٧]، أي: وما آتاكم من أمر أو من خير فخذوه امتثالاً للأمر، وتصديقًا بالخبر، وما نهاكم عنه فانتهوا، أي: يجب عليكم ترك نهيهِ والبعد عن فعله طاعةً لله ولرسول الله، قال في الحديث الصحيح: "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"، وأما عبادة الله -سبحانه- فلا تكون إلا بما ذكره الله في كتابه وما جاء به رسوله -صلى الله عليه وسلم-، لا نعبد الله بالأهواء والبدع، قال الزهري -رحمه الله-: "من الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلىنا التسليم".

وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين، قال -سبحانه-: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [الأعراف: ١٥٨]، وأكمل الله به الدين قال -عز وجل-: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣]، ولا يقبل الله دينًا سواه فإن الله -عز وجل- قال: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران: ٨٥]، وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة -يهودي، ولا نصراني-، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار" (رواه مسلم).

وفي الحديث، أتى عمر -رضي الله عنه- فقال: إنا نسمع أحاديث من يهودٍ تُعجبنا، أفترى أن نكتب

بعضها؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: "أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي" (رواه أحمد).

ثم اعلّموا أن أي عبادة تُؤدّى لا بد لها من تحقق شرطين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله. رزقنا الله وإياكم الإخلاص في القول والعمل، واقتفاء أثر رسول الله.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل الصلاة

الخطبة الأولى:

الشريعة الإسلامية مصدرها الوحيان - كتابُ الله الكريم، وسنةُ رسول الله الهادي الأمين صلى الله عليه وسلم-، فهي شريعةٌ تُسعد المسلمَ في الدارين بما يُؤدَى فيهما من الأوامر، ويُتتهى عنهما من النواهي. وأهم تلك الأركان بعد تحقيق التوحيد شعيرة الصلاة، أمر الله بها فقال: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: ٥].

وهي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام" (متفق عليه)، وهي الشعيرة الوحيدة التي فُرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج، أما بقية الشرائع فقد نزل بها جبريل -عليه السلام- إلى الأرض.

هي خير الأعمال ففي حديث ثوبان -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن" (رواه ابن ماجه).

وقد أمر الله بالمحافظة عليها في كتابه الكريم فقال -سبحانه-: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) [البقرة: ٢٣٨]، ومدح المحافظين عليها بقوله: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) [المؤمنون: ٩]، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من حافظ عليها كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف" (رواه أحمد)، وفي حديث آخر: "من حافظ عليها، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة" (رواه النسائي). وقال: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر" (رواه الترمذي).

ولأهميتها وصي بها النبي -صلى الله عليه وسلم- في مرضه الذي مات فيه، فقال: "الصلاة وما ملكت أيمانكم" (رواه أحمد)، ولما دخل المسور بن مخرمة على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الليلة التي طعن فيها، قال الصلاة، فقال عمر -رضي الله عنه-: "نعم، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة" (رواه البيهقي).

وهي الفارقة بين المسلم والكافر كما في الحديث "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد

كفر" (رواه الترمذي).

وقد دعا إبراهيم ربه أن يجعله مقيم الصلاة فقال: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) [إبراهيم: ٤٠].

فبركة هذا الدعاء كان ابنه إسماعيل -عليه السلام- يأمر أهله بالصلاة، ومن أقوال ما تكلم به المسيح عيسى -عليه السلام- وهو في المهدي: (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) [مريم: ٣١]، ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- قال الله له: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) [الإسراء: ٧٨].

والصلاة راحة للأبدان، وسعادة للقلوب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ" (رواه النسائي)، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لبلال: "أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بَلَالُ، أَرْحَنَا بِهَا" (رواه أبو داود)، وهي عون للعبد في الشدائد والملمات قال -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣]، والنبي -صلى الله عليه وسلم- "إذا حزبه أمر صَلَّى" (رواه أبو داود)، وهي ناهية عن الفحشاء والمنكر، قال -سبحانه-: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت: ٤٥].

وهي كفارة للذنوب والمعاصي التي يقترفها العبد في ليله ونهاره، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسَلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ ذَنْبِهِ شَيْءٌ؟" قالوا: لا يبقى من ذنبه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا" (رواه البخاري)، وفي حديث آخر "الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" (رواه مسلم).

وهي سبب لدخول الجنة، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن أعرابياً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ذلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان"، قال الرجل: والذي نفسي بيده! لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا" (متفق عليه).

وهي إيمان، قال -سبحانه-: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [البقرة: ١٤٣]، وهي ذكر قال -عز وجل-: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) [طه: ١٤]، -أي لتذكرني بها-

وهي جالبة للرزق قال - سبحانه-: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ) [طه: ١٣٢]، -أي: إذا قمت إلى الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب-.

وجعل الله الفلاح لعباده في الدنيا والآخرة بمحافظتهم على صلاتهم مع الخشوع فيها، قال المولى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) [المؤمنون: ١-٢].

والصلاة -من العزم على أدائها حتى منتهاها- فيها فضائل وأجور لا تُحصى، من إسباغ الوضوء، وكثرة الخطا، وانتظار الصلاة، فهذا رباط تُكفَّر به الذنوب وتُرفع به الدرجات، ومن خطأ خطوة إلى المسجد يُرفع له بها درجة، وحُطَّت عنه خطيئة، "ومن غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نُزلاً في الجنة كلما غدا أو راح" (رواه مسلم).

ولمكانتها وعظيم شأنها لم يرخِّص الله للمجاهدين في سبيله أن يتركوا الصلاة أو يؤخروها عن وقتها، بل شرع لهم صلاة الخوف مناسبة للحال التي هم فيها.

ولا تسقط كذلك عن أهل الأعذار -كالمسافر، والمريض- بل أمرهم أن يُصلّوها كل حسب استطاعته، قال عمران بن حصين -رضي الله عنه-: كانت بي بواسير، فسألت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة، فقال: "صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب" (رواه البخاري)، قال ابن رجب -رحمه الله-: "ولو عجز عن ذلك كله أوماً بطرفه وصلى بنيته، ولم تسقط عنه الصلاة على المشهور".

رزقنا الله حسن أدائها، وتقبلها منا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

أمر الله بأداء الصلاة جماعة، لما فيها من اجتماع القلوب والأبدان، قال -عز وجل-: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [البقرة: ٤٣]، وعندما أتى الأعمى للنبي -صلى الله عليه وسلم- ليُرَخِّص له الصلاة في البيت قال: إني ضرير البصر، شاسع الدار، ولي قائد لا يلاومني -أي لا يوافقني- فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: "تسمع النداء؟"، قال: نعم، قال: "فأجب؛ فإني لا أجد لك رخصة" (رواه أبو داود)، وفي رواية: قال يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، وأنا ضرير البصر، فهل تجد لي من رخصة؟ قال: "تسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح؟" قال: نعم، فقال: "فحي هلا" -يعني أجب- ولم يرخِّص له (رواه النسائي).

وتظهر أهمية أدائها في المسجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هجرته أقام أول صرح للمسلمين قبل أن يبني داره، واهتم النبي -صلى الله عليه وسلم- بها وأمر من استرعاه الله رعيةً أن يأمرهم بأدائها فقال -عليه السلام-: "مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع" (رواه أبو داود).

كما أن أداءها يكون في وقتها الذي وقتها الشارع الحكيم، قال -سبحانه-: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء: ١٠٣]، -أي: مؤقتًا-، فُتُصَلَّى الصلاة في وقتها، وَمَنْ غَلَبَهُ النُّوْمُ دُونَ تَفْرِيطٍ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ نَامَ عَنِ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا، فَلْيَصِلْهَا إِذَا ذَكَرَهَا" (رواه مسلم).

ثم اعلّموا أن المحافظَ على الصلاة، يُرَجَى له الخيرُ دائماً مهما حدث له من زلات وهفوات، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "والحافظ على الصلاة أقرب إلى الرحمة ممن لم يصلّها، ولو فعل ما فعل".
نسأل الله أن يُصلح قلوبنا، وأن ينورها بنور الإيمان.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية أداء الزكاة

الخطبة الأولى:

جاء الإسلام لإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، فكان فيه زكاة نفوسهم وطهارتهم أموالهم، وسمو أخلاقهم، وتهذيب طباعهم.

وقد ذكر الله من صفات عباده المؤمنين أنهم للزكاة فاعلون، قال -تعالى-: (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) [المؤمنون: ٤]، والزكاة هنا إما أن تكون زكاة النفس -أي: تطهيرها من الشرك والمعاصي-، وإما أنها زكاة الأموال، قال ابن كثير -رحمه الله-: "زكاة المال إنما سميت زكاة؛ لأنها تُطهَّر من الحرام، وتكون سبباً لزيادته، وبركته، وكثرة نفعه، وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات".

وبزكاة النفس وطهارتها يصير الإنسان زاكياً، يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، قال الله -سبحانه-: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) [التوبة: ١٠٣].

والزكاة: اسم لأخذ شيء مخصوص، من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة.

فتجب في النقدين، والزروع والثمار، وبهيمة الأنعام، وعروض التجارة، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، ودل على وجوبها الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، فأما الكتاب: فقول الله -تعالى-: (وَأَتُوا الزَّكَاةَ) [الحج: ٤١]، وأما السنة: فقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" (متفق عليه).

وقد بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاداً إلى اليمن وقال له: "أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم" (متفق عليه).

وأجمع المسلمون في جميع العصور على وجوبها، واتفق الصحابة -رضي الله عنهم- على قتال مانعيها، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "لما توفي النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: كيف تُقاتل الناس وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابَهُ عَلَى اللَّهِ"، فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً -أو عقالاً- كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق" (رواه البخاري).

والزكاة من مكارم الأخلاق التي دعا إليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال هرقل لأبي سفيان: "فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف" (متفق عليه).

وقد ورد فضلُ أدائها، وثوابُ فاعلها، وأنها سببٌ لدخول الجنة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع: "اتقوا الله ربكم، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم" (رواه الترمذي).

ولأهمية أداء الزكاة: "بايع جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم" (متفق عليه).

وفي الزكاة فضائل، ورحمات، وتكاتف، وترايط، وعطف، وشفقة بين الغني والفقير، وفي وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ -رضي الله عنه-: "فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم" (متفق عليه)، فالفقير له حقٌّ من مال الغني يؤديه حق أدائه طيبةً بذلك نفسه، طالبةً الثواب، وخائفةً من العقاب.

وعلى صاحب المال معرفة كيفية زكاة ماله، كتتحقيق بلوغ النصاب، -وهو القدر الذي رتب الشارع وجوب الزكاة على بلوغه-، وأن يكون هذا المال مملوكًا ملكًا تامًا، ومضى عليه الحول، ولا تجب الزكاة في أقل من الحول، سوى الزرع فإنه تجب فيه الزكاة يوم حصاده إذا بلغ النصاب. قال -تعالى-: (وَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) [الأنعام: ١٤١]، لذا عليه أن يبادر في أداء الزكاة متى حصل ذلك دون تأخير.

ومن ترك أداء زكاة ماله وفرط في إخراجها فقد ورد الوعيد في تاركها، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ) الآية" [آل عمران: ١٨٠] (رواه البخاري)، والمعنى: أن الله يُصير له ثعبان لا شعر على رأسه لكثرة سمّه، وله نابان يخرجان من فمه، وهو أوحش ما يكون في الحيات وأخبثه، ويكون في عنقه كالطوق، ثم يأخذ بشدقيه، وهو جانبا الفم، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك.

ويجوز لصاحب المال تقديم الزكاة متى وُجد سببها، لحديث عليّ -رضي الله عنه-: "أن العباس -رضي الله عنه- سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخص له في ذلك" (رواه أبو داود)، كأن يكون في بلاد المسلمين حاجةً وفاقةً تستلزم ذلك.

طهر الله قلوبنا، وزكاها فهو خير من زكاها.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

يُستحب للإنسان أن يلي تفرقة الزكاة بنفسه، ليكون على يقين من وصولها إلى مستحقها، وأن يتحرى أهل الحاجة المستحقين لها، وهم أهل الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله -تعالى-: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ) [التوبة: ٦٠]، كما أنه يجوز أن يقتصر على صنف واحد من الأصناف الثمانية، ويجوز أن يعطيها شخصًا واحدًا ليسد حاجته بها، قال النخعي -رحمه الله-: "إن كان المال كثيرًا يَحْتَمِلُ الأصناف قسَمه عليهم، وإن كان قليلاً جاز وضعه في صنف واحد"، وقال مالك -رحمه الله-: "يتحرى موضع الحاجة منهم، ويقدمُ الأولى فالأولى".

ولا يجوز صرف الزكاة إلى غير مَنْ ذكر الله -تعالى- من بناء المساجد، والقناطر، وإصلاح الطرقات، وغيرها.

كما على المزكي أن لا يصرف زكاة ماله للوالدين وإن علوا، ولا للولد وإن سفل؛ لأن النفقة عليهم واجبة، بخلاف سائر الأقارب، فمن لا يورث منهم يجوز دفع الزكاة إليه.

ولا تُعطى الزكاة لبني هاشم؛ لأنها لا تحل لهم الصدقة المفروضة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنما هي أوساخ الناس" (أخرجه مسلم).

وإذا أعطى من يظنه فقيرًا فبان غنيًا أجزأت، قال أبو هريرة -رضي الله عنه- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق على غني، فأتى فقيل له: أما صدقتك فقد قُبِلت، لعل الغني أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله" (متفق عليه).

وعلى المزكي أن يؤدي زكاة ماله في بلده، ولا ينقلها إلى بلد آخر، لوصية النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ -رضي الله عنه-: "أخبرهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم" (متفق عليه)، وهذا يختص بفقراء بلدهم، ولما بعث معاذ الصدقة من اليمن إلى عمر -رضي الله عنه- أنكر عليه ذلك، وقال: لم أبعثك جايئًا ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد في فقرائهم، فقال معاذ: أنا ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدًا يأخذه مني، وأيضًا عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- ردَّ زكاة أتى بها من خراسان إلى الشام.

والصحيح من أقوال اهل العلم: جواز نقلها، إذا كان في نقلها مصلحة شرعية - كشدة فقر، وقربة لمن تُدفع إليه الزكاة - .

وإذا تولى الرجل إخراج زكاته، فالمستحب أن يبدأ بأقاربه الذين يجوز دفع الزكاة إليهم، سألت زينب - رضي الله عنها - النبي - صلى الله عليه وسلم - : أيجزي عني من الصدقة النفقة على زوجي؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "لها أجران: أجر الصدقة، وأجر القربة" (رواه البخاري)، وفي لفظ: يسعني أن أضع صدقتي في زوجي وبني أخي لي أيتام؟ فقال: "نعم، لها أجران: أجر الصدقة، وأجر القربة" (رواه النسائي)، ولما تصدق أبو طلحة بجائته قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "اجعله في قرابتك" (رواه أبو داود).

وقفنا الله للبذل والعطاء، ورزقنا الخُلفَ والنماء.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل الصيام

الخطبة الأولى:

خلق الله الليل والنهار، وفاضل بين الشهور والليالي والأيام، وخصَّ شهر رمضان بالفضائل والنفحات، ومزید الخیرات والبركات، فهو شهر الرحمت وتكفير السيئات، وأداء القربات وفعل الطاعات، وهو سببٌ لدخول الجنات، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة" (رواه البخاري).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم حجة الوداع: "اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم" (رواه الترمذي).

قال ابن القيم -رحمه الله- في الصيام: "إنه لجأمة المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين". وقد افترضه الله على هذه الأمة بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 183-184].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول -تعالى- مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة، وأمرًا لهم بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع، بنية خالصة لله -عز وجل-؛ لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاق الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم، فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك".

والصوم سبب لمغفرة الذنوب والآثام، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" (متفق عليه)، قال ابن حجر -رحمه الله-: "المراد بالإيمان: الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب: طلب الثواب من الله".

وقد أعد الله ثواباً جزيلاً للصائمين، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به" (متفق عليه)، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها، إثارةً لمحبة الله ومرضاة، وهو سرٌّ بين العبد وربّه، لا يطلع عليه سواه".

ومن كرم الله للصائمين، أن في الجنة بابًا لا يدخله إلا هُم، فضلاً منه - سبحانه -، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يُقال أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخريهم أغلق فلم يدخل منه أحد" (رواه مسلم)، والريان: صيغةٌ مبالغة من الرِّيِّ، وهو نقيض العطش.

كما أن خلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "والذي نفس محمد بيده ! لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"، قال البغوي - رحمه الله -: "معناه الثناء على الصائم، والرضى بفعله"، وقيل: لكثرة ثوابه وأجره.

وللصائم فرحتان يفرحهما: "إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه" (رواه البخاري)، قال القرطبي - رحمه الله - "معناه: فرحٌ بزوال جوعه وعطشه؛ حيث أُبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي، وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه، وخاتمة عبادته، وتخفيفٌ من ربه، ومعونةٌ على مستقبل صومه"، والفرحة الأخرى: "إذا لقي ربه فرح بصومه"، أي: بجزائه وثوابه، وقيل: هو السرور بقبول صومه وترتّب الجزاء الوافر عليه.

وكما أنه شهرُ الصيام، فكذلك هو شهر القرآن، قال الله - سبحانه -: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) [البقرة: ١٨٥]، وقد أنزله الله في ليلة القدر جملةً إلى السماء الدنيا، كما ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وقيل: ابتداءً نزوله فيها.

قال الشنقيطي - رحمه الله -: "جميع الشهور من حيث الزمن سواء، ولكن بمناسبة بدء نزول القرآن في هذا الشهر جعله الله محلاً للصوم، وأكرم فيه الأمة كلّها، بل العالم كلّهُ، فتتزين فيه الجنة، وتُصفّد فيه مردة الشياطين، وتتضاعف فيه الأعمال".

قال ابن كثير - رحمه الله -: "يمدح - تعالى - شهرَ الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستّ مضيّن من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان".

وفي رمضان ليلةُ القدر، اختصها - تعالى - عن بقية ليالي الشهر بعظيم الأجر، وجعلها الله - تعالى - خيراً من ألف شهر.

وهو شهر القيام ولذة مناجاة الله وطلب مرضاته، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة" (رواه أصحاب السنن)، فحافظ على إتمام قيامك مع إمامك حتى تنال عظيم الأجر.

وهو شهر البذل والعطاء، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أجودَ الناس وأجودُ ما يكون في رمضان" (رواه البخاري)، قال العيني -رحمه الله-: "وأما كون أكثرية جوده في شهر رمضان، فلأنه شهر عظيم، وفيه الصوم، وفيه ليلة القدر، والصوم أشرف العبادات". فليتلمس الصائم إخوانه المحتاجين والأرامل والمعوزين، وليفرحهم ببذل، ويؤنسهم بعطاء، ومن أهم ما يكون في هذا الشهر الكريم إطعام الطعام عمومًا، وتفتير الصائمين خصوصًا، فقد ورد الفضل في ذلك، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من فطر صائمًا، كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء" (رواه الترمذي).

ومن فضل الله على الصائم أن له دعوة لا تُردّ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد" (رواه ابن ماجه). وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر" (رواه أحمد).

والعمرة في رمضان أجراها مضاعف، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "عمرة في رمضان تعدل حجة" (رواه مسلم).

وليحرص المسلم على أكلة السحر ففيها بركةٌ وتعين على أداء العبادات في نهار رمضان، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً" (متفق عليه)، قال ابن حجر -رحمه الله-: "المراد بالبركة: الأجر والثواب، أو البركة لكونه يقوّي على الصوم، ويُنشّط له، ويخفف المشقة فيه، وقيل البركة: ما يُتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السحر، والأولى: أن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة، وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، والتسبب بالصدقة على مَنْ يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام؛ وهي مخالفة لأهل الكتاب فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن فصل بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" (رواه مسلم).

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

على المسلم استغلال أيام شهر رمضان ولياليه بكل ما يكون ذخراً له في آخرته، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وكان من هديه في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يُكثّر فيه من الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف".

وحريٌّ بمن أدرك رمضان أن يحمد الله على بلوغه، وأن يدعو الله الإعانة على صيامه وقيامه إيماناً واحتساباً، وأن يوفّق لقيام ليلة القدر، ويغتنم هذه النفحات فيزداد من القربات، ويتعدّد عن الخوارم والملهيات، ويحفظ سمعه وبصره عما يغضب مولاه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ لَمْ يَدَعِ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ" (رواه البخاري)، وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن جابر -رضي الله عنه- قال: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل فطرك وصومك سواء".

وصعد النبي -صلى الله عليه وسلم- المنبر ذات يوم، فلما رقى عتبة قال: آمين، ثم رقى الأخرى فقال: آمين، ثم رقى الثالثة فقال: آمين، ثم قال: "أتاني جبريل -عليه السلام- فقال يا محمد! مَنْ أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، فقلت: آمين" (رواه ابن حبان).

نسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا لصيامه وقيامه إيماناً واحتساباً.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل العشر الأواخر من رمضان

الخطبة الأولى:

اختص شهر رمضان بأنه سيد الشهور، بما فضّله الله من الفضائل والمكرّمات، فهو شهر الجود والعطاء، والبذل والسخاء.

أكرم الله هذه الأمة بمبعث خير الورى -صلى الله عليه وسلم-؛ (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [آل عمران: ١٦٤].

وأكرمهم بنزول القرآن، قال -تعالى-: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) [البقرة: ١٨٥]، ومنحهم ليلة فضلها كبير، وخيرها عميم، قال -سبحانه- في فضلها (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) [القدر: ٣]، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه" (رواه البخاري).

وجاد عليهم بالخير الوفير في أيام شهرهم ولياليه، وساعاته ولحظاته، لذا شتمّ النبي -صلى الله عليه وسلم- لاستغلاله بالطاعات، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أجودّ الناس بالخير، وكان أجودّ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل -عليه السلام- يلقاه كلّ ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن، فإذا لقيه جبريل -عليه السلام- كان أجودّ بالخير من الريح المرسلة" (متفق عليه).

فجودّه -عليه السلام- يزيد ويتضاعف فهو أجودّ ما يكون في رمضان، ولك أن تعلم أن جود النبي -صلى الله عليه وسلم- في غير رمضان لا يوصف فهو -صلى الله عليه وسلم- لا يرد سائلًا، قال أنس: "ما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة" (رواه مسلم).

رمضان شهرٌ معدودُ الأيام والليالي، وهو يسير سيرًا سريعًا، دون إمهال لأحد، صحائفه تطوى بالأعمال خيرها وشهرها، وتنشر في يوم الحساب والجزاء، فاز في رمضان من عمّره بالصالحات، محتسبًا الأجر والثواب، وخسر فيه من ضيَّعه بالملهيّات، فاجتهدوا في هذا الشهر تسعدوا في باقي الدهر، واجتهدوا في الأيام القليلة تفوزوا بالنعم الجزيلة.

ومن كان مُقَصِّرًا في أوله فليضعف عمله في آخره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "العبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات"، وأحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

أيام وليالي شهركم المبارك آذنت بالانصراف والترحال، وها هي أيامه الفاضلة أقبلت ضيفًا كريمًا وزائرًا عزيزًا، ومن كان باذلاً فليضعف، ومن كان عاملاً فليجتهد، ومن كان مُقَصِّرًا فليتدارك. في العشر الأواخر من رمضان، يجتهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أداء الطاعات، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره" (رواه مسلم)، لما فيها من فضل كبير ومنة عظيمة ألا وهي ليلة القدر، قال - سبحانه -: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) [القدر: ٣].

وكانت السمة البارزة لعمله فيها -عليه السلام- كما وصفتها عائشة -رضي الله عنها- "إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ، وشدَّ المنزلة" (رواه مسلم)، وهذا فيه دليل على أن للعشر الأواخر من رمضان مزية على غيرها بمزيد الطاعة والعبادة -من صلاة، وذكر، وتلاوة قرآن، واعتكاف-، قال النووي -رحمه الله-: في معنى "شدَّ المنزلة"، قيل: هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته -صلى الله عليه وسلم- في غيره، وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات، وقولها "أحيا الليل" أي: استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها، وقولها "وأيقظ أهله" أي: أيقظهم للصلاة في الليل وجدَّ في العبادة زيادة على العادة".

كما أنه -صلى الله عليه وسلم- يرتقب ليلة القدر بأنواع العبادات، ويتحراها في ليالي العشر الأواخر، كما في حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان" (متفق عليه)، وعندهما أيضًا "فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر".

وكان من حرصه عليها أنه كان يتفرغ لها معتكفًا في المسجد، حرصًا منه على إدراكها، فعن عائشة -رضي الله عنها- "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده" (متفق عليه) قال الإمام العيني -رحمه الله-: "كان النبي يجتهد

في العشر لمعنيين، أحدهما: لرجاء ليلة القدر، والثاني: لأنه آخر العمل، وينبغي أن يحرص على تجويد الخاتمة".

وأوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- من يدركها بالدعاء المأثور، قالت عائشة -رضي الله عنها-: قلت: يا رسول الله! أرأيت إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها؟ قال: "قولي: اللهم انك عفو، تحب العفو فاعف عني" (رواه الترمذي).

فاللهم وفقنا لقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل أيام العشر من ذي الحجة

الخطبة الأولى:

امتن الله على أمة الإسلام بمزيدٍ من الفضائل والنفحات، والبركات والخيرات، في مواسم تتجدد، وأزمنة تتعاقب، تُرفع بها درجاتهم وتُحط عنهم خطاياهم، يُقبل المسلم فيها على ربّه، راجيًا ثوابه، خائفًا من عقابه.

وفي أيام عشر ذي الحجة أعمالٌ صالحةٌ متتابعة، قولية، وفعلية، ومالية، أو هي مجتمعة. فالطاعة فيها من تعظيم شعائر الله: (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج: ٣٢]، العمل فيها مُعَظَّم، والأجر فيها مُضاعف - من الصلاة، والتكبير، والصدقة، والصيام، والحج - وكلُّ عبادة فاضلة فيها يزيد فضلها.

وقد أقسم الله بهذه الأيام لأهميتها، وعَظَّمَ شأنها، فقال - سبحانه -: (وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) [الفجر: ١-٤]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "إنهن ليالي العشر الأول من ذي الحجة"، فأيامها نفيسة ثمينة، هي أفضل أيام العام على الإطلاق، كما في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما العمل في أيام أفضل منها في هذه"، قالوا: ولا الجهاد؟، قال: "ولا الجهاد إلا رجلٌ خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء" (رواه البخاري). وعند البزار من حديث جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أفضل أيام الدنيا أيام العشر"، وذكر ابن حجرٍ - رحمه الله - السبب في امتياز عشر ذي الحجة فقال: "والذي يظهر أن ذلك لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره".

وقال ابن رجب - رحمه الله - ذاكراً فضل هذه الأيام المباركات -: "لما كان الله - سبحانه - قد وضع في نفوس المؤمنين حينئذٍ إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فَرَضَ على المستطيع الحجَّ مرةً واحدةً في عُمُرِهِ، وجعل موسمَ العشرِ مشتركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في عام، قَدَّرَ في العشرِ على عَمَلٍ يَعْمَلُهُ في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج".

ولأهمية أيامها ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مفاضلةً بينها وبين أيام شهر رمضان - فقال: "أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من

ليالي عشر ذي الحجة".

لذا حرص السلف على استغلالها، والقيام بالطاعة فيها خير قيام، فقد كان سعيد بن جبير -رحمه الله- إذا دخلت أيام العشر اجتهد اجتهادًا شديدًا حتى ما يكاد يُقدر عليه.

ومن عزم على أداء فريضة الحج، فليخلص عمله لله، قال -سبحانه-: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) [البقرة: ١٩٦]، وعليه أن يعرف أداء الحج حتى يؤديه بتمامه، ولا يقع في المحذور، وأن يتحمل مشاق السفر، وجهد أداء النسك، وأن يختار رفقةً تعينه على أداء الفريضة.

ويحرص المسلم في هذه الأيام المباركات على أداء الفرائض وفعل النوافل -من صيام، وصدقة، ودعاء، وتلاوة لكلام الله، وذكر لله-، قال -سبحانه-: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) [الحج: ٢٨]، فالذكر فيها أفضل من غيرها لئسره على النفس، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل، والتكبير، والتحميد" (رواه أحمد).

وقد كان ابن عمر وأبو هريرة -رضي الله عنهم- يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما.

والتكبير في هذه الأيام، منها ما هو مطلق وهو: من بداية دخول العشر إلى فجر يوم عرفة، والمقيد: أدبار الصلوات المكتوبة من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق لغير الحاج. وفقنا الله لاستغلال هذه الأيام المباركات بأداء الصالحات، وتقبلها منا ومنكم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

في يوم عرفة فضلٌ وأجرٌ للحاج وغيره، فهو من أفضل أيام العام، وصومه لغير الحاج فضل وكرم من الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده" (رواه مسلم).

وفي عرفة خيرُ الدعاء وأفضله، وثوابٌ جليل، ودعاء حريٌّ بالإجابة، قال ابن عبد البر -رحمه الله-: "دعاء يوم عرفة مجابٌ كلُّه في الأغلب". قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله

الحمد، وهو على كل شيء قدير" (رواه الترمذي).

ففي الحديث: إشارة إلى ذكر الله في ذلك اليوم، ولعله توطئة لتلك الأدعية لما يستحب من الثناء على الله قبل الدعاء، وبعد فجر يوم عرفة يبدأ التكبير المقيد أدبار الصلوات إلى عصر آخر أيام التشريق، وفي يوم النحر وهو يوم العيد، يؤدي الحاجُّ أكثر أعمال الحج من طوافٍ ورمي وحلق. ويستحب لغير الحاج أن يغتسلَ ويتطيبَ ويلبسَ الجديد، ويكرِّ لمصلى العيد، ويستمعَ للخطبة، ويخالفَ بين الطريق. ومَنْ نوى أن يضحى تأسياً برسول الله -صلى الله عليه وسلم- واتباعاً لأبينا إبراهيم فداءً عن ابنه إسماعيل عليهما السلام فليُمسك عن شَعْره وأظفاره (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) [الحج: ٣٧]، وقد ضحى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكبشين أملحين قال أنس -رضي الله عنه-: "فرأيتَه واضعاً قدمه على صفاحهما، يسمي، ويكبر، فذبحهما بيده" (متفق عليه).

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل الحج

الخطبة الأولى:

في أداء الحج تلبية لنداء الخليل إبراهيم -عليه السلام-؛ (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) [الحج: ٢٧]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: ناد في الناس بالحج، داعيًا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببناؤه، فذكر أنه قال: يا رب: وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقال: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس! إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كلُّ شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، لبيك اللهم لبيك، وهذا مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، وغير واحد من السلف".

وقد رغب النبي -صلى الله عليه وسلم- في فضله فقال: "من حج، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" (متفق عليه). وفي الصحيحين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". قيل: ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور".

والحج المبرور كما في الصحيحين "الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"، قال الإمام النووي -رحمه الله- في الحج المبرور: "أي لا يخالطه إثم، مأخوذ من البر، وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول، ومن علامة القبول: أن يرجع خيرًا مما كان، ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الذي لا رياء فيه، وقيل: الذي لا يعقبه معصية، وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه بل لا بد أن يدخل الجنة، والله أعلم".

وعلى من عزم على أداء فريضة الحج أن يُخلص العمل فيه لله -عز وجل-، فقد أمر الله به في قوله (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) [البقرة: ١٩٦]، ويقتفي أثر رسول الله في أداء النسك دون ابتداء، عملاً بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لتأخذوا عني مناسككم" (رواه مسلم)، وأن يكون زاده وراحلته حلالاً، وعليه أن يعرف أركانه وواجباته، فهو نسك دقيق في الفعل والزمن والمكان، ولذا قال ابن تيمية -رحمه الله-: "علم المناسك أدق ما في العبادات".

ولذا تعاقب أئمة الحديث شرحًا وتبليغًا لصفة حجة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حديث

جابر - رضي الله عنه - الذي جمع أحكامًا وفوائد كثيرةً لأحكام الحج وغيره.

وعلى من يسر الله له الحج أن يتحمل مشاق السفر، وجهد أداء النسك دون تبرم، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال عنه كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله! على النساء جهاد؟ قال: "نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة" (رواه ابن ماجه).

وأن يختار رفقةً صالحةً تُذكره إذا نسي، وتُعلمه إذا جهل، وأن يكون الرفق مصاحبًا له مع إخوانه الحجيج في أداء النسك كله، وأن يحرص الحاج على استغلال أيام الحج بالطاعات، وأن يخص منها وقوفه في عرفة، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "خير الدعاء يوم عرفة" (رواه الترمذي).

ويكثر فيها من التهليل لقوله - صلى الله عليه وسلم -: "أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" (رواه الترمذي)، في مشعر عرفات "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟" (رواه مسلم). وأن يؤدي أعمال يوم النحر من طواف ورمي وحلق، وأن يجعل لسانه رطبًا من ذكر الله قال - سبحانه -: (وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) [البقرة: ٢٠٣].

وأن يدرك تحقيقه للتوحيد لله - سبحانه وتعالى - في هذا النسك، بدايةً من التلبية، وانتهاءً بالطواف. بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من لم يكتب الله له أداء الحج فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - رغب في صيام يوم عرفة فقال: "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده" (رواه مسلم)، وفي صبيحة العيد يستحب أن يغتسل، ويتطيب، ويلبس الجديد، ويُكّر لمصلى العيد، ويستمع للخطبة، وأن يخالف بين الطريق، وأن يذبح أضحيته تأسياً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه - قال: "ضحى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكبشين، أملحين، أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى، وكبر، ووضع رجله على صفاحهما".

وعلى الحاج وغير الحاج أن يعمر وقته بطاعة الله في أيام التشريق، عملاً بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله" (رواه مسلم)، فهي أيام ذكر وأكل وشرب، بلا

إسراف، ولا تبذير.

وفي أيام التشريق يُشرع ذكرُ الله المقيّد بأدبار الصلوات، من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق. ولا يكن انتهاء موسم الحج هو انتهاء العبادة، بل إن الله -عز وجل- قال: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) [البقرة: ٢٠٠]، قال ابن جرير -رحمه الله-: "يعني بذلك -جل ثناؤه- فإذا قضيتم مناسككم أيها المؤمنون، فادكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً، وارغبوا إليه من خير الدنيا والآخرة بابتهاج، وخضوع، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصاً ولطلب مرضاته، وقولوا: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [البقرة: ٢٠١]، ولا تكونوا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فكانت أعمالهم للدنيا وزينتها، فلا يسألون رهم إلا متاعها، ولا حظَّ لهم في ثواب الله، ولا نصيب لهم في جناته وكريم ما أعدَّ لأوليائه.

وخص الله ذكر الآباء؛ لأن من عادة العرب إذا قضت حجَّها تقف عند الجمرة، فتُفأخر بالآباء، وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم، وغير ذلك، حتى إن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان عظيم القبة، عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه، فنزلت الآية ليُلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية.

تقبَّل الله من الحجاج حجَّهم، وغفر الله ذنوبنا، وتجاوز عنا وعن المسلمين.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أركان الإيمان

الخطبة الأولى:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهي أهم ما في الشريعة التي أتى بها جبريل -عليه السلام- لبنينا -صلى الله عليه وسلم- حين أسند ركبته إلى ركبتي النبي -صلى الله عليه وسلم-، ووضع كفيه على فخذي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة وأماراتها، ثم قال في آخر الحديث "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" (رواه مسلم).

فأركان الإيمان تُعنى بالأمور الباطنة التي عليها اعتقاد القلب، بخلاف أركان الإسلام التي تعنى بالأمور الظاهرة.

والإيمان في اللغة هو التصديق، أو التصديق الجازم، وفي الشرع: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل الجوارح والأركان. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو ستة أركان ذكرها الله في كتابه، قال -تعالى-: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: ١٧٧]، ودليل القدر (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القدر: ٤٩]، ومن السنة قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" (رواه مسلم)، فلا يصح الإيمان إلا بهذه الأركان الستة.

أولها: الإيمان بالله، وهو أعظم أركان الإيمان وأساسه، وما بعده من الأركان مندرج في هذا الركن، وهو أصل الأصول، وهو يشمل الإيمان بربوبية الله وألوهيته، لا شريك له في ملكه ووحدانيته في العبادة، وله -سبحانه- الأسماء الحسنى والصفات العلاء، فهو -عز وجل- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]، وهو -سبحانه- (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: ٤].

فبالإيمان بذلك يجعل المرء يُخلص في عبادته لله -عز وجل-، لأنه المستحق لها وحده دون ما سواه، وأن كل ما سواه لا يستحق شيئاً من العبادة، فبالإيمان بالله يجب المؤمن ربّه ويعظمه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرجو إلا هو، ولا يخاف إلا منه، ولا يعلق قلبه بأي عبادة إلا به -سبحانه- ولا يصرفها لغيره.

ثاني أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة، بأن الله خلقهم من نور، وهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فنؤمن بذواتهم، وصفاتهم، ووجودهم، وأعمالهم إجمالاً فيما علمناه إجمالاً، وتفصيلاً فيما علمناه تفصيلاً، وما علمنا من أسمائهم

وما لم نعلم، كَمَلِكِ الموت وخازن النار مالِكِ، كما في مناداة أهل النار له (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ) [الرَّحْف: ٧٧]، وكجبريل وميكائيل وإسرافيل، وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا قام من الليل يفتتح صلاته بدعواتٍ منها "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل" (رواه أبو داود)، وهؤلاء الثلاثة هم أفضل الملائكة.

ونؤمن بما أوكلهم الله من أعمال، فجبريل -عليه السلام- موكلٌ بتبليغ الوحي، وميكائيل موكلٌ بالقطر، وإسرافيل موكلٌ بالنفخ في الصور، وملائكةٌ موكلةٌ بحمل العرش، وملائكةٌ موكلةٌ بالأجنّة، وملائكةٌ موكلةٌ بكتابة أعمال بني آدم، وملائكةٌ موكلةٌ بحفظ بني آدم، قال -تعالى-: (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [الرعد: ١١]، ومنهم موكلٌ بقبض الأرواح، ومنهم ملائكةٌ تحضر الجمعة وتكتب الأول فالأول وتستمع الذكر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكةٌ يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر، ومثل المُهَجَّرِ كمثل الذي يُهدي البدنة، ثم كالذي يُهدي بقرة، ثم كالذي يُهدي الكبش، ثم كالذي يُهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي البيضة" (متفق عليه).

وبيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- عظم خلق جبريل -عليه السلام- حين رآه في صورته: "له ستمائة جناح" (متفق عليه).

والركن الثالث: الإيمان بالكتب، فتؤمن إيمانًا جازمًا بأن الله أنزلها على رسله -عليهم السلام-، فما من رسول إلا معه كتاب، قال -سبحانه-: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) [الحديد: ٢٥]، ففي هذه الكتب الهدى والنور.

ومن الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن الكريم. فتؤمن إيمانًا عامًا بأن التوراة نزلت على موسى -عليه السلام-، والإنجيل على عيسى -عليه السلام-، والزبور على داود -عليه السلام-، ونؤمن إيمانًا خاصًا بالقرآن الكريم، ولا نعمل إلا بالقرآن الكريم فيه نُسَخَّتِ الكتب السابقة، قال -تعالى-: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) [المائدة: ٤٨].

وفي إنزال الكتب رحمةٌ من الله -تعالى- بعباده، فقد أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به، وشرع فيه لكل أمة ما يناسبهم، قال الله -تعالى-: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا) [المائدة: ٤٨].

والإيمان بالرسول: أصل من أصول الإيمان، فهم صفوة الخلق، اختارهم الله لرسالاته وتبليغ شرعه، فقاموا بالرسالة حق القيام، وصبروا على ما نالهم منها، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فتؤمن

بأسماء مَنْ عَلِمْنَا مِنْهُمْ، ومن لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً، قال -تعالى-: (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) [غافر: ٧٨].

والحكمة من إرسال الرسل -عليهم السلام- دعوة أمهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، قال -تعالى-: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [التحل: ٣٦]، وكل نبي بُعث إلى قومه خاصة إلا نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- بُعث إلى الناس كافة، قال -سبحانه-: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان: ١].

ومما فَضَّلَ به النبي -صلى الله عليه وسلم- على الأنبياء -عليهم السلام- بأنه "أُرسل إلى الخلق كافة" (رواه مسلم)، فنعمل بشريعته، ونهتدي بهديه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحج: "لتأخذوا مناسككم" (رواه مسلم)، وقال -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (رواه البخاري)، وفي الوضوء قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس، غفر له ما تقدم من ذنبه" (رواه البخاري).

والركن الخامس من الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، وسمي آخراً، لأنه آخِرُ مراحل الإنسان بعدما كان في بطن أمه، ثم الحياة الدنيا، ثم دار البرزخ، ولأهميته فالله -عز وجل- يقرن الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في قوله -تعالى-: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [التوبة: ١٨]، وكقوله -تعالى-: (ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [الطلاق: ٢].

فيؤمن العبد بأن هناك يوماً يعود الناس فيه لربهم، وأن الله يبعثهم من قبورهم بعد النفخة الثانية في الصور، فيقوم الناس لرب العالمين، قال -تعالى-: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) [المؤمنون: ١٦]، يبعثهم الله إليه حفاة عراة غرلاً، قال الله -تعالى-: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: ١٠٤].

فيؤمن بالبعث والجزاء، وأن الله في ذلك اليوم يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، قال -تعالى-: (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) [الزمر: ٧٠]، ويؤمن أن بعد هذا اليوم داراً إما الجنة وإما النار، ويؤمن أيضاً ما يلحق باليوم الآخر من أحوال يوم القيامة من فتنة القبر فيعذب الله الكافر والمنافق، وينعم المؤمن، ويؤمن بما بعده من العرض، والنشور، والحوض، والميزان، وأخذ الصحف، وعبور الصراط، فبالإيمان بذلك يرغب العبد في فعل الطاعة رجاء ثواب ذلك اليوم، ويهرب عن فعل

المعصية خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

والإيمان بالقدر خيره وشره: أصل من أصول الإيمان، فيؤمن بأن كل شيء يحدث في هذا الكون قد سبق به قدر الله، قال -سبحانه-: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [الْقَمَر: ٤٩]، وأن الله -سبحانه- عالم بكل شيء قبل أن يخلق الخلائق، قال -سبحانه-: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الْحَجَّ: ٧٠].

ويؤمن المرء بأن الله كتب جميع أحوال العباد من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال في اللوح المحفوظ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة" (رواه أبو داود).

ويؤمن أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما من حركة ولا سكون في السموات والأرض إلا بمشيئة الله -سبحانه- لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأن الله أوجد جميع الخلق، وأن ما في الكون بتقديره وإيجاده قال الله -تعالى-: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الزُّمَر: ٦٢]، وقال -عز وجل-: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) [الْقُرْآن: ٢]، فيؤمن أنما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. ولا يصح إيمان المرء إلا بالإيمان بالقضاء والقدر، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "من وحد الله وكذب بالقدر، فقد نقض تكذيبه توحيدَه".

فالله قدر مقادير الخلائق بما يلائمهم من أمور دينهم ودنياهم، من الخير والشر، والصحة والمرض، والغنى والفقر.

فما قُدِّرَ للعبد فهو الخير له، لذا عليه الرضا والتسليم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له" (رواه مسلم).
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

أركان الإيمان الستة لا تتجزأ، فلا يصح إيمان المرء إلا بعد تحقيقها كاملة، دون الإخلال بواحد منها، فإذا حَقَّقَ أركانها فإن هناك ركنَ الإحسان، كما عرَّفَه النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (متفق عليه).

فالإحسان مأخوذ من الحسن وهو: الجودة وإتقان العمل، وهو نهاية الإخلاص؛ حيث يؤدي العمل على أكمل وجه في الظاهر والباطن، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "الإحسان هو فعل المأمور به، سواءً كان إحساناً إلى الناس أو إلى نفسه، فأعظم الإحسان: الإيمان، والتوحيد، والإنابة إلى الله - تعالى-، والإقبال إليه، والتوكل، وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً، فهذا هو مقام الإحسان".

وهو مرتبتان: أن تعبد الله كأنك تراه، مستحضراً عبادتك أنك بين يدي الله -عز وجل-، فيؤدي العمل وفق الكتاب والسنة مخلصاً فيه، كأنه يرى الله، عالم بأنه مطلع عليه يراه، فيحسن عمله، بل يجعله أحسن ما يكون.

والمرتبة الثانية: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فتعبد الله وتعلم أنه -سبحانه- مطلع عليك مما يورث لك إتقان العبادة، قال -تعالى- لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُ فِي السَّاجِدِينَ) [الشُّعْرَاءُ: ٢١٨-٢١٩].

فالله -سبحانه وتعالى-: يرى نبيه -صلى الله عليه وسلم- حال عبادته، ويراه في جميع أحواله حين يقوم، وتقلبه في الساجدين، والله -سبحانه وتعالى-: شهيد على أعمال العباد قال -تعالى-: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) [يُونُسُ: ٦١]، فالله -سبحانه- يعلم الأحوال، ويرى الأعمال، ويسمع الكلام، ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

القرآن الكريم

فضل القرآن الكريم

الخطبة الأولى:

من منّة الله على هذه الأمة، أن أرسل إليها خير رسله، وأنزل عليه أفضل كتبه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

فهو كتاب كريم كافٍ وشافٍ لكل من قام به وأدى حقه، أعجز العرب على بلاغتهم وفصاحتهم، وحيرهم في الحكم عليه، قال - سبحانه - : (مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [سَبَأ: ٤٣]، ومرة قالوا أساطير الأولين كما أخبر الله عنهم: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [الأنفال: ٣١].

وقد وصف الوليد بن المغيرة القرآن لقريش - وكان من رؤوسهم - : "فوالله ما من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه، ولا بقصيدهه، ولا بأشعار الجحّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وانه ليخطم ما تحته، وانه ليعلو وما يُعلى".

وقد تحدّى الله المشركين أن يأتوا بعشر سور مثله، فقال - سبحانه - : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ) [هُود: ١٣]، وتحداهم لما عجزوا عن العشر سور أن يأتوا بسورة واحدة، قال - سبحانه - : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) [يونس: ٣٨].

وبعدها قال - تعالى - : (قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: ٨٨].

وكان نزول القرآن الكريم على رسوله - صلى الله عليه وسلم - خلال ثلاثة وعشرين عامًا، نزل ابتداءً جملةً واحدة في ليلة القدر، في شهر رمضان، كما قال - عز وجل - : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) [البقرة: ١٨٥]، ثم نزل مُفَرَّقًا حسب الأحداث والوقائع قال - عز وجل - (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) [الإسراء: ١٠٦]، قال السخاوي - رحمه الله - : "في نزول القرآن إلى السماء جملةً تكريمٌ بني آدم، وتعظيمٌ شأنه عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم، ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفًا من الملائكة تشيع سورة الأنعام".

وللقران الكريم أسماءٌ منها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والهدى، والنور، والشفاء، والبيان، والموعظة،

والرحمة، وبصائر، والبلاغ، والكريم، والجيد، والعزيز، والمبارك، والتنزيل، والمنزل، والصراط المستقيم، وحبل الله، والذكر، والذكرى.

أما وصفه بأنه يقص وينطق ويحكم ويفتى ويشر ويهدي فقال: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَيَّ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ) [النمل: ٧٦]، و(هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) [الجاثية: ٢٩]، (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) [النساء: ١٢٧]، أي: يفتيكم أيضًا، (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ) [الإسراء: ٩].

تتابع الوحي خلال عقدين وزيادة، في الليل والنهار، والسفر والحضر، والسلم والحرب، في مكة والمدينة وخارجهما وما بينهما، وحرص الصحابة -رضي الله عنهم- على حفظه، وكتابته في العُشب -وهي جريد النخل- والرقاع، والأقتاب، إلى أن جمعه أبو بكر -رضي الله عنه-.

لكلام الله فضل ومزية، تطمئن القلوب عند ذكره، ويُستشفى المرضى به بإذن الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابنُ عبدِكَ، ابنُ أُمِّتِكَ، ناصيتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسألكَ بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيتَ به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقِكَ، أو أنزلته في كتابِكَ، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَكَ، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حُزني، وذهابَ همِّي؛ إلا أذهبَ اللهُ همَّه وحُزنَه، وأبدلَه مكانَه فرحًا"، قالوا: يا رسول الله! ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: "بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلَّمها" (رواه أحمد).

قارئه ينال أرفع الدرجات في الدنيا والآخرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين" (رواه مسلم)، وفي الآخرة قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" (رواه الترمذي).

نفعا الله بكتابه الكريم، وبهدي أفضل المرسلين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

كلام الله كلامٌ نفيس، مُحْكَمُ الآيات، مُبَيَّنُّ للأحكام، لا يملُّ القارئُ من تلاوته، ولا السامعُ من سماعه،

ولا العالم من بيانه، ولا المتعلم من تعلمه، كتابٌ لا تنقضي عجائبه، فهو كتابٌ مبارك، كما وصفه الله بقوله: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص: ٢٩]، أي: كثير البركة حسناً ومعنى، لكثرة فوائده، وعموم نفعه، ودائم منفعتة.

قال القشيري -رحمه الله-: "فهو مبارك، دائم، باق، لا ينسخه كتاب"، وقال الألوسي -رحمه الله-: "هو مبارك لما فيه من الخير الكثير لأنه هداية، ورحمة للعالمين"، فهو مبارك في تلاوته بالأجر الكثير، والخير العميم، كما في الحديث "لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (رواه الترمذي)، وهو مبارك بالاستشفاء به، كما في سيد القوم الذي لدغته عقرب، فقرأوا عليه الفاتحة، فبرأ فكأنما نشط من عقال، - والحديث بتمامه عند البخاري -، قال ميمون بن مهران -رحمه الله-: "حصلتان فيهما البركة: القرآن، والمطر".

فعليك بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، فهي نعمة تُغبط عليها، قال أبو ذر -رضي الله عنه-: "قلت يا رسول الله! أوصني قال: "عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله"، قال: يا رسول الله! زدني، قال: "عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخرٌ لك في السماء" (رواه ابن حبان).

فالقرآن الكريم بركةٌ لصاحبه في عمره، ووقته، وجهده، قال بعضُ السلف: "اشتغلنا بالقرآن، فعمرتنا الخيراتُ في الدنيا"، وأعظم هذه الخيرات الصحة والعافية، قال القرطبي -رحمه الله-: "من قرأ القرآن مُتَّعَ بعقله وإن بلغ المائة".

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، وجراء احزاننا. وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراحل جمع وكتابة القرآن الكريم

الخطبة الأولى:

من مَنَّةِ الله على هذه الأمة أن أرسل إليها خيرَ رسله -صلى الله عليه وسلم-، وأنزل عليها خيرَ كتبه، وهو القرآن الكريم، فهو حبل الله المتين، مَنْ قال به صدق، ومن عمل به رَشِدٌ، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، هو كلام الله منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، تكلم الله به حقيقة، آياته مُحَكِّمة، وأخباره مُتَقَنَة، أحكامه فصلٌ، وألفاظه جزل، ينال به العبد رفعتَه في الدارين، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "كان الرجل منّا إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدًّا فينا -أي: عَظُمَ-"، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أُشير له إلى أحدهما، قَدَّمه في اللحد وقال: "أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة"، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يُغسلوا، ولم يُصلَّ عليهم (رواه البخاري).

وإذا نزل الروح الأمين جبريل -عليه السلام- بالوحي، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في وصف ذلك: "أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"، قالت عائشة -رضي الله عنها- ولقد رأيته ينزل عليه، الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا (متفق عليه).

وإذا نزل عليه الوحي "كربَ لذلك وترَبَّد وجهُه" -أي: علَّتَه غبرة وتغيَّر من البياض إلى السواد- (رواه مسلم)، "وإذا نزل عليه الوحي وهو على راحلته تضرب بِجَرَانِهَا" (رواه أحمد)، والجِران: باطن العنق، والبعير إذا استراح مدَّ عنقه على الأرض.

القرآن الكريم مفهوم الخطاب، مناسب للمخاطب، خاطَبَ المشركين بمكة بعبارات التوحيد والبعث وإقامة الحجَّة، وخطَبَ أهلَ الإيمان في المدينة بتفاصيل الشرائع وأحكام المعاملات وذكَّر نعيم الجنة وأهوال النار.

وكان نزوله في ليلة القدر جملةً واحدة إلى السماء الدنيا، قال -سبحانه-: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر: ١].

ثم صار ينزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منجمًا حسب الوقائع، قال السيوطي -رحمه الله-: "قيل: السر في إنزاله جملةً إلى السماء تفخيماً أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم".

وفي إنزاله مفرقًا، تثبيت قلب النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال -سبحانه-: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: ٣٢]، فالمخاطبون أمة أممية، فما كان لهذه الأمة أن تحفظ القرآن يُسرِّ لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيه، وتتدبر آياته، لذا تسابق الصحابة -رضي الله عنهم- إلى جمعه، وحفظه في الصدور، وتلاوته، وتعليمه، والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فقد كان عثمان وابن مسعود وغيرهما -رضي الله عنهما- إذا تعلموا من النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: "فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا".

وكان نزول آيات القرآن الكريم، إما لحادثةٍ تُحدث، فينزل القرآن الكريم بشأنها، مثل قوله -تعالى-: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [الشعراء: ٢١٤]، فصعد النبي -صلى الله عليه وسلم- الصفا، وجمع الناس، وخطب بهم، فقال أبو لهب تبًا لك، فأنزل الله -تعالى-: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) [المسد: ١].

وإما أن يُسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن شيء فينزل القرآن في بيان حكمه، كقصة ظهارٍ زوج خولة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- حين شكت للنبي -صلى الله عليه وسلم- حال زوجها فأنزل الله -سبحانه وتعالى-: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) [المجادلة: ١]، ولا يعني من هذا أن يُلتمس لكل آية سبب، بل القرآن ينزل أحيانًا ابتداء بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام.

واتخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- كُتَّابًا للوحي من أجلاء الصحابة، كعليٍّ ومعاوية وأبي بن كعبٍ وزيد بن ثابت -رضي الله عنهم-، كانت الآية إذا نزلت يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتابتها، ويرشدُهم إلى موضع سورتها، كما كان بعض الصحابة -رضي الله عنهم- يكتبون ما نزل من القرآن ابتداءً من أنفسهم دون أن يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيخطونه محفوظًا في عَسَبِ النخل، وصفائحِ الحجاره، والرِّقَاعِ، والأقْتَابِ، والأكْتَابِ، ولم يكن جمعه في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- في مصحف واحد، بل كان متفرقًا بين يدي الصحابة -رضي الله عنهم-.

وامتازت سور القرآن وآياته بأنها ذات منظومة متكاملة في البلاغة والقوة والإحكام، قال -سبحانه-: (كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود: ١]، قال أبو بكر بن العربي -رحمه الله-: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون بها الكلمة الواحدة منسقة المعاني مُنتظمة المباني".

وفقنا الله لتلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

لما كانت غزوة اليمامة واستشهد ستون قارئاً، هالت هذه الحادثة عمرَ بن الخطاب -رضي الله عنه- فأشار إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- بجمع القرآن، لئلا يضيع بموت الحفظ، فأمر زيد بن ثابت -رضي الله عنه- بجمعه، قال زيد -رضي الله عنه-: "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل مما أمرني به من جمع القرآن"، فجمعه من الرقاع، والأكتاف، والعُسب، في مصحفٍ واحدٍ مرتب الآيات والسور، قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع آيات الله".

ولما اتسعت الفتوحات في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وتفرق القراء في الأمصار، وحين غزا حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- غزوة أرمينية وأذربيجان، رأى اختلافاً كثيراً في وجوه القراءة، وبعض ذلك مشوب باللحن، وعدم إدراك البعض بتلك القراءة، ففرع حذيفة -رضي الله عنه- إلى عثمان -رضي الله عنه- وأخبره بما رأى وقال: "أدرك الأمة قبل أن تختلف كاختلاف اليهود والنصارى"، فأجمع الصحابة -رضي الله عنهم- على أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، ويحملوا الناس عليها، فنسخوها، وأرسل إلى كل أفقٍ بمصحفٍ مما نسخوه، وأمر بما سواه في كل صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يُحرق. وقد عُرف المصحف بالرسم العثماني، نسبةً إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

ولما كثرت الفتوحات، واختلطت اللسان العربي بغيره، دب الفساد اللغوي في نطق القرآن، يُروى أن قارئاً سمعه أبو الأسود الدؤلي يقرأ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) [التوبة: ٣]، فقرأها بجر اللام، في كلمة (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) اللحن، وقال: وعزة وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم ذهب إلى والي البصرة وقال له: قد أجبْتُكَ إلى ما سألت، فأظهر حركاتِ الأحرف.

ثم في خلافة عبد الملك بن مروان -رحمه الله- كثرت التصحيفات، ففكر الولاة في النقط والتشكيل، ثم كان الضبط بالحركات الحالية، التي أخرجها الخليل بن أحمد -رحمه الله-.

وحفظاً للقرآن وسيراً لعدد كلماته وأخرفه بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة، فجمعهم، واختار منهم الحسن البصري وغيره، وقال عُدُّوا حروف القرآن، فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعر، فأجمعوا أن كلماته سبع وسبعون ألفاً وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، ولا خلاف بين المسلمين بأن عدد سور

القرآن مائة وأربع عشرة سورة.

وبعد هذه الخلاصة في المراحل التي مرت بكتاب الله، إلى أن وصل لنا بهذه التحفة كتابه وضبطاً، قد أفلح من زين قلبه بكتاب الله، ورطب لسانه، وأهجع نفسه، وأسعد قلبه به. قال بشر بن السري -رحمه الله-: إنما الآية مثل التمرة، كلما مضغتها استخرجت حلاوتها، فحدث بها أبو سليمان فقال: صدق، إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتداء السورة أراد آخرها"، وقد ختم عثمان بن عفان -رضي الله عنه- القرآن في ليلة واحدة، فاحرص على تلاوته والعمل به.

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: "حامل القرآن حامل لواء الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يغلو مع من يغلو، ولا يسهو مع من يسهو".

وعلى قارئه الإخلاص وقيام الليل به، واجعل في يومك وليلتك وشغلك وفراغك ودارك نصيباً من القرآن الكريم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت" (رواه مسلم).

وعلى قارئ كلام رب العالمين أن يكون متطهراً لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يمس القرآن إلا طاهر" (رواه الإمام مالك)، وأن يستحضر معاني كلام الله عند تلاوته، قال -سبحانه-: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) [ص: ٢٩]، ويجب أن يستشعر قارئه بأن كلام الله عظيم، فيعظمه، قال -سبحانه-: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [الحشر: ٢١].

فرطب لسانك بكلام الله في يومك وليلتك، واجعل لك ورداً تقرؤه لكي تنال ثوابه. ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

تأملات في سورة الفاتحة

الخطبة الأولى:

أنزل الله -تعالى- في كتابه الكريم سورًا وآياتٍ، وفاضل بينها، وأفضل سورة في القرآن الكريم سورة الفاتحة، هي الفاتحة، وأم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها: "الحمد لله رب العالمين، أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني" (رواه أبو داود)، وهي كافية، ووافية، وشفافية، لا يقبل الله صلاة عبد إلا بها.

وسورة الفاتحة يقال لها: الرُّقية، فعندما رُقي سيدُ القوم بفاتحة الكتاب من أثر لدغة، كما في الصحيح من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي، فقال له رسول الله: "وما يدريك أنها رقية".

وسماها سفيان بن عيينة -رحمه الله- بالوافية، وسماها يحيى بن أبي كثير -رحمه الله- بالكافية. ويقال لها: سورة الصلاة والكنز.

وسميت بأم الكتاب، لأنه يبدأ بكتابتها في المصحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وسميت بذلك أيضًا لرجوع معاني القرآن الكريم كلّه إلى ما تضمنته، مع أن عدد كلماتها خمسٌ وعشرون كلمة، كما نقل ذلك ابن كثير -رحمه الله-.

ومن فضائلها ما ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده! ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان، مثلها وإنما السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته" (رواه الترمذي).

فعلى كل مسلم عَلم فضائل هذه السورة، أن يُعظّم كلام الله عمومًا، وأن يتأمل في معانيها العظيمة، فيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند البدء بالتلاوة، كما أمر الله -عز وجل- بقوله: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [التحل: ٩٨]، وفي حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر، قال: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه" (رواه أصحاب السنن).

والبسملة، ليست من الفاتحة كما في الحديث القدسي: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال:

الرحمن الرحيم، قال: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل" (رواه مسلم). قال النووي - رحمه الله -: إن هذا الحديث أوضح ما يُحتج به على أن البسملة ليست من الفاتحة.

بدأ الله - عز وجل - هذه السورة العظيمة بـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) [الْفَاتِحَةُ: ٢]، فالألف واللام لاستغراق جميع المحامد، وهو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، وهي ثناءٌ عليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، قال ابن جرير - رحمه الله -: "الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمّنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله".

وعرّف ابن عباس - رضي الله عنهما -: "الحمد لله" بأنها: كلمة الشكر، وإذا قال العبد الحمد لله، قال: "شكرني عبدي" (رواه ابن أبي حاتم)، وعند النسائي من حديث الأسود بن سريّ - رضي الله عنه - قال: "قلت يا رسول الله: ألا أنشدك محامد حمّدت بها ربي - تبارك وتعالى -، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أما إن ربك يحب الحمد".

والنبي - صلى الله عليه وسلم - يحمد الله في سرائه وضرائه فإذا أتى ما يُحب قال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتى خلاف ذلك قال: الحمد لله على كل حال" (رواه ابن ماجه).

ولم يذكر - سبحانه - لحمده هنا ظرفاً مكاناً ولا زماناً، ولكن ذكرها - سبحانه - في سورة الأنعام أن من ظروفه المكانية قوله - تعالى -: (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [الرُّوم: ١٨]، وفي سورة القصص ذكر الزمانية الدنيا والآخرة في قوله - تعالى -: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ) [الْقَصَص: ٧٠].

و(لِلَّهِ) في (الْحَمْدُ لِلَّهِ) هو اسم ربنا، لا يُسمّى به غيره، إلهنا لا إله لنا سواه، ولا ربّ لنا غيره، نحمده - سبحانه -، حمداً يليق بجلال وجه وعظيم سلطانه.

و(رَبِّ الْعَالَمِينَ)، الرب: هو ما اجتمعت فيه ثلاثة أوصاف: الخلق والملك والتدبير، والعالمين ما سوى الله فهو من العالم، لأن وجود العالم علامة لا شك فيها على وجود خالق لها، متضمناً صفات الكمال والجلال (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء: ٢٢].

فهو - سبحانه - مربيهم بالنعم، وخالقهم، ومالكهم، والمدبّر لهم كما شاء - سبحانه -.

وهو -عز وجل-: (الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ) وهما اسمان من أسمائه الحسنى، وهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، فالرحمن أوسع من الرحيم، لأن الرحمن ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرًا عن ولدها خشية أن تصيبه" (رواه مسلم).

والرحيم: ذو الرحمة للمؤمنين في يوم القيامة كما قال -سبحانه-: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [الأحزاب: ٤٣].

وهو -سبحانه- (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة: ٤]، وهو يوم الجزاء والحساب، فهو -سبحانه- مالك ذلك اليوم: الذي يجازي فيه الخلائق، ففيه يظهر ملكُ الله وحده، فالله ينادي في ذلك اليوم (لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) [غافر: ١٦]، فلا يجيب أحد فيقول: (لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ) [غافر: ١٦].

بعدها ذكر المولى -سبحانه- ملخصًا لأعمال الخلق في قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥]، فنعبده ونخلص له العمل، فالعبادة قائمة على فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وبه نستعين عليه وحده في أداء العبادات، وقضاء الحاجات، فلا نطلب العون إلا منه -عز وجل-، لأن الأمر كله بيده، لا يملك أحدٌ غيره معه مثقال ذرة، ولذا أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "إذا استعنت فاستعن بالله" (رواه الترمذي)، وهذا المعنى مشار إليه في آيات عديدة من كتاب الله (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) [مريم: ٦٥].

جعلنا الله ممن عبده حق عبادته، وتوكل عليه حق توكله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

بعد الثناء على الله وحده، بأنه -سبحانه- له الحمد كله، وأنه ربُّ العالمين، وأنه الرحمن الرحيم، وأنه مالك يوم الدين، وأنَّ له العبادة وحده، وبعد عهد الاستعانة، ناسب أن يُعَقَّبَ بالسؤال، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل" وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله، ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين في طلب الهداية في قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: ٦].

وهو الإرشاد والتوفيق إلى الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو المتابعة لله ولرسوله، وقيل: إن الصراط المستقيم: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد سواه، وقيل: الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقيل: القرآن الكريم.

قال البغوي -رحمه الله-: "هذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألفاظ والهدايات من الله -تعالى- لا تنتهي"، والعبد يسأل ربه الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها، حتى وهو متصف بما لا يحتاج العبد ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله، فأرشدته -تعالى- إلى أن يسأله في كل وقت أن يمدّه بالمعونة والثبات والتوفيق.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "هذا الدعاء: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أفضل الأدعية، وأوجبها على الخلق، فإنه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة".

وقال أيضاً: "إذا هدى الله العبد إلى هذا الصراط أعانه على طاعته، وترك معصيته، فلم يصبه شر لا في الدنيا، ولا في الآخرة -إلى أن قال-: وعلى العبد أن يجتهد في تحقيق هذا الدعاء، ليصير من الذين أنعم الله عليهم، كما وصفهم الله بقوله: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: ٦٩]".

فأهل الصراط المستقيم كما قال ابن القيم -رحمه الله-: "هم أهل تحقيق إياك نعبد وإياك نستعين". ثم حتم الله السورة بقوله -عز وجل- (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٧]، فالمغضوب عليهم: هم من عرفوا الحق وعدلوا عنه، وهم اليهود، فأخص أوصاف اليهود الغضب، قال -تعالى-: (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ) [المائدة: ٦٠].

و(الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٧]: هم من فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق، وهم النصارى قال -سبحانه-: (قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٧٧]، قال ابن القيم -رحمه الله-: "من لم يعرف الحق كان ضالاً، ومن عرفه ولم يتبعه كان مغضوباً عليه، ومن عرف الحق واتبعه فقد هدى إلى الصراط المستقيم".

أَجْمَلَ معنى هذه السورة إمام المفسرين ابن كثير -رحمه الله- فقال: "اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات، على حمد الله، وتمجيده، والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنی المستلزمة لصفاته العليا، وذكر المعاد، وهو يوم الدين، وعلى إرشاد عبده إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبري من حولهم وقوتهم إلى

إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية -تبارك وتعالى-، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يقضي لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم، في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة، ليكونوا من أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل، لئلا يُحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون".

وفقنا الله للعلم، والعمل بآيات هذه السورة العظيمة.

وجعلنا من أهل الصراط المستقيم، وأنعم علينا بجنات النعيم.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تأملات في آية الكرسي

الخطبة الأولى:

سور القرآن الكريم تتفاوت في الفضل، بما فيها من صفات ومعانٍ وأحكام، فسورة البقرة فيها من الأحكام، والآيات، والصفات العديدة.

ففيها أطول آية في القرآن، وفيها أعظم آية، وفيها آخر ما نزل من القرآن، وفيها كما قال ابن كثير - رحمه الله -: "ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي".

والصحابية -رضي الله عنهم- يتعاضمونها في الشدة والرخاء، ويُنادون عند تعثر سير المعارك بأهلها، ذُكرت فيها أركان الإسلام الخمس، والتوجه للقبلة، وجملة من الأحكام، والمعاملات، والقصص، والأخبار.

ورد في فضل هذه السورة ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، فإن البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان"، وفي الحديث المتفق عليه: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"، وفي حديث أبي إمامة -رضي الله عنه- قال سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "اقرأوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرأوا الزهراوين، البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقانٍ من طير صَوَافٍ، تحاجان عن أصحابهما، ثم قال اقرأوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة" (رواه مسلم). قال النووي -رحمه الله-: سميت بالزهراوين "النورهما، وهدايتهما، وعظيم أجرهما".

وورد في حديث حذيفة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش" (رواه مسلم)، وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "بينما جبريل قاعد عند النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال أبشر بنورين أتيتهما، لم يؤتتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أُعطيته" (رواه مسلم).

وفي سورة البقرة أعظم آية فيها، بل في القرآن الكريم كلُّه، إنها آية الكرسي، شأنها عظيم، وثوابها كبير، سأل رسول الله أبي بن كعب -رضي الله عنه-: "أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله

أعلم، فرددتها مراراً، ثم قال: آية الكرسي قال: ليهنك العلم أبا المنذر" (رواه مسلم).

قال القرطبي -رحمه الله-: "آية الكرسي سيدة آي القرآن، وأعظم آية، ونزلت ليلاً ودعا النبي -صلى الله عليه وسلم- زياداً فكتبها"، وهي حصن حصين، وحرز من الشيطان الرحيم، كما في قصة أبي هريرة -رضي الله عنه- في الصحيح أن الشيطان قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، فإنك لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما إنه صدقك وهو كذوب".

آية الكرسي اشتملت على عشر جمل مستقلة، أولها: وهو أصل خلق الخلائق (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، فلا معبود بحق إلا الله، فهو الإله الحق الذي يجب على المخلوقات صرف العبادة له -سبحانه- لكمالهِ وكمال صفاته وعظيم نعمه، فمن أجل "لا إله إلا الله" أرسلت الرسل -عليهم السلام- قال -سبحانه-: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنة والنار.

وهو -سبحانه-: (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: ٢٥٥]، حي لا يموت، والإنس والجن يموتون، فهو -سبحانه- له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله.

وهو -سبحانه- قيوم لغيره، فجميع المخلوقات مفتقرة إليه وهو -سبحانه- غني عنها لا قوام لها بدون أمره.

وهذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمن، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللّهج بها جداً، وقال لي يوماً: لهذين الاسمين - وهما الحي القيوم - تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم".

فليحرص المسلم على حفظ هذه الآية الكريمة، لما ورد فيها من توحيد، وثناء على الله بما هو أهله، من الصفات العلى والأسماء الحسنى.

وقفنا الله لتدبر كلام الله -سبحانه-.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من صفاته -عز وجل- (لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) [البقرة: ٢٥٥]، أي: لا تغلبه سنة، وهي الوسن

والنعاس، وذلك لكمال حياته وكمال قيوميته، وقد ورد في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجاب النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سُـ بُحاثُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

والله -سبحانه-: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [البقرة: ١١٦]، مُلْكًا وَخَلْقًا وَجَمِيعُ عِبِيدِهِ، وَفِي مَلِكِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَسُلْطَانِهِ، قَالَ -سبحانه-: (إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [مریم: ٩٣-٩٥].
ومن عظمة الله وجلاله وكبريائه، أنه لا يتحاصر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة، وهي في قوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: ٢٥٥]، ولا بد للشفاعة من شرطين: إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له، قال -سبحانه-: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم: ٢٦].

وهي فضلٌ من الله ورحمة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- له شفاعات، واختص يوم المحشر بشفاعة تعجيل الحساب، وهي في قوله -تعالى-: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) [الإسراء: ٧٩]، فبعد أن يعتذر آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- يأتون إلى نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فيقول: "أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأحزُّ له ساجدًا، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقُلْ يَسْمَعُ لَكَ، وَاسْأَلْ تَعْطَى، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي" (رواه البخاري). والشفعاء كثيرون، منهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة، وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى.

والله -سبحانه- عِلْمُهُ مَحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، مَاضِيهَا، وَحَاضِرُهَا، وَمُسْتَقْبَلُهَا: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) [البقرة: ٢٥٥]، فَيَعْلَمُ -سبحانه- مَا خَلْفَهُ فِي الدُّنْيَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَمَا يَقْدِمُونَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ -عز وجل-، وَأَطَّلَعَهُ عَلَيْهِ، قَالَ -تعالى-: (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) [البقرة: ٢٥٥]، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ -سبحانه-: (عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رِصْدًا) [الجن: ٢٦-٢٧].

ومن عظمة الله -عز وجل- أن كرسيه وهو موضع القدمين، وسع السموات والأرض، فيدل على

عظمتها وعظمة مَنْ فيها، والكرسي ليس أعظم مخلوقات الله، بل العرش أعظم منه. والله - سبحانه - لا يُثقله ولا يُكرِّثُه حفظ السموات والأرض ومن فيها، وما بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير عنده، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، وهو - سبحانه - عليٌّ بذاته، وجامعٌ لصفات العظمة والكبرياء.

وأجمَلَ معنى هذه الآية شيخُ الإسلام - رحمه الله -: "ليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي".

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تفسير قوله -تعالى- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

الخطبة الأولى:

أسماء الله -جل وعلا- حسنى، قال -سبحانه-: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [الأعراف: ١٨٠]، ومعنى كون أسماء الله -جل وعلا- حسنى: أي بالغة نهاية الحسن، والجمال، والجلال، والكمال. وصفات الله -جل وعلا- تنقسم إلى صفات ذاتية وصفات فعلية:

فالصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عن الله -جل وعلا-، كالسمع والبصر.

والصفات الفعلية: هي المتعلقة بمشيئة الله، مثل صفة الغضب، فإنه يغضب ويرضى، يغضب إذا شاء، ويرضى إذا شاء، قال -سبحانه-: (وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) [طه: ٨١]، وحديث الشفاعة أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله" (متفق عليه).

ومن أسماء الله: السميع والبصير، وهما يأتیان مقرونان في القرآن الكريم كثيراً، قال الله -تبارك وتعالى-: (فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [غافر: ٥٦]، وقال -سبحانه-: (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة: ١]، وقال: (إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى) [طه: ٤٦].

ف(السميع): مبالغة من (سامع)، يعني الذي لا يفوت سمعه شيء، و(البصير): مبالغة من (المبصر)، وهو: الذي لا يفوت بصره شيء.

يعلم ويرى ويسمع ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، بل ويرى من هذه النملة العروق، وما يجري فيها من طعام، وورود اسمي السميع والبصير بصفة الماضي في قوله -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: ٥٨]، لثبوت الصفة أزلاً وثبوتها فيما بعد ذلك.

وهاتان الصفتان، السمع والبصر، من صفات الكمال، فألهة المشركين التي يعبدونها ليست متصفة بهذه الصفة، كما في قول إبراهيم لأبيه: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) [مريم: ٤٢]، وقال لقومه: (هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ) [الشعراء: ٧٢]، قال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم -أي: ارفقوا بأنفسكم-؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه، وتعالى جده" (رواه البخاري).

وفي قصة المجادلة قالت عائشة -رضي الله عنها-: "تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي تقول: يا رسول الله! أَكَلَّ شِبَابِي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) [المجادلة: ١]" (رواه ابن ماجه).

والله -سبحانه وتعالى-: يسمع الصوت المسموع، والمتناجى به، قال -سبحانه-: (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [المجادلة: ٧]، سواء كان المتكلمون قلة أو كثرة، فكل داعٍ في السماء أو في الأرض أو ما بينهما، فإن كل أقوالهم وإن كانوا في وقت واحد فإن الله يسمعها، دون أن يشغله آخرون، وهذا خلاف صفة المخلوق الضعيف، الذي لا يمكن أن يستمع إلى قول إلا واشتغل باستماعه إياهم عن أقوال الآخرين.

وقفنا الله وإياكم للعمل الموصل لمرضاته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الله -جل وعلا- يرى كل مرئي، سواء كان ذلك الشيء صغيراً أو كبيراً، خفياً أم غير خفي، فلا تغيب عنه غائبة -جل وعلا- في الأرض ولا في السماء ولا ما بينهما، ولا تخفى عليه خافية، يبصر ويرى كل شيء -سبحانه وتعالى-، قال -تعالى- لموسى وأخيه هارون: (لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى) [طه: ٤٦].

ففي الآية الكريمة: إثبات صفة السمع والبصر له جل شأنه، إثباتاً يليق بجلاله وعظمته، وهما من صفات الكمال.

وقال لنبيه -عليه السلام- (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشُّعْرَاء: ٢١٨-٢٢٠]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أي حين تقوم إلى الصلاة، وقال مجاهد: حين تقوم حيثما كنت.

والله -عز وجل- مطلع على أحوال رسوله -صلى الله عليه وسلم- قال -تعالى-: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ

رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) [الطُّور: ٤٨]، قال ابن كثير -رحمه الله- أي: "اصبر على أذاهم ولا تبالهم، فإنك بمراى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس".

والله بصير بعمل كل عامل، بصير بعمل عباده المؤمنين، قال -تعالى-: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة: ١١٠]، قال ابن جرير -رحمه الله-: "هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين، أنهم مهما فعلوا من خير أو شر، سرًا وعلانية، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء، فيجزئهم بالإحسان خيرًا، وبالإساءة مثلها، فلا يخفى عليه شيء من الأحوال والأقوال والحركات والسكنات".

وهو -سبحانه- بصير بأعمال المشركين، قال -تعالى-: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [البقرة: ٩٦]، أي: أن الله ذو إِبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر.

فالله يبصر كلَّ شيء وإن دق وصغُر، فيبصر ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في نونيته:

وهو البصير يرى ديبب النملة ال*** سوداء تحت الصخر والصوان ويرى مجاري القوت في أعضائها*** ويرى عروق بياضها بعيان ويرى خيانات العيون بلحظها*** ويرى كذلك تقلب الأجنان

فعلى المسلم أن يثبت صفة البصر إثباتًا يليق بجلاله -سبحانه- قال -سبحانه-: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]، وفي السنن: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قرأ على المنبر: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: ٥٨]، ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه". قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولا ريب أن مقصوده تحقيقُ الصفة، لا تمثيلُ الخالق بالمخلوق".

والإيمان بذلك له أثر إذا قر في القلب، فإذا استشعر المسلم بأن الله سميع وأنه بصير أحدث له المراقبة، وأن الله يسمع كلامه وسيحاسبه على ما تكلم به، كما في قوله -تعالى-: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

كُلُّ أَوْلِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٣٦]، فيحامي المسلم سمعه من الحرام، ومن الاستهزاء بشرع الله، ويعمل بجواره في الطاعات والقربات.

ثم اعلّموا أن قُرْبَ الله - عز وجل - لا ينافي علوه، فهو قريب، وهو مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١]، لا في ذاته ولا في صفاته (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١].

جعلنا الله ممن يستعمل جوارحه في مرضاته.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تفسير قوله -تعالى-: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)

الخطبة الأولى:

أعظم ما يتدبره المسلم هو آي القرآن الكريم فينهل من علومه، ويقف على ما فيها من الأحكام، ويعرف جزاء ما أعده الله لأولياته من النعيم المقيم، والثواب الجزيل؛ وها نحن نقف اليوم على آيتين عظيمتين من كتاب الله، أمر الله بهما عباده للمسارعة في الخيرات، فقال - سبحانه-: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فقد ندب الله عباده إلى المسارعة لأداء الخيرات لنيل أرفع الدرجات بقوله: (وَسَارِعُوا) [آل عمران: ١٣٣]، وقد وردت آيات تدل على المبادرة بقوله - سبحانه-: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) [الحديد: ٢١]، وقوله - عز وجل-: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) [البقرة: ١٤٨]، وهذا الأمر إنما يدل على اغتنام الفرص على الفور لا التراخي؛ لتحقيق الأعمال الصالحة قبل بلوغ الأجل، والمسارعة والمسابقة إلى موجبات دخول الجنة يكون بالإيمان بالله والعمل الصالح.

وقد عرف الصحابة -رضي الله عنهم- قدر ذلك، فكانوا يتنافسون فيما بينهم -غنيهم وفقيرهم-، كما في حديث أهل الدثور، وبسؤالهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بقول: "أوصني"، أو "دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة"، أو بسؤالهم عن: "أي العمل أحب إلى الله"، أو كمنافسة عمر لأبي بكر -رضي الله عنهما- بإنفاق نصف مال.

وقد كانت المسارعة والمنافسة فيما بينهم -رضي الله عنهم- ليس لتحقيق أمر دنيوي، أو لنيل رئاسة، أو لأخذ غنيمة، وإنما المسارعة إلى الأسباب التي ينال بها العبد مغفرة الله ورضوانه، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، حتى يفوز بالدخول في الجنة.

ووصف الله في هذه الآية الكريمة اتساع دار المتقين الجنة، بأنَّ عَرْضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، لأنها أكبر مشاهدٍ للناس، قال ابن كثير -رحمه الله-: عرضها كطولها، لأن الجنة قبةٌ تحت العرش، والشيء المقبب والمستدير عرضه كطولها، ودل على ذلك ما ثبت في الصحيح: "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تنفجر أنهار الجنة، وسقفها عرش الرحمن" (رواه البخاري).

هذه الجنة أعدها الله -تعالى- لعباده المتقين كما في قوله -تعالى-: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ] [الرعد: ٣٥]، و(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) [محمد: ١٥].

ثم بيّن الله صفات هؤلاء المتقين في هذه الآيات بثلاث صفات:

الأولى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) [آل عمران: ١٣٤]، أي: في الشدة والرخاء، والمنشط والمكروه، والصحة والمرض، كما في قوله: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) [البقرة: ٢٧٤]، فلا يشغلهم أمر عن طاعة الله - تعالى - والإنفاق في مرضاته، والإحسان إلى خلقه من قرابتهم وغيرهم بأنواع البر.

وهذه الصدقة ليس لها حد، والصدقة إذا كانت من قلب مخلص فإن جزاءها سيكون عظيمًا، قليلة كانت أو كثيرة، ولذا وبّخ الله المنافقين من سخرتهم لفقراء المسلمين، حين ندهم النبي - صلى الله عليه وسلم - للصدقة لتجهيز جيش تبوك، فلما أتى أبو عقيل بنصف صاع من تمر قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا فنزلت الآية: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة: ٧٩]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" (متفق عليه).

الصفة الثانية لعباد الله المتقين: كظم الغيظ قال - سبحانه - : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) [آل عمران: ١٣٤]، إذا ثار بهم الغيظ كظموه وكنموه، وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من كتم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره أي الحور شاء" (رواه ابن ماجه).

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة" (رواه الطبراني)، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (متفق عليه).

وفي الجنة بابٌ للكاظمين الغيظ يدخلون منه كما يدخل الصائمون من باب الريان، وطلب رجل من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يوصيه فقال له لا تغضب، فقال السائل: فكفرت حين قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله.

وداء الغضب كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" (رواه أبو داود)، وبالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ففي حديث سليمان بن صرد -رضي الله عنه- قال: استب رجلان عند النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (رواه البخاري).

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المتقين.
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الصفة الثالثة لعباد الله المتقين: (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) [آل عمران: ١٣٤]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: مع كف شرهم يَغفون عن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدةً على أحد، وهذا أكمل الأحوال"، ولذا قال الله: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [الشورى: ٤٠].

والعفو من صفات الكرماء، قال يوسف -عليه السلام- لإخوته: (لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [يوسف: ٩٢]، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال الله له: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف: ١٩٩]، وفي الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، ومن تواضع لله رفعه الله" (رواه أحمد).

فاللهم إن نسألك رضاك والجنة.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أصحاب الفيء

الخطبة الأولى:

مَنْ اللهُ عَلَى قريشِ بِمَنْ كَثِيرَةٍ، كاصطفاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منهم، وخدمة السقاية والحجابة -وهي حفظ البيت- ونزول سورة من القرآن فيهم، ومنع عنهم أصحاب الفيل، حين أرادوا هدم الكعبة المشرفة.

قال ابن كثير -رحمه الله- في حفظ الله لبيته العتيق: "هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، حين صرف عنهم أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ونحو آثارها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنوفهم، وخيب سعيهم، وأضل أعمالهم، وردهم بشر خيبة".

وكان أصحاب الفيل قوماً نصارى، ودينهم أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإنه في ذلك العام ولد نبينا -صلى الله عليه وسلم- ولسان الحال يقول: لم نصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه، ونعظمه، ونوقره، ببعثة النبي الأمي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

وقد جرت أحداث هذه الحادثة، حين بنى أبرهة كنيسته عالية تسمى "القليس"، وعزم على أن يصرف حج العرب إليها، كما يُحجُّ إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك، فكرهت العرب -العدنانية، والقحطانية- ذلك، وغضبت قريش غضباً شديداً، حتى قصدها بعضهم ليلاً فأحدث فيها، وكثر راجعاً، فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمره إلى أبرهة، وقالوا: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم ليسيرن إلى بيت مكة وليخرتنه حجراً حجراً.

فسار بجيشٍ عرمرمٍ لثلا يصده أحد عنه، واصطحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة، لم يُر مثله، وبصحبه أفيال، قيل: ثمان، وقيل: اثنا عشر، وأتى بها ليجعل السلاسل في أركان الكعبة، وتوضع في عنق الفيل ليلقي الحائط جملة واحدة.

سار الجيش وتصدت بعض القبائل له فهزمها، وأسَرَ مَنْ يَدُّهُ عَلَى بلاد الحجاز، إلى أن وصل إلى المَجَّس - وهو قريب من مكة - وأغار على سِراح أهل مكة من الإبل فأخذها، وكان منها مائتا بعير لعبدالمطلب.

في هذه الأثناء أرسل أبرهة من يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك أبرهة لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت، فدلوه على عبدالمطلب فقال: "والله ما نريد حربته، وما لنا بذلك من طاقة، هذا

بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه".

فذهبوا به إلى أبرهة فلما رآه أجَّله، وكان عبدالمطلب رجلاً جسيماً، حسنَ المنظر، وقال لترجمانه: ما حاجتك؟ قال: أن يرد الملك عليّ مائتي بعير أصابها لي، فقال لترجمانه: قد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبناها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمني فيه؟!

فقال عبدالمطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: أنت وذاك".

ويذكر أن أشرافاً مع عبد المطلب عرضوا على أبرهة ثلث أموال تامة على أن يرجع عن البيت فأبى، ورد أبرهة إبلَ عبدالمطلب، وأمر بَعْدَهَا عبدُ المطلب قريشاً بالخروج من مكة والتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش.

نفعنا الله وإياكم بالقرآن العظيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

في قصة أصحاب الفيل دروسٌ وعبرٌ، منها:

أنه لما تهيأ أبرهة لدخول مكة، وهيئاً فيله العظيم، ووجهه نحو مكة برك الفيل، فضربوه وأبى التحرك، فلما امتنع ووجهه إلى اليمن قام يهرول، ووجهه للشام والمشرق ففعل مثل ذلك، ووجهه بعدها لمكة فبرك.

وفي رواية الواقدي -رحمه الله-: أنه إذا وجهه للحرم برك وصاح، وكان يصنع ذلك، وهو فيل الملك تقتدي به بقية الفيلة، وكان فيهم فيل تشجج، فحُصِب، فهربت بقية الفيلة، فلما طال الفصل وأهل مكة في جبالها ينظرون ما الحبشة يصنعون وما يلقون من أمر الفيل -وهو العجب العجاب- فأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار، حجرٌ في منقاره، وحجران في رجله -أمثالُ الحِمَصِ والعَدَسِ- ولا يصيب أحداً منهم إلا هلك.

وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله، بأسانيدٍ صحيحةٍ- وصفَ الطير التي خرجت: أن لها خراطيمَ كخراطيم

الطير، وأكفَّ الكأكفَّ الكلاب، وقيل: إنها طير خُضِرَ خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع. وقيل: طيور سودّ بحرية، في مناقيرها وأظافرها الحجارة، فجاءت وصفت على رؤوسهم ثم صاحت، وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحًا شديدة فزادتها شدة فأهلكوا جميعًا.

وفي رواية أخرى عن عطاء بن يسار -رحمه الله- انه قال: ليس كلهم أصابهم العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعًا، ومنهم من جعل يتساقط عضوًا عضوًا وهم هاربون - ومنهم أبرهة - وقيل: إنه أصيب في جسده فخرجوا به معهم يسقط أمثلة أمثلة حتى قدموا صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه.

وذكر مقاتل بن سليمان -رحمه الله- أن قريشًا أصابوا مالا جزيلًا من أسلابهم وما كان معهم. فالله -سبحانه- أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم، وغيظهم لم ينالوا خيرًا، وهذا وعد الله وحفظه لبيته (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [الحج: ٢٥].

فما من عدو قصده إلا رده الله، وما من أحد خدمه إلا أعزه الله وحفظه.

وفقنا الله لتعاهد بيته الحرام بالطاعات والقربات.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمور الغيب

الخطبة الأولى:

وسِعَ عِلْمُ اللَّهِ -عز وجل- السموات والأرض، وما بينهما، وما فيهن، فالأرزاق والآجال وغيرها من المغيبات التي اختص الله بعلمها، متى وقتها وقدرها، والمعيّبات عند الخلق لا تغيب عنه -سبحانه- قال -عز وجل-: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: ٥٩].
فالله -سبحانه- لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وليس لأحدٍ معرفة ذلك، لا ملكٍ مقرب، ولا نبيٍّ مرسل، قالت عائشة -رضي الله عنها-: "من زعم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم الفرية والله يقول: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) [التَّمَلُّ: ٦٥]،" (رواه مسلم).

وقد أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يبين للناس أنه لا يعلم الغيب في قوله -تعالى-: (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَعْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ) [الأنعام: ٥٠].

وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- مفاتيح الغيب الخمسة، التي استأثر الله بها قال -عز وجل-: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: ٣٤].

فعلم الساعة، لا يعلم وقوعها أشرف ملك، ولا أشرف رسول، سأل جبريل -عليه السلام- رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول بأعلم من السائل"، والله -عز وجل- قال: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) [الأعراف: ١٨٧]، وإنما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن علاماتها: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان" (رواه مسلم).

ثم ذكر الله -سبحانه وتعالى-: نزول الغيث، فقال -سبحانه- مختصًا بهذا الخير العميم: (وَهُوَ الَّذِي يُنزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) [الشورى: ٢٨]، فمن اعتقد أن نزول المطر من عند غير الله فقد كفر.

قال زيد بن خالد -رضي الله عنه-: خطبنا النبي -صلى الله عليه وسلم- على إثر سماء كانت من

الليل، فقال: "أتدرون ماذا قال ربكم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب" (متفق عليه).

وقد ذكر الله عن تكوين السحب ونزول المطر ما يدل على كمال قوته، وقدرته، وتدبيره -عز وجل-، فهو -سبحانه- يبعث الرياح المثيرة، فتثُمُّ الأرضَ قَمًّا، ثم يبعث المباشرة فتثير السحاب فيجعله كسفًا، ثم يبعث المؤلِّفة فتؤلف بينه فتجعله ركامًا، ثم يبعث اللواقح فتُمطرُ السماء، قال -سبحانه-: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) [النُّور: ٤٣].
فإثارة السحاب من البحر، أو مما يشاء الله -عز وجل-، فيبسطه في السماء كيف يشاء، أي: يمدّه فيكثُرُه وينمِّيهِ، ويجعل من القليل الكثير، ينشئ سحابة في رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق.

ثم ذكر المولى -سبحانه- عِلْمَهُ بما في الأرحام، فلا يَعْلَمُ أحد: (مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) [الرَّعد: ٨]، نوعه، وجنسه، ولونه، وإذا عُلِمَ بالوسائل الحديثة بعضُ ذلك، فإنه لا يكون إلا بعد نفخ الملك للروح في الجنين، فزال علم الغيب، لأن الملك عِلِمَ بنوعه، وإذا أظهر العلم الحديث التعرف على نوع الجنين بعد النفخ في الروح، فلا يزال الغيب في معرفة الرزق والعمل والأجل والسعادة والشقاء، فسبحان من أحسن وأبدع كلَّ شيءٍ خلقه.
وقفنا الله لِقَدْرِهِ حق قدره.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من المغيبات التي استأثر الله بها: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا) [لقمان: ٣٤]، أي: ما تعمل في الغد من خير أو شر، من كسب دينها وديناها، وما يعتري حياة المرء من صحة وسقم.
ثم ختم المولى -سبحانه- الآية بقوله: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) [لقمان: ٣٤]، فلا يعلم العبد متى يموت، وأين يموت، فقد يَعْبُرُ المرءُ المفاوِزَ والأخطارَ، ويظن أنه لا يجاوزها سالمًا، ويُقدِّرُ الله له أن يموت في بلد لا يظن أنه سيذهب إليها يومًا من الدهر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة" (رواه أحمد)، فيذهب إلى الموضع المقدر له - إما تجارة،

أو تعلمًا، أو علاجًا، أو زيارة - ثم يأتيه الأجل هناك.
اللهم اختتم بالصالحات أعمالنا.
صلوا وسلموا على خير البرية.

تفسير قوله -تعالى- (إن الله يدافع عن الذين آمنوا)

الخطبة الأولى:

القارئ للتأريخ يجد أن الأيام تحمل في طياتها منحنًا ومحنًا، وآمالًا وآلامًا، وأن كل ما يحصل لأوليائه من شدة وبلاءٍ، وكرب وعناء، فالله لطيف في قدره، حكيم في تدبيره، حيث قال وهو أصدق القائلين: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [الحج: ٣٨]، وقد نزلت هذه الآية في الصحابة -رضي الله عنهم- يوم أن كانوا في مكة مستضعفين، وكانت قريش تؤذيهم، فوعدهم الله أنه يدافع عنهم شرهم وأذاهم.

قال الزمخشري -رحمه الله- في قوله: (يُدَافِعُ): أي: "يبالغ في الدفع عنهم"، وهي كرامة من الله لأوليائه، وبشارة وتقوية لعزائمهم.

وفي ذلك قال ابن كثير -رحمه الله-: "يخبر -تعالى- أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار، وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم، كما قال -تعالى-: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) [الرُّم: ٣٦]"، وهذه المدافعة بحسب إيمان العبد بمولاه؛ لأن أولياء الله لهم النصيب الأكبر في الدفاع عنهم، قال الله -سبحانه- في الحديث القدسي: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فهو -تعالى- يدافع عن الذين آمنوا حيث كانوا، فالله هو الدافع، والسبب هو الإيمان". وقال قتادة -رحمه الله-: "والله -سبحانه- لن يضيع رجلاً قطُّ حفظ له دينه".

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "دفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله -تعالى-، فمن كان أكمل إيمانًا وأكثر ذكرًا كان دفعُ الله -تعالى- عنه ودفاعُه أعظم، ومتى نقص نقص، ذكراً بذكر، ونسياناً بنسيان".

والأحداث التي مرت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مكة، أو في الغار، أو طريق الهجرة، أو في غزواته، تبين حفظَ الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم- رغم الأهوال والأخطار.

ثم قال -سبحانه- في الآية: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [الحج: ٣٨]، فذكر -سبحانه- صِفَتَيْنِ: هما الخيانة، والكفر، وهما قبيحتان، فالخون: هو الخائن في أمانة الله، وهي أوامره ونواهيه، والكفور: الجاحد لنعم الله، فلا يعترف بها.

بعدها نزلت أول آية بعد الهجرة في محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، قال ابن كثير -رحمه الله-

في تفسير قوله -تعالى-: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩]: "هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته".

وكانت جريرة هؤلاء الأولياء المستضعفين، أنهم أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن قالوا ربنا الله، فما كان إلى قومهم إساءة وأذى، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له. فمن حكمة الله بخلقه أنه -سبحانه- قال: (وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) [الحج: ٤٠]، قال الزجاج -رحمه الله-: "أي: لولا أن الله دفع بعض الناس ببعض لهدم الصوامع والبيع، فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس التي كان يصلى فيها في شريعته، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد".

ثم قال -سبحانه-: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) [الحج: ٤٠]، أي: أن الله قوي غالب، فمن أراد نصرته نصره، ولو اجتمع عليه أقطار الدنيا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله".

بعدها ختم الله الآية بقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج: ٧٤]، قال ابن عاشور -رحمه الله-: "كان نصرهم مضموناً، لأن ناصرهم قدير على ذلك بالقوة والعزة".

وقد أنجز الله -سبحانه- وعده فسلب المهاجرين والأنصار على صنديد قريش، وأكاسرة العجم وقياصرتهم، وأورثهم أرضهم وديارهم، كما قال -سبحانه-: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: ٤٧]، و(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر: ٥١]. فاللهم انصر عبادك المؤمنين.

الخطبة الثانية:

إن معركة الحق والباطل دائمة منذ بزوغ فجر الرسالة، والله -سبحانه- ينصر أوليائه بعددكم ولو كانت قليلة، قال -سبحانه-: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة: ٢٤٩].

وقد ينصر أوليائه بدون قتال، كما حصل في الأحزاب وغيرها قال -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الأحزاب: ٩].

وقد يُلقي الله الرعب والهلع والجزع في قلوب أعداء أوليائه، كما حصل ليهود بني النضير، قال - سبحانه - في وصفهم (مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) [الحشر: ٢].

وقد يكون هناك قتل وجراحات لأوليائه ولكن الله - سبحانه - لطف بهم، كما حصل في أحدٍ حيث قُتل من الصحابة سبعون، وكان هدفُ المشركين استئصالَ حزبِ الرحمن، خاصةً بعد مقتل صناديد قريشٍ في بدر، والله في حُكمه وتدييره لخالقه شؤون.

فاللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأحاديث النبوية

شرح حديث "إنما الأعمال بالنيات"

الخطبة الأولى:

من الأحاديث النبوية التي عليها مدار عمل المسلم في جميع عباداته، قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" (متفق عليه).

وقد اهتم العلماء بهذا الحديث العظيم، وجعلوه فاتحة مصنفاتهم، كالإمام البخاري وابن رجب وغيرهما، قال عبد الله بن مهدي -رحمه الله-: "من أراد أن يصنف كتابًا فليبدأ بحديث: "الأعمال بالنيات" ". ولأهمية هذا الحديث وقوة مدلولاته، قال ابن رجب -رحمه الله-: "هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها". وقال الشافعي -رحمه الله-: "هذا الحديث ثلث العلم". وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: "إنما الأعمال بالنيات"، وحديث عائشة: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد"، وحديث النعمان بن بشير: "الحلال بين والحرام بين". وصدق النية ومصاحبته للعمل أهم الأعمال، قال عمر -رضي الله عنه-: "أفضل الأعمال أداء ما افترض الله -عز وجل-، والورع عما حرّم الله -عز وجل-، وصدق النية فيما عند الله -عز وجل-". هذا الحديث "إنما الأعمال بالنيات" عجيب في ألفاظه، فقائله أعطي جوامع الكلم -صلى الله عليه وسلم-، وغريب في تفرّد راويه، فالصحابه -رضي الله عنهم- مع أن عددهم كثير، لم يروه عن رسول الله إلا عمر -رضي الله عنه- فقط، وتفرّد بروايته عن عمر يحيى بن سعيد الأنصاري، ثم رواه عنه الخلق الكثير، والجهم الغفير، فقيل: رواه أكثر من مائتي راوٍ، وقيل: سبعمائة راوٍ، واتفق العلماء على صحته وتلقيه بالقبول.

في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "الأعمال بالنيات"، كل عمل لازمته نية صادقة فصاحبها مأجور على أدائها، قال الله -سبحانه- في وصف حال الفقراء الذين رغبوا مشاركة النبي -صلى الله عليه وسلم- في تبوك وتعدّد وجود الرّحل: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) [التوبة: ٩٢].

قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهم: "إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض"، وفي رواية: "حبسهم العذر" (رواه مسلم)، وعلى مثلهم قال النبي -

صلى الله عليه وسلم-: "من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه" (رواه مسلم).

وأما إذا كان العمل صالحًا وافتقد النية كان العمل هباءً منثورًا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "رُبَّ قتيل بين الصفيين، الله أعلم بنيته" (رواه أحمد)، وفي الصحيحين: "أن أعرابيًا أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتى به فعرفه نِعَمَه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فُسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تَعَلَّمَ العلم وعَلَّمه وقرأ القرآن، فأُتى به فعرفه نِعَمَه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن فيك، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أُمر به فُسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتى به فعرفه نِعَمَه فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فُسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار" (رواه مسلم).

ولما بلغ معاوية -رضي الله عنه- هذا الحديث بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق، قال: صدق الله ورسوله، قال الله -عز وجل- (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هُود: ١٥-١٦].

ومسجد الضرار لما عَلِمَ الله فساد نية متخذه، حيث لم يُؤَسَّسَ على تقوى من الله ورضوان، بل اتخذوه ضرارًا، وكفرًا، وتفريقًا لصف المسلمين، ومقرًا للرَّصَد والإعداد لحرب المسلمين، أمر رسولُ الله بدمه، قال -سبحانه-: (أَقْمِنِ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [التَّوْبَةُ: ١٠٩].

وفقنا الله لطاعته، وأصلح لنا النية والذرية.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من وقفات هذا الحديث العظيم قوله -عليه الصلاة والسلام-: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر"؛ فالهجرة مع أن فيها انتقالاً من دار الكفر إلى دار الإسلام، إلا أنها تختلف باختلاف النيات، فإذا كانت هجرته إلى دار الإسلام، حباً لله ورسوله، ورغبة في تعلم دين الإسلام، وإظهار دينه، فهذا المهاجر حقاً، -وكفاه شرفاً- أنه حصل ما نواه من هجرته إلى الله ورسوله.

وأما إذا كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام لطلب دنيا يصيبها فهذا تاجر، أو امرأة ينكحها فهذا خاطب، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فهجرته إلى ما هاجر إليه" فلم يذكر إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، وهذا من باب التحقير لما طلبه.

فعلى المسلم أن يصلح نيته في أي عمل، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، ولوجهك الكريم خالصة.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث

"دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة"

الخطبة الأولى:

الصحابة -رضي الله عنهم- خير القرون، وهم أئمة الأمة بالسنة، وأحرصهم على العمل، فحالمهم -رضي الله عنهم- المنافسة فيما بينهم على السؤال عنها، وأداء الأعمال الصالحة؛ لما يترتب عليه من الثواب العظيم وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، وقد وصف هذا الحال حذيفة -رضي الله عنه- بقوله: "كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني" (متفق عليه).

وفي الحديث المتفق عليه: "أن أعرابياً جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة" فأرشده النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أركان الإسلام ودعائمه العظام، فقال: "تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان"، قال: والذي نفسي بيده! لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص، فلما ولى قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا".

وهذا الحديث يشتمل على وصايا:

الوصية الأولى: "تعبد الله ولا تشرك به شيئاً"، ابتداء النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأهم وهو تحقيق العبودية لله، وتعلّق القلب بالله وحده، وتخليصه من جميع ما يشوبها، وهو أصل دعوة الرسل -عليهم السلام- (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]، فيوحد المسلم ربه في جميع شؤونه، ويخلص عبادته لله وحده فلا شريك معه، ولا ند، كما قال - سبحانه-: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [الزمر: ٣]، وقد أمر الله نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- أن يقول للمشركين: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ولعظم من حققها قال أبو ذر -رضي الله عنه-، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: "وإن زنى وإن سرق"، قالها ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذر"، فخرج أبو ذر، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر" (متفق عليه).

وقيل لوهب بن منبه: "أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك" (رواه البخاري).
وأسنانُ مفتاح الجنة فعلٌ ما أمر الله -تعالى- به، وترك ما نهى الله عنه، فمن حقق عبوديته لله فهو السعيد في الدارين، ويرجى له دخول الجنة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" (رواه أبو داود).

الوصية الثانية: "وتقيم الصلاة المكتوبة" إقامتها تكون بتحقيق شروطها وأركانها وواجباتها وسننها، وقد أمر الله بالمحافظة عليها بقوله: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) [البقرة: ٢٣٨]، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر" (رواه ابن ماجه).
ولأهميتها شرعت في السماء ليلة الإسراء والمعراج، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في فضل أدائها: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة" (رواه أبو داود).

وفي الحديث القدسي: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه" (رواه البخاري)، فالصلوات المفروضة محبة إلى الله أكثر من النوافل، وكذا صيام رمضان على صيام الاثنين والخميس، والزكاة على الصدقة، وحج الفريضة على التطوع، وهكذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حزبه أمرٌ صَلَّى" (رواه أبو داود)، وفي حال الرخاء قال: "وجعلت قرّة عيني في الصلاة" (رواه النسائي).

ولما دخل المسور بن مخرمة على عمر بن الخطاب في الليلة التي طعن فيها، أيقظ عمر لصلاة الصبح، فقال عمر: "نعم، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى وجرحه يشعب دمًا" (رواه البيهقي).
وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسدت سائر عمله، والصلاة تزكي النفوس، وتسمو بالأخلاق، قال -سبحانه-: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت: ٤٥].

الوصية الثالثة: "وتؤدي الزكاة المفروضة"؛ الزكاة هي: اسم لإخراج شيء مخصوص، من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة، وفعل الزكاة من صفات عباده المؤمنين، قال -تعالى-: (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) [المؤمنون: ٤].

وزكاة المال تطهره من الحرام، وهي سبب لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وعونٌ على استعماله في الطاعات، قال -سبحانه-: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) [التَّوْبَةُ: ١٠٣]، وبزكاة النفس وطهارتها يصير الإنسان زاكياً يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والثوبة، وأداؤها سبب لدخول الجنة.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع: "اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم" (رواه الترمذي).

وفي الزكاة تكاتف وترابط، وعطف ورحمة بين الغني والفقير، ولذا في وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- "فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم" (رواه مسلم).

وعبّر عن الزكاة بالأداء لا بالإقامة كما في الصلاة، لأنها لا تحتاج إلى خشوع وخضوع القلب، وإنما تحتاج إلى بذل مالٍ مع الإخلاص، والمفروضة هي المقدرة من الأموال والشمار والمواشي، وذُكر "المفروضة" احترازاً من صدقة التطوع.

والوصية الرابعة: "صوم رمضان"، وهو الإمساك عن أشياء مخصوصة، في وقت مخصوص، وقد ورد في فضله أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال يوم حجة الوداع: "اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم" (رواه الترمذي).

وفي الجنة باب لا يدخله إلا الصائمون، فضلاً من الكريم -سبحانه-، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلن يدخل منه أحد" (رواه مسلم).

قال ابن القيم -رحمه الله-: في الصيام: "إنه لجام المتقين، وجُنَّةُ المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين". وفي هذه الرواية لم يذكر الحج، لاحتمال سببين، ذكرهما ابن حجر -رحمه الله- أولها: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- والإعرابي كانا في الحج، فلم يذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- الحج، وثانيها: أن الحج فُرِضَ متأخراً في السنة التاسعة من الهجرة، ولقاء النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الإعرابي قبل فرض الحج.

ولما انتهى النبي -صلى الله عليه وسلم- من وصيته قال الإعرابي: "والذي نفسي بيده! لا أزيد على

هذا"، فليس مراد الإعرابي أنه لا يعمل شيئاً من شرائع الإسلام وواجباته، بل إن سؤاله كان عن الأعمال التي تُدخل الجنة، وقيل: إن هذا الإعرابي حديثُ إسلام، فأمره النبي -صلى الله عليه وسلم- بفعل ما أوجب الله عليه لئلا يثقل عليه ذلك فيمَلّ.

وقفنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

لما ولى الأعرابي - أي انصرف - قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا". قال الامام النووي -رحمه الله-: "الظاهر منه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عَلم أنه يُؤفَى بما التزم، وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة"، كما كان لأهل بدر وغيرهم فلذلك شهد له بالجنة، أما نحن فلا نشهد لأحد بجنة أو بنار لأننا لا نعلم بم يُحْتَم على العبد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "نقول: من فعل كذا دخل الجنة، ومن فعل كذا دخل النار، لا يجزم لمعين لكن يرجى للمحسن ويخاف على المسيء".

والشهادة بالجنة شهادتان:

شهادة وصف وشهادة شخص، فنشهد لكل مؤمن ومؤمنة وتقي وتقية دون تعيين أنه من أهل الجنة، كما ذكر الله -تعالى- في كتابه فقال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٨٢]، وقوله -سبحانه-: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٣].

والشهادة الثانية: شهادة شخص، فإننا نشهد لمن شهد لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة كالعشرة، وبلال بن رباح، وعبد الله بن سلام، وسعد بن معاذ، وعكاشة بن محصن، وأنس بن مالك، والمرأة السوداء التي تصرع، والأعرابي الذي في هذا الحديث.

فالوصايا المذكورة هي أركان الإسلام ومبانيه العظام، فبدأ بتوحيد الله لأنه الأهم، ثم الصلاة لأنها عمود الدين ولتكرارها كل يوم خمس مرات، ثم الزكاة لكونها قرينة للصلاة في أكثر المواضع في كتاب الله وسنة رسول الله، ثم الصوم لتكراره كل سنة، والحج مرة في العمر.

فهذه أسباب مقتضية لدخول الجنة، كما في حديث معاذ -رضي الله عنه-: "قلت يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار؟"، قال: "لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من

يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت" (رواه الترمذي).

والأحاديث متعددة في ذلك: بعضها يرتب ثواب الجنة على كلمة التوحيد، وبعضها يرتب ثواب الجنة على الصلاة، وكذا الصيام والزكاة والحج إذا فعلت مع اجتماع الشروط وانتفاء الموانع، أو إذا فعلت هذه الأفعال مع الإتيان بالتوحيد؛ لأنه به تصح الصلاة، وتقبل الزكاة، ويصح الصيام. إلى آخره. وليحذر المسلم من ارتكاب المحرمات، واقتراف الكبائر والموبقات، فقد جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من مات على هذا، كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا -ونصب أصبعيه- ما لم يعق والديه" (رواه أحمد).

جعلنا الله ممن قام بشريعته حق القيام.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث "سبعة يظلهم الله في ظله"

الخطبة الأولى:

من رحمة الله بعباده أن جعل لهم من الثواب على أعمالهم ما تنهأ به نفوسهم، وتقرُّ به عيونهم، فيزدادوا عملاً إلى عملهم، وحرصاً إلى حرصهم.

ومن جملة ما ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- من ثواب من اتصف بالصفات الفاضلة، والأعمال الحميدة، ما جاء في الحديث المتفق عليه: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه".

هذا الحديث حوى جملة ممن اتصفوا بصفات كريمة في الدنيا، تحلوا بها، وتخلقوا بأدابها، فوعدوا بالثواب الجزيل، والخير العميم، والمراد بهؤلاء السبعة: سبعة أصناف وليس المراد سبعة أشخاص، وهم لا ينحصرون في عدد معين.

وقد تتعدد الأصناف أيضاً فليست مقصورة على السبعة الواردة في الحديث فقط، فقد ذكر الإمام ابن حجر -رحمه الله- أكثر من عشرين صنفاً يظلهم الله في ظله، مثل: "من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" (رواه مسلم). وكإضلال الغازي، وعاون المجاهد، وإرفاد الغارم، وعاون المكاتب، والتاجر الصدوق.

وإضافة الظل لله -سبحانه-، إضافة تشریف -كبيت الله، وناقة الله- والظل ليس ظلَّ العرش، وإنما ظلُّ يخلقه الله لأهل هذه الأصناف على الكيفية التي يعلمها -سبحانه-، والشمس العظيمة تدنو من رؤوس الخلائق قدر ميل - قيل: ميل مسافة، وقيل: ميل المكحلة - في يوم وصفه الله: (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) [المعارج: ٤]، فيخص الله فئاماً من الناس في هذا الظل الحقيقي:

أولاهم: الإمام العادل وهو الذي يحكم بشريعة الله حكماً وعملاً، وهو من يضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط، وبدأ به النبي -صلى الله عليه وسلم- لكثرة مصالحه، وعموم نفعه.

ولأن الإمام العادل مصلحته تُعْمُ المسلمين، وتنفعهم، فيقيم فيهم شرع الله، ويحكم فيهم بالعدل، وينصف مظلومهم من ظالمهم، ويعينهم على طاعة الله -عز وجل-، فلهذا صار أول هؤلاء السبعة، ويدخل فيه القاضي، وكل من ولي أمراً من أمور المسلمين، وقد ورد "إن المقسطين على منابر من نور

عن يمين الرحمن، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما وُلُوا" (رواه مسلم).

والثاني: شاب نشأ في عبادة الله، وقد نقل ابن حجر -رحمه الله- زيادة: "حتى توفي على ذلك" و"أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله".

وخص فترة الشباب لأن العبادة في الشباب أشد، وأشق، لكثرة الدواعي، وغلبة الشهوات، وقوة البواعث على اتباع الهوى، وهذا الشاب قد أفنى شبابه ونشاطه طيلة عمره في عبادة الله، فذنوبه قليلة وحسناته كثيرة.

وقد ورد في الحديث: "إن ربك ليعجب للشباب لا صبوة له"، فالشاب الناشئ في العبادة له شأن في فقهه وعلمه ونصحه؛ لكونه قد تربى على العلم والفضل والعمل والعبادة والخير، فيكون بذلك نافعاً لنفسه ولغيره، ولأن الشاب عند كبره قد يتقلد المناصب ويتحلى بالفضائل، ويكون إماماً في العلم، وقد يتخلق بالأخلاق الواردة في هذا الحديث.

والثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد، شبَّهه بالشيء المعلق في المساجد كالقنديل والسراج مثلاً، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه، وإن كان جسده خارجاً عنه، فهو يألف الصلاة ويحبها، وكلما فرغ من صلاة إذا هو يتطلع للأخرى، لِمَا للصلاة من تجدد صلة العبد بربه، وهذا المصلي لما آثر طاعة الله، وأوى إلى الله، أظله في ظله.

والرابع: رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، تحابا في الله لا لأجل مالٍ ولا جاهٍ ولا نسب، ولكنه رآه قائماً بطاعة الله فأحبه، وهذه المحبة اجتمعا عليها في الدنيا، وبقيت بينهما حتى فرق بينهما الموت، وهما على ذلك.

وقد ورد في فضل المحبة في الله ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي" (رواه مسلم)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا غير أنني أحبته في الله -عز وجل-، قال إني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه" (رواه مسلم).

الخامس: رجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، وذات منصب: يعني شريفة ليست دينية، والجمال أمر يدعو النفس إلى التطلع للمرأة، والمنصب يستلزم المال، فاجتمع منصب

ومالٌ وجمال، وهي أمور قلَّ أن تجتمع في امرأة، وخص المنصب والجمال، لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، لكن هذا الرجل لم يتأثر بالمغريات، بل قال: إني أخاف الله، فلم يخف غير الله، كما قال يوسف -عليه السلام- لامرأة العزيز معاذ الله، قال القرطبي -رحمه الله-: "إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله، ومنتين تقوى وحياء".

جعلنا الله من أهل البذل والعطاء والعفاف.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ومن الأصناف السبعة: رجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، والصدقة سميت بذلك لدلالته على صدق باذنها، وهي بركة في المال وتزيده، قال -سبحانه-: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) [سَبَا: ٣٩]، وفي الحديث: "ما نقصت صدقة من مال" (رواه مسلم)، وهذا الرجل تصدق بصدقه مخلصاً فيها بقلبه، حتى ولو كان أحدٌ عن شماله ما علم بتلك الصدقة، لشدة إخفائها، وصدقة التطوع في السر أفضل، لأنها أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء.

والصدقة فيها تفریح همّ، وتنفيس كرب، وعطف، ورحمة، والصدقة كما قال ابن القيم -رحمه الله- "عَجَبٌ مِنَ الْعُجَاب".

والصنف الأخير في هذا الحديث: رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ذكّر الله أمرنا الله -سبحانه- بالإكثار منه، فقال -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) [الأحزاب: ٤١]، وأوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- الرجل فقال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله" (رواه الترمذي)، وهذا الرجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، شوقاً إلى ربه، وكان خالياً ليس عنده أحد، أو أنه خالي القلب من الدنيا وزخارفها، فقلبه خالٍ إلا من ذكر الله في هذه الخلوة القلبية والمكانية.

قال ابن حجر -رحمه الله- تنبيهاً بعد شرحه لهذا الحديث: "إن هذه الخصال السبعة، يشترك فيها النساء إذا كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى، وإلا فيمكن دخول المرأة حين تكون ذات عيال، فتعدل فيهم كما في حديث ابن عمر -رضي الله عنهم- أن: "المرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها" (رواه البخاري)، وتخرج أيضاً خصلة ملازمة المسجد، لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد، وما عدا ذلك فالمشاركة حاصلة لمن".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ذكّر النبي -صلى الله عليه وسلم- هؤلاء السبعة، إذ كلُّ

منهم كَمَّلَ العبادة التي قام بها، فالإمام العادل كَمَّلَ ما يجب من الإمارة، والشاب الناشئ في عبادة الله كَمَّلَ ما يجب من عبادة الله، والذي قلبه معلق بالمساجد كَمَّلَ عمارة المساجد بالصلوات الخمس؛ لقوله: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ) [التَّوْبَةُ: ١٨]، والعفيف كَمَّلَ الخوف من الله، والمتصدق كَمَّلَ الصدقة، والباكي كَمَّلَ الإخلاص".

وهؤلاء المتصفون بهذه الصفات قد خالفوا هواهم، وجاهدوا أنفسهم على تحقيق أمر ربه، قال ابن القيم -رحمه الله-: "فإن الإمام المسَلَّطَ القَادِرَ لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه، لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد، إنما حمّله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله، لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك، والذي دعت المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله -عز وجل- وخالف هواه، والذي ذكر الله -عز وجل- خاليًا ففاضت عيناه من خشيته، إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لِحَرِّ الموقف وعَرَقِهِ وشدته سبيلٌ عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحرُّ والعرقُ كلَّ مبلغ، وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى".

جعلنا الله وإياكم ممن يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث "أيُّ العمل أحبُّ إلى الله"

الخطبة الأولى:

الدين الإسلامي أُسِّسَهُ راسخة، وقواعده ثابتة، وأحكامه سهلة ميسرة، وأعماله متنوعة، فيؤدي المسلم شرائعه، الفاضل قبل المفضول، والأهمّ فالمهم، اغتنامًا للأجر، واستباقًا لأداء الخير. وقد وردت أحوال، وأزمان، وأماكن فاضلة، تُضاعف فيها الخيرات، وتعلو فيها الدرجات. وقد سأل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أي العمل أحب إلى الله -تعالى-؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أيُّ؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم أيُّ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" (متفق عليه).

هذا الحديث فيه معانٍ عديدة، وفوائد كثيرة، فيظهر فيه حرص الصحابة -رضي الله عنهم- على تعلم أمور دينهم، كما ثبت ذلك في الصحاح، فيأتي الرجل للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول: يا رسول الله أوصني، وتارة يأتي الرجل ويقول دلي على عمل إذا عملته دخلت الجنة، وتارة يُسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل شجاعة، وهكذا حالهم، وأجمل ذلك في قول حذيفة -رضي الله عنه-: "كان الناس يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني" (متفق عليه).

وخصَّ عبدُ الله بنُ مسعودٍ -رضي الله عنه- سؤاله عن العمل المحبب إلى الله؛ لأن ثوابه كبير، وأجره عظيم، فأجابته النبي -صلى الله عليه وسلم- بثلاثة أعمال: الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله. فالصلاة عمود الدين، وبر الوالدين وفاء لبعض حقهما، والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام.

فبدأ -صلى الله عليه وسلم- بالصلاة على وقتها لأهميتها، فهي أول ركن بعد الشهادتين، وهي سببٌ لدخول الجنة، كما في الحديث: "من صلى البردين دخل الجنة"، وفي الحديث: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة" (رواه النسائي).

وأداء الصلاة يكون في بيوت الله، قال -سبحانه-: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ) [البقرة: ٤٣]، "أتى رجل أعمى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال يا رسول الله: إنه

ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يرخص له فيصلى في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: "هل تسمع النداء بالصلاة"، فقال: نعم، قال: "فأجب" (رواه مسلم).

ولأهميتها فإن شرائع الإسلام فرضت في الأرض، إلا الصلاة فقد فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج، وتتأكد أهميتها أن الله لم يسقطها عن أي مسلم، مميز، يعقل، فالمريض يصلي على الهيئة التي يستطيعها، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب" (رواه البخاري). والمقاتلون في سبيل الله يؤدون صلاتهم بحالة شرعها الله لهم تسمى صلاة الخوف، دون تأخير عن وقتها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن أخر الصلاة عن وقتها فقد أتى بابًا من الكبائر".

والعمل الثاني: المحبب إلى الله -تعالى- بر الوالدين، فالله -سبحانه- قرن حقه بحق الوالدين في قوله -تعالى-: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء: ٣٦]، وقال -سبحانه-: (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان: ١٤].

وجاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فبايعه على الجهاد، وقال تركت أبوي يبيكان، فقال: "ارجع فأضحكهما، كما أبكيتهما" (رواه أبو داود وابن حبان)، ولهما أيضًا من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ارجع فاستأذنيهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما".

والله أوصى بالبر بهما، ولو كانا كافرين: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) [لقمان: ١٥]، وسأل رجل ابن عمر -رضي الله عنهما- وهو حامل أمه على ظهره يطوف بها فقال يا ابن عمر أتراني جازيت أمي؟ فقال: "ولا طلقة من طلقاتها، ولكن الله يجزي العمل القليل بالكثير".

وبكى الحارث العكي -رحمه الله- في جنازة أمه، وقال: "أغلق عني باب من أبواب الجنة". وبر الوالدين في حياتهما يكون بالكلمة الطيبة، والفعل الحميد، وبعد وفاتهما بالدعاء لهما، وإنفاذ وصيتهما، وإكرام صديقيهما.

و ضد برهما عقوقهما، وقد وردت آيات وأحاديث تبين خطورة ذلك: (إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وجاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله! ما الكبائر؟ قال: "الإشراك بالله"، قال: ثم ماذا؟ قال: "ثم عقوق الوالدين"، قال ثم ماذا؟ قال: "اليمين الغموس"، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: "الذي يقطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب" (رواه البخاري)، وفي رواية أخرى قال: "الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

العمل الثالث: الذي أبانه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- الجهاد في سبيل الله، فالجهاد جهادان: جهاد العدو، وجهاد النفس.

فأما جهاد العدو: فهو ما كان لإعلاء كلمة الإسلام، قال أبو موسى -رضي الله عنه-: "سُئِلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله" (متفق عليه)، وجهاد العدو له ضوابط وضعتها الشريعة حفاظاً على دم المسلم وغيره.

وقد جعل الله للشهداء منزلة كبيرة في الآخرة، جزاءً على ما قدموا أرواحهم نصرة للدين، ورفعة لكلمة التوحيد، قال -سبحانه-: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: ٦٩]، ويُبْعَثُ الشَّهِيدَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -عز وجل، والله أعلم بمن يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ-، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجْرَحَهُ يَتَعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمَسْكَ" (متفق عليه).

ومن رحمة الله أن جعل أصناف الشهداء كثيرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "ما تعدون الشهداء فيكم؟"، قالوا: يا رسول الله! من قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قال: "إِنْ شَهِدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلَ"، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: "مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ" (رواه مسلم).

وفي حديث آخر: "الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله -عز وجل- " (متفق عليه)، وعند الإمام أحمد "والنفساء يقتلها ولدها".

وفي حديث آخر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد" (أخرجه أبو داود والترمذي).

وَفَضَّلَ اللهُ وَاسِعٌ، وَأَجْرُهُ كَبِيرٌ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ" (رواه مسلم).

والجهاد الثاني: جهاد النفس، فهو جهاد لا دماء فيه، ولا أشلاء، قال ابن رجب -رحمه الله-: "جهاد النفس عن الهوى من أعظم الجهاد"، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "المجاهد من جاهد نفسه في الله" (رواه الترمذي)، وعندما سئل ابن عمر -رضي الله عنهما- عن الجهاد قال: "ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فأعزها".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم".

وقد أجمل الطبري -رحمه الله- سبب ورود هذه الأعمال الفاضلة الثلاثة في هذا الحديث فقال: "لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات، فإن من ضيَّع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها عليه، وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل براءً، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك، فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع".

فاللهم إنا نسألك عيش السعداء، وموت الشهداء، ومرافقة الأنبياء.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث: "أي الأعمال أفضل"

الخطبة الأولى:

جاءت السنة النبوية بتفاضل ثواب الأعمال الصالحة، وهذا من رحمة الله بعباده، فمن أراد العمل سعى إليه قدر وسعه واستطاعته، لينال بذلك أرفع الدرجات.

قال أبو ذر -رضي الله عنه-: "قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله"، قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: "أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا"، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: "تعين صانعًا أو تصنع لأخرق"، قلت: يا رسول الله! أرايت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: "تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك" (رواه مسلم).

هذا الحديث النبوي الشريف بيّن موضوعاتٍ متفرقة، وأعمالاً فاضلة، دلالةً للعاملين، ورفعاً لهمة المتنافسين.

وقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- حريصين على سؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن العمل الصالح، بل ويسألون عن أفضله، طمعًا في زيادة الأجور، ورفع الدرجات، وتخصيص السؤال عن الأعمال الفاضلة أو المحبوبة إلى الله؛ لأن أجرها كبير، وثوابها عظيم، كما أن سؤال الصحابة -رضي الله عنهم- للنبي -صلى الله عليه وسلم- هو سؤال أدب، واحترام، وإجلال، مع أداء بما علموه. وبدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث بالإيمان بالله؛ لأنه أفضل الأعمال كلها، ولأنه متقدم عليها، وشرطٌ في صحتها، فلا يصح عمل بلا إيمان؛ لأن متعلق الإيمان هو بالله -تعالى-، وكتبه، ورسله، ولا أشرف من ذلك.

وقد وصى النبي -صلى الله عليه وسلم- سفيان بن عبد الله -رضي الله عنه- حين قال: "يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: "قل: آمنت بالله ثم استقم" (رواه مسلم). ثم ثنى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجهاد في سبيل الله، فهو من أفضل الأعمال، وقد ذكر الله فضله بقوله -سبحانه-: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١١١].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مثل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه

سالمًا مع أجر أو غنيمة" (رواه البخاري).

وعند مسلم قال -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفس محمد بيده! ما من كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلَّمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزَوْتُ فَأَقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزَوْتُ فَأَقْتُلَ".

وسأل رجل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال أي الناس أفضل؟ فقال: "رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه"، قال: ثم من؟ قال: "مؤمن في شعب من الشعاب، يعبد الله ربه ويدع الناس من شره" (رواه مسلم).

وقد قدّم النبي -صلى الله عليه وسلم- بر الوالدين كما في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- على الجهاد في سبيل الله، وذلك لاختلاف حال السائل، فقد يكون والداه على قيد الحياة، ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- للرجل حين استأذنه في الجهاد قال: "أحي والداك؟"، قال: نعم. قال: "ففيهما فجاهد" (متفق عليه).

ثم بيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الرقاب ذات الغبطة والرفعة هي الفاضلة في العتق، والمال النفيس هو المرغّب فيه في البذل والعطاء، وهو من تعظيم شعائر الله، قال المولى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) [آل عمران: ٩٢].

وقد رغب النبي -صلى الله عليه وسلم- بعتق الرقاب فقال: "من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار، حتى يعتق فرجه بفرجه" (متفق عليه).

بعدها سئل الراوي إذا لم يؤدّ الجهاد، أو يعتق الرقاب؛ لأن الإيمان لا بد من تحقيقه، فقال: "إن لم أفعل؟ قال: "تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق"، فالصانع صاحب الحرفة المتخصص بها، والأخرق الذي لا صنعة له.

ومعنى الحديث: أنك لا بد أن تعمل في يومك وليلتك بالعمل النافع، فإن لم يكن من جهاد، وعتق رقاب؛ فإن المسلم حياته دائمًا في خير وتكاتف، لذا قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- تعين صانعًا بما تكون الإعانة به، أو تصنع لأخرق بما يكفل له من أداء العمل، حتى يكون به كسب قوته له ولعِياله.

وقفنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ختم أبو ذر -رضي الله عنه- سؤاله للنبي -صلى الله عليه وسلم- بعدما ذكر الأعمال الفاضلة بقوله: "أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: "تَكْفُ شَرَكُ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ففي هذا الحديث أنه أوجب الصدقة على كل مسلم، وجعلها خمس مراتب على البدل: الأولى الصدقة بماله، فإن لم يجد اكتسب المال فنفع وتصدق، وفيه دليل وجوب الكسب، فإن لم يستطع فيعين المحتاج ببدنه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يفعل فيكف عن الشر، فالأوليان تقع بمال إما بموجود أو بمكسوب، والأخريان تقع ببدن إما بيد وإما بلسان".

قال القرطبي -رحمه الله-: "فيه دليل على أن الكفَّ فعلٌ للإنسان، داخلٌ تحت كسبه، ويؤجر عليه، ويعاقب على تركه"، ومن آمن بالله حق الإيمان وجاهد نفسه وعدوه، وبذل ماله في سبيل الخير، ومن أفضلها عتق الرقاب، فإن ضعف عن عمل، فلا يمنعه من معونة الآخرين بماله أو برأيه، فإن لم يكن من إحدى الفئتين فليكف شره عن عباد الله، وليعلم أن الله قادر عليه.

عمر الله أيامنا بالطاعات، وختمها بالصالحات.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث

"ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا"

الخطبة الأولى:

لما استكبر إبليس لعنه الله عن أمر الله في السجود، وذكر الله مآله ومآل أتباعه، سلك مسالك عديدة لغواية الإنسان، فقال: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف: ١٦-١٧]، ولا يزال الشيطان في تزيين العمل السيئ، حتى يوبق صاحبه مزلق الردى والرديلة.

ونصوص الشريعة تدل على رفعة درجات المسلم وتكفير سيئاته، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في خير ألقاه على مسامع الصحابة -رضي الله عنهم-: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الله الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط" (رواه مسلم).

ساق النبي -صلى الله عليه وسلم- بداية الحديث على سبيل الاستفهام من أجل أن يتنبه السامع لما يُلقى إليه؛ لأن الأمر مهم، ومثله حديث: "أتدرون ما المفلس؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا" (رواه مسلم).

في قوله -عليه السلام-: "ألا أدلكم"، فيه بشارات من النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمته في دلالتهم على رفع درجاتهم، والخط عن سيئاتهم، وهي من الأخبار الغيبية المتعلقة باليوم الآخر التي أطلع الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- عليها.

وفي قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الله الدرجات" قال القاضي عياض -رحمه الله-: "محو الخطايا كناية عن غفرانها، ويحتمل محوها من كتاب الحفظة، وأما رفع الدرجات فهو إعلاء المنازل في الجنة".

وفي هذا الحديث ثلاث عبادات بدنية:

أولها: "إسباغ الوضوء على المكاره" دلّ القرآن الكريم على أن الوضوء مُكفِّرٌ للذنوب، كما في قوله -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) إلى قوله: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ

يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) [المائدة: ٦].

ففي قوله: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ)، يشمل طهارة ظاهر البدن بالماء، وطهارة الباطن من الذنوب والخطايا، وإتمام النعمة إنما تحصل بمغفرة الذنوب، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يديه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب" (رواه مسلم). و"إسباغ الوضوء على المكاره" هو إتمام الوضوء باستيعاب جميع الأعضاء بالغسل والمسح في أيام الشتاء لصلاة النافلة؛ لأن الماء يكون فيها بارد، وتحصل بذلك المشقة على النفس، فإذا فعل ذلك دلّ هذا على كمال الإيمان، فيرفع الله بذلك الدرجات، ويحط الخطيئات، وإذا توفر الماء الدافئ فالأولى استخدامه، وقد ورد في فضل الوضوء أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، يقوم فيصلّي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة" (رواه مسلم)، وإذا قال العبد عند فراغه من الوضوء أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله "إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" (رواه مسلم).

والعبادة الثانية في الحديث: "كثرة الخطا إلى المساجد" فيه أهمية أداء الصلاة جماعة في المساجد، ولذا حرص الصحابة -رضي الله عنهم- على أدائها، قال أبي بن كعب -رضي الله عنه-: "كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدًا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تُحطُّوه صلاة، فقيل: لو اشتريت حملاً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، قال: ما يسرنى أن منزلي جنب المسجد، إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قد جمع الله لك ذلك كله" (رواه مسلم).

ولما أراد بنو سلمة القرب من مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "بني سلمة! دياركم تكتب آثاركُم، دياركم تكتب آثاركُم" (رواه مسلم). وكثرة الخطا سبب لتكفير الذنوب، ورفع الدرجات، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة" (رواه مسلم). وفي الصحيحين "وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة

صدقة".

وقفنا لله لطاعته، وجنبنا سخطه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الوصية الأخيرة من هذا الحديث العظيم: "انتظار الصلاة بعد الصلاة"، فالمنتظر للصلاة يدل على محبته لها، وشوقه إلى أدائها، فكلما فرغ من صلاة، إذا بقلبه متعلق بالصلاة التي تليها ينتظرها، وورد من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله: "رجل قلبه معلق بالمساجد"، وسواء انتظر الصلاة قبلها، أو بعدها، فهو في صلاة.

أما قبلها فقال أنس -رضي الله عنه-: لما أخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- صلاة العشاء الآخرة، ثم خرج فصلى بهم، قال لهم: "إنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرت الصلاة" (متفق عليه).

وفيها أيضاً عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يُحدث، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة، ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة".

وأما بعدها: فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارسٍ اشتد به فرسه في سبيل الله على كَشْحِهِ، تُصلي عليه ملائكة الله ما لم يُحدث أو يقوم، وهو في الرباط الأكبر" رواه الإمام أحمد.

وانتظار الصلاة فيه من الخيرات العظيمة المتتابعة، من الجلوس لذكر الله المطلق، أو بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، وتلاوة القرآن الكريم، وسماع مجالس العلم؛ فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله -عز وجل- إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" (رواه مسلم).

ومن الخيرات إدراك الصلاة المنتظرة، والترديد مع المؤذن، والدعاء بين الأذان والإقامة، وصلاة النافلة بين الأذانين، وحياسة الصف الأول، والقرب من الإمام، وإدراك تكبيرة الإحرام.

وفي نهاية الحديث ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم-، قوله: "فذلكم الرباط"، وفي الموطأ تكرار "فذلكم الرباط" ثلاث مرات، وتكراره -صلى الله عليه وسلم- للاهتمام به، وتعظيم شأنه.

وأصل الرباط: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها، فشبه المواظب على الطهارة

والعبادة كالجهد في سبيل الله، وقيل: إن الرباط: اسم لما يربط به الشيء، بمعنى أن هذه الأعمال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عنها.

فإذا توضأ بإسباغ الوضوء على المكاره، وخطا إلى المسجد، وانتظر الصلاة، فإنه سيكون مقبلاً على عبادة أمر بها مولاه، قال سلمان الفارسي -رضي الله عنه- في الوضوء: إنه يكفر الجراحات الصغار، والمشي إلى المساجد يُكفّر أكبر من ذلك، والصلاة تُكفّر أكبر من ذلك.

وإذا كان هذا الثواب العظيم، والأجر الجزيل للأعمال الثلاثة في هذا الحديث، والتي تؤدي قبل الصلاة، فما بالكم بثواب الصلاة نفسها؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والمحافظ على الصلاة أقرب إلى الرحمة ممن لم يصلها ولو فعل ما فعل".

فاللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث

"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس"

الخطبة الأولى:

نعم الله على عباده كثيرة، وعديدة، قال - سبحانه -: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) [لقمان: ٢٠]، ومن أهم النعم بعد نعمة الإسلام نعمة الصحة والفراغ، لذا بَوَّبَ الإمام البخاري - رحمه الله - بابًا سماه: باب ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، وأورد فيه حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ".

والمغبون الوارد في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "نعمتان مغبون فيهما - أي الخاسر - كثير من الناس". هو: من صح بدنه وتفرغ من الأشغال العائقة له ولمن يعول، ولم يَسْعَ لصلاح آخرته، فهو كالمغبون في البيع أي خاسر، والمرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًا مُؤَنَّةَ العيش في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يخسرهما.

قال الإمام ابن بَطَّال - رحمه الله -: "ومما يستعان به على دَفْعِ الغبن، أن يعلم العبد أن الله - تعالى - خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فَمَنَّ عليهم بصحة الأجسام، وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم، وضاعف لهم الحسنات، ولم يضاعف عليهم السيئات، وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، يشكروه عليها بأحرف سيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم.

وجعل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا في جنة لا انقضاء لها، مع ما ادخر لمن أطاعه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أمعن النظر في هذا، كان حريًا ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه في طاعة ربه"، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفق، وعن جسمه فيم أبلاه" (رواه الترمذي).

والصحة في الأبدان، يُسأل المرء عنها يوم القيامة بما أدى بأعضائه من خير أو شر، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة - يعني العبد من النعيم - أن يقال له: ألم نُصِحَّ لك جسمك، ونُزويك من الماء البارد" (رواه الترمذي).

وكان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- في كل غداة: "اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت" (رواه أبو داود).

ومن دعائه أيضًا -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك" (رواه مسلم)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمه العباس: "سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة" (رواه الترمذي).

وليعلم المسلم أن نعم الله على عباده نعمٌ متتابعة؛ نعمَةُ الصحة، والفراغ، والعقل، والإدراك، والمال، والأمن، والأمان، والغذاء، وقبلها الإيمان، وجماع ذلك ما ذكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بأسرها" (رواه ابن ماجه).

وإن الموفق من يُسَخَّر هذه النعم المتتابعة في مرضاة الله، فيتقرب إلى مولاه بأنواع من الطاعات، فيلزم أوراده اليومية في صباحه ومساءه، يتلو فيها كلام الله، وينهل من سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويلزم حلقات العلماء الربانيين، ويتصدق بما يَسَّر الله له من ماله.

نسأل الله -عز وجل- أن يستعملنا في طاعته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الدنيا دار عمل وابتلاء، ولا يَسْلَم العبد فيها من سقم يكدر صفو حياته، ومرض يوهن قوته ويُضعف حاله.

والبلاء والشدة تقرب العبد من ربه وتوقظه من سباته؛ ليرى نعم الله عليه صباح مساء، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من المعافاة" (رواه البخاري) في الأدب المفرد، وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: "إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا شيئًا أفضل من العافية".

والعفو: هو المحو من الذنوب، والعافية هي السلامة من الأسقام والبلايا والأمراض.

فالصحة والعافية هي أعلى نعمة بعد نعمة الهداية إلى الإسلام، وهي التي تجعل العبد قادرًا على أداء الفرائض في المساجد، والصيام مع جموع المسلمين، وأداء الحج، وغيرها.

لذا فليحمد الله كلُّ من أسبغ الله عليه من نعمة ظاهرة وباطنة، وليستعملها فيما يرضي ربه، ومن ابتلاه

الله - عز وجل - بمرض، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من يرد الله به خيراً يصب منه" (رواه البخاري).

ومعنى "يُصب منه" أي: يبتله بالمصائب ليظهره من الذنوب في الدنيا، فيلقى الله - تعالى - نقياً، ويستعينُ على كشف ما أُمِّمَ بِهِ، بالصبر والدعاء، وبالبدل والعطاء.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، ونعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث المرأة السوداء التي تُصْرَع

الخطبة الأولى:

جاء في الحديث الصحيح أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال لعطاء بن أبي رباح: "ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك" فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها، ولنا في هذا الحديث ووقفات:

أولها: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أبّ حانٍ لفئات الناس -صغيرهم وكبيرهم، ذكركم وأنثاهم، صحيحهم ومريضهم، غنيهم وفقيرهم-، ويتمثل ذلك في مجيئ هذه المرأة للنبي -صلى الله عليه وسلم- تشكو اعتلال صحتها مدركةً أنها ستجد قولاً سديداً يكشف ما أهمها، ويزيل ما أغمها.

ثاني هذه الوقفات: أن ما يصيب المسلم من آلامٍ ومصائبٍ مدخرةٌ أجورها له في الآخرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله -عز وجل- قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر، عوّضته منهما الجنة" يريد -عينيه- (رواه البخاري)، وهي كفارةٌ له، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها، إلا رفعه الله بها درجة، أو حط عنه بها خطيئة" (رواه مسلم)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة يمرض مرضاً إلا قضى الله عنه من خطاياهم" (رواه البخاري في الأدب المفرد).

بل وحتى ما يجب المرء من قريب، أو صديق، ثم فقده فصبر، كان له جزاءً وافراً مدخر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قال الله -عز وجل-: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءً إذا قبضت صفيته من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة" (رواه البخاري).

ثالثها: أن الصرع نوعان: نوع ناتج من الأخلاط الرديئة -كما ذكرها ابن القيم رحمه الله- وهذه يتكلم عنها الأطباء في علاجه وأسبابه. ونوع ناتج من الأرواح الخبيثة، وهو ناتج عن إيذاء الجن، وعلاجه يكون في صدق التوجه إلى الله، والقيام بالأوراد والأدعية الشرعية، وقد ذُكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه كان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع (أَفْحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: ١١٥].

ومن هذه الوقفات: محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذه المرأة، ولجميع أمتة، وذلك في تخييرها بين

أمرين كليهما حسن، الصبر على المرض ولها الجنة، أو الدعاء بأن يعافيا من مرضها، والأمثلة في محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمتة كثيرة كما في حديث الشفاعة عند قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا رب! أمتي أمتي"، وقد بَوَّب الإمام مسلمٌ "بابُ دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمتة وبكائه شفقة عليهم".

ومن الوقفات أيضاً: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد لهذه المرأة بالجنة، والشهادة بالجنة نوعان: شهادة شخص، كمن شهد لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة بأشخاصهم كالعشرة، وعبد الله بن سلام، وسعد بن معاذ، وعُكَّاشَةُ بنِ مِحْصَن، وغيرهم -رضي الله عنهم-.

وشهادة وصف: فنشهد لكل مؤمنٍ، مُتَّقٍ، دون تعيين، كما ذكر الله ذلك في كتابه فقال: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٣].

ومذهب أهل السنة والجماعة في الشهادة بالجنة: أنهم لا يشهدون لأحد بجنةٍ أو نارٍ إلا من شهد له النص بذلك، ونقول كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "من فعل كذا دخل الجنة، ومن فعل كذا دخل النار"، لا بنزح لمعين، لكن يُرْجَى للمحسن، ويُخَاف على المسيء.

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ومن الوقفات في هذا الحديث المبارك: أن هذه المرأة وهي أم زُفَرٍ -رضي الله عنها- طلبت من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو لها أن لا تتكشفَ في حال ذهاب عقلها حفاظاً على سترها وعفافها، ولذا دُكر عنها أنها -رضي الله عنها- كانت تتعلق بأستار الكعبة إذا خشيت أن يأتيها الصرع.

وهذه نموذج للمسلمات في الستر، وقد أمر الله نساء العالمين أن (يُذْنِبْنَ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) [الأحزاب: ٥٩]، وقال -سبحانه-: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) [النور: ٣١]، الآية، بل حتى الزينة التي لا ترى لكن يُخشى منها أن يُفتن السامع قال -عز وجل- فيها: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) [النور: ٣١].

والمسلمة مملكتها في بيتها، رعايةً، وتربيةً، بأمر الله لها بالقرار في بيتها، ولا يكون خروجها إلا للحاجة قال -سبحانه-: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) [الأحزاب: ٣٣].

والمرأة لؤلؤة مكنونة، وجوهرة مصونة، فإذا ظهرت قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "استشرفها

الشیطان، وإنها أقرب ما تكون إلى الله وهي في قعر بيتها" (رواه ابن خزيمة)، ومعنى استشرفها الشيطان: أي رفع البصر إليها ليغويها، أو يُغوي بها.

ومن الوقفات: أن الصبر جزاؤه وافر، قال -سبحانه-: (إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الرُّم: ١٠]، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً" (رواه الإمام أحمد).

وإذا أحب الله قومًا ابتلاهم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع" (رواه أحمد).

قال ابن حجر -رحمه الله-: "في هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالبًا من ألم، بسبب مرض، أو هم، أو نحو ذلك، وأن الأمراض والأوجاع والآلام -بدنية كانت، أو قلبية- تكفر ذنوب من تقع له".

وساق -رحمه الله- حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-: "ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياها، كما تحات ورق الشجر" (متفق عليه)، وظاهره تعميم جميع الذنوب، والجمهور خصوا ذلك بالصغائر.

وليس للمسلم إلا الصبر والمصابرة، فإن الله -سبحانه- رحيم بالمؤمنين، ولطيف بعباده، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" (رواه مسلم).
شفى الله مرضانا، ورحم موتانا.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث

"صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عن ظلمك"

الخطبة الأولى:

أرسل الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، فكان -صلى الله عليه وسلم- صاحب الخلق العظيم، بوصف الله له: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤]، وقد كانت من خصاله ما ذكرته خديجة -رضي الله عنها-: "فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق" (متفق عليه).

وكان من جملة ما وصى به النبي -صلى الله عليه وسلم- عقبه بن عامر -رضي الله عنه- وهو يمشي معه أنه قال له: "يا عقبه بن عامر! صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عن ظلمك"، قال عقبه: ثم قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا عقبه! أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك" (رواه الإمام أحمد).

هذه توجيهات نبوية مختصرة، جامعة للأخلاق والآداب والمعاملة، يكسب المسلمون بها صلة، وبذلاً، وعفواً، وألفةً، ومحبة.

أولها: قوله -صلى الله عليه وسلم-: "صل من قطعك"، فقد حث الإسلام على التواصل، والتزاور، وتبذير التدابر والتخاصم، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "لا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً" (رواه الإمام أحمد).

وصلة من قطعك، بأن تفعل معه ما تُعدُّ به واصلاً، فإن انتهى فذاك، وإلا فالإثم عليه، وهذا يدل على مكارم الأخلاق والترغيب في صلة الأرحام وغيرهم، وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- فضل صلة الرحم، وأنها سبب في طول العمر، وزيادة الرزق، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "من سرّه أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه" (رواه البخاري).

واهتم النبي -صلى الله عليه وسلم- بصلة الرحم، فكان يوصي بهم خيراً كما قال: "وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" (رواه مسلم).

وليست صلة الرحم قائمة على المقايضة، بل أمر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- مطلقاً قال رجل: "يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون

علي"، فقال: "فإن كنت كما قلت، فكأنما تُسْفهُم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك" (رواه مسلم).

ثاني هذه التوجيهات: "وأعط من حرمك"، حياة المسلم مع أخيه المسلم فيها جُود وإخاء، فلا تعامل بينهم في الهبات والهدايا بمقياس المقاضاة كالبيع والشراء، بل بأجود مما يعاملوك، ومن صنَع لك شيئاً فأعطه أنت، ومن بخل عليك فتفضل عليه، وكن سَبَّاقاً في هذا المجال.

ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: "واعف عمن ظلمك"، وهذا من شيم الرجال، وتُبل الأخلاق، وعلو المنزلة، ورفعة المكانة، ولذا أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) [الأعراف: ١٩٩]، وليس في القرآن آية أجمع لكلمات الأخلاق منها، وثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً" (رواه مسلم).

وما عفا إنسان إلا اعتز؛ لأنه تخلص من حظ نفسه، وفعل ما ندبه الله -عز وجل-، والدنيا قصيرة الأمد لا تستحق التنازع والفرقة من أجلها، وكلنا على رحيل منها.

وبالعفو عمن ظلمك، تنزع سلاحه من يده، وتُشعره بالندم والأسف، وتجده يلتمس رضاك، ويحرص على مصالحتك، وقد ذكر الله من صفات أهل الجنة (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) [آل عمران: ١٣٤]، في قوله -تعالى-: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: مع كف شرهم يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال". ولذا قال الله: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [الشورى: ٤٠].

والعفو من صفات أنبياء الله -عليهم السلام-، قال يوسف -عليه السلام- لإخوته: (لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [يوسف: ٩٢]، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال الله له: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف: ١٩٩].

وفي الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله" (رواه أحمد والترمذي).

رزقنا الله اقتفى أثر رسولنا -صلى الله عليه وسلم- قولاً وعملاً وخلقاً.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ختم النبي -صلى الله عليه وسلم- الوصايا بمناداة عقبة بن عامر مرة أخرى، وهذا يدل على خُلُق النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه -رضي الله عنهم-، فقال: "أمسك لسانك، وابك على خطيئتك، وليسعك بيتك".

أما اللسان: فهو أكثر ما يدخل الناس النار، كما ورد في الحديث: "الفم والفرج" (رواه الترمذي). وقال -عليه الصلاة والسلام-: "أكثر خطايا ابن آدم في لسانه" (رواه الطبراني).

وقد يكون في أقواله رفعة له في درجاته، كتفريج كربته، ونصرة مظلوم، أو شفاعة حسنة، وإما أن يزل بها في النار -كاستهزاءً بالدين وأهله-، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، تهوي به في النار سبعين خريفاً" (رواه البخاري).

وأوصاه كذلك بالبكاء على الخطيئة، أي: بالندم على فعلها، وليكن هذا الندم في الدنيا بالتوبة منها قبل الآخرة.

والندم شرط من شروط التوبة، كالإقلاع من الذنب، والعزم على عدم العودة، وكرهية الذنب كما يكره أن يقذف في النار، ورد المظالم إلى أهلها، وقبل أن تغرغر الروح، أو تخرج الشمس من مغربها. ثم ختم النبي -صلى الله عليه وسلم- الوصايا بقوله: "وليسعك بيتك"، لاسيما زمن الفتن وفساد الناس، ولما ظهرت الفتنة بمقتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال محمد بن سيرين -رحمه الله- "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا الثلاثين".

وإذا كان في خلطة مع الناس وصبر على أذاهم فهو أخير، كما جاء في الحديث: "والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (رواه الترمذي).

فهذه ست وصايا نبوية، جامعة، مانعة، سهلة، ميسرة، قصيرة الألفاظ، عظيمة المعاني، لن يأتي بهذه المعاني المختلفة الموزونة أديباً أو حكيماً يمثلها، بينما قالها النبي -صلى الله عليه وسلم- لعقبة بن عامر وهما ماشيان كما ورد في الحديث.

اللهم ارزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.
ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين.

شرح حديث عبد الله بن سلام -رضي الله عنه-

الخطبة الأولى:

كان مَقْدُمُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- المدينة يوماً مشهوداً، فقد كان الأنصار -رضي الله عنهم- يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ، فَلَمَّا وَصَلَ -صلى الله عليه وسلم- انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ -أي: ذهبوا مسرعين إليه واجتمعوا به-.

وكان عبد الله بن سَلَامٍ -رضي الله عنه- فيمن جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو عالمٌ بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما كان راسخاً في العلم اتصل علم قراءته بعلم المعرفة، قال: "فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبنته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: "أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" (رواه الترمذي وابن ماجه).

راوي هذا الحديث عبدُ الله بنُ سلامٍ -رضي الله عنه-: هو حَبْرٌ من أخبار اليهود، وعَلِمَ من أعلامهم فأسلم، وبشّره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، كما في صحيح مسلم عن عامر بن سعد قال: سمعت أبي يقول: "ما سمعت رسولَ الله يقول لِحَيٍّ يمشي إنه في الجنة إلا لعبد الله بن سلام". قال: لما رأيت وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتأملت وجهه، واستبنته، عرفت أنه ليس بوجه كذاب، فأمن به فوراً؛ لأن الظاهرَ عنواناً للباطن، قال السندي -رحمه الله-: "لِما لاح عليه من سواطع أنوار النبوة، وإذا كان أهل الصلاح والصلاة في الليل يُعْرِفُونَ بوجوههم، فكيف هو وهو سيدهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه".

وفي قوله: "عرفت أنه ليس بوجه كذاب" وذلك أن اليهود يصفون الأنبياء -عليهم السلام- دائماً بالكذب، قال -سبحانه- عنهم: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) [البقرة: ٨٧].

ابتدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- حديثه بالنداء بقوله: "يا أيها الناس" لِيَدُلَّ الْمَسْتَمِعَ عَلَى أَهْمِيَةِ هَذَا الْخُطَابِ، وَلأن النداء يوجب تنبُّه المخاطب لما يُلقَى عليه، فذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث أعمالاً فاضلة من محاسن الإسلام -قولية وفعلية، ومالية- وهي صالحة لعموم الناس، وخاصتهم من ذوي القربى.

أولها: إفشاء السلام وهو: نشره وإشاعته لكل مسلم ليُحيوا سنته -عليه السلام-، دون أن يُخصَّصَ

للمعارف والأصحاب، قال ابن حجر: "إفشاء السلام حصول المحبة بين المُتَسَالِمِينَ"، وهو داخل في
لين الكلام، كما قال ابن رجب -رحمه الله-، وقد قال الله -عز وجل-: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة:
٨٣]، وفيه تواضع للناس، وعدم تصعير الخد لهم.

وهو سببٌ موصل لدخول الجنة قال -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده! لا تدخلوا الجنة
حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام
بينكم" (رواه مسلم)، إفشاء السلام من أسباب المحبة في الله، وقوة الإيمان، وقد سُئل -صلى الله عليه
وسلم-: أي الإسلام أفضل؟ قال: "أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم
تعرف" (متفق عليه).

وقد كان من هديه -صلى الله عليه وسلم- إفشاء السلام للكبار والصبيان، وأرشد إلى أنه "يُسَلِّم
الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير" (متفق عليه)، وعلى المسلم عليه أن
يرد السلام لقول الله -تعالى-: (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) [النساء: ٨٦].

وهو من حق المسلم على المسلم، كما في الحديث: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام،
وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" (متفق عليه).

ولا يتدئ السلام على غير المسلم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تبدؤوا اليهود والنصارى
بالسلام" (رواه الترمذي).

الخصلة الثانية من هذا الحديث المبارك: إطعام الطعام لمن هو محتاج إليه من المساكين والأيتام، قال
العيني -رحمه الله-: "إطعام الطعام غير مختص بأحد، سواء كان المُطْعَمُ مسلمًا، أو كافرًا، أو حيوانًا"،
كما ورد في الحديث: "في كل ذات كبد رطبة أجر" (متفق عليه).

وقد جعل الله إطعام الطعام من الأسباب الموجبة للجنة ونعيمها، قال -عز وجل-: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ
عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
شُكْرًا) [الإنسان: ٨-٩]، إلى قوله: (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) [الإنسان: ٢١]، فوصف فاكهتهم
وشراهم جزاءً لإطعامهم الطعام، وفي الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "اتقوا النار ولو
بشق تمر" (متفق عليه).

قال ابن القيم -رحمه الله-: "إذا كان الله قد غفر لمن سقى كلبًا على شدة الظم، فكيف بمن سقى
العطاش، وأشبع الجياع، وكسى العراة من المسلمين؟".

وإطعام الطعام من خصال الإسلام الحَيْرَةِ التي أتى بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقد جاءه رجلٌ فقال: "يا رسول الله! أي الإسلام خير؟"، قال: "تطعم الطعام، وتُقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" (متفق عليه).

وفي حديث صُهيب -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "خيركم من أطعم الطعام، أو الذين يطعمون الطعام" (رواه أحمد)، لما يمتاز به المطعم من بذلٍ ومحبةٍ لإخوانه، ويتأكد إطعام الطعام للجائع وللجيران خصوصًا، فعن أبي ذر -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: "يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعهّد جيرانك" (رواه مسلم)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع" (رواه الطبراني).

وأفضل أنواع إطعام الطعام: الإيثار مع الحاجة، كما وصف الله -تعالى- بذلك الأنصار -رضي الله عنهم- فقال: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: ٩].

وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- لا يُفطر إلا مع اليتامى والمساكين، ومنهم من يُطعم إخوانه الطعام ويخدمهم وهو صائم، منهم الحسنُ البصريُّ وابنُ المبارك، ومنهم من يُفضّل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين، ولا سيما إن كان الإخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام.

وفقنا الله لفعل الخيرات، وأداء القربات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الخصلة الثالثة من خصال هذا الحديث المبارك: صلة الأرحام، فقد أمر بها في أكثر من آية من كتابه الكريم، وهي ثالث الحقوق العشرة كما في قوله -تعالى-: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا) [النساء: ٣٦]، قال البغوي: أي: "أحسنوا بذي القربى"، وهو صاحب القرابة ومن يصح إطلاق اسم القربى عليه، وإن كان بعيدًا، بل أمر الله الموسرين بتفقد المعوزين من قراباتهم، وإعطاء ما تدعو إليه حاجتهم، وإعفافهم، كما أمر الله به في قوله -سبحانه-: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠].

وقد رغب النبي -صلى الله عليه وسلم- بالبذل والعطاء لهم فقال: "الصدقة على المسكين صدقة،

وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة" (رواه ابن ماجه)، وهي من خصال الخير التي دعا إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كما في قصة هرقل حين قال لأبي سفيان: "فماذا يأمركم به؟ - يعني النبي - صلى الله عليه وسلم - قال قلت: يقول: "اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة" (متفق عليه).

وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن "صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب" (رواه الطبراني) وقال: "من أحب أن يُيسر له في رزقه، ويُيسر له في أثره فليصل رحمه" (متفق عليه).

ومعنى "يُيسر له في أثره": أي يؤخر له في أجله وعمره، وهذه كناية عن البركة في العمر، وقيل: إن الزيادة على حقيقتها بالنسبة إلى علم الملك الموكّل بالعمر - كما قاله ابن حجر، رحمه الله -.

ومما يدل على أهمية صلة الرحم، وعدم قطعها، ما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله" (رواه مسلم)، وفي حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لا يدخل الجنة قاطع" (متفق عليه).

ومن خصال هذا الحديث الصلاة بالليل: وقد وصف الله عباده أهل الإيمان بأنهم (تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [السَّجْدَة: ١٦]، وكان جزاؤهم (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [السَّجْدَة: ١٧].

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ورعّب في صلاة الليل فقال: "أفضل الصلاة بعد الفريضة" (أخرجه مسلم)، وفي حديث جابر قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة" (رواه مسلم).

وطرّق - صلى الله عليه وسلم - عليًا وفاطمة ليلًا فقال: "ألا تصليان" (متفق عليه)، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"، قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً (متفق عليه).

وفي صلاة الليل فضلٌ عظيم، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا أيقظ الرجل أهله من

الليل فصلياً، أو صلى ركعتين جميعاً، كُتِبَا في الذاكرين والذاكرات" (رواه أبو داود).

وكان -عليه السلام- يصلي إحدى عشرة ركعة يسلم من كل اثنتين، ويوتر بواحدة، وربما أوتر بتسع وبسبع أو خمس، ولكنَّ الأغلب أنه يصلي إحدى عشرة، وربما صلى ثلاث عشرة يطيل في قراءته وركوعه وسجوده.

وخص الصلاة بالليل "والناس نيام" لأنه وقت الغفلة ولبعده عن الرياء والسمعة.

ورثب لهذه الأعمال الصالحة في هذا الحديث: "تدخلوا الجنة بسلام" أي من كل مكروه أو تعب ومشقة، فإنكم إذا فعلتم ذلك ومُتَم عليه، دخلتم الجنة آمنين لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، أو أنه بلا عقاب ولا عذاب لأن من عُذِّب لم يسلم.

وقد وردت رواية أخرى تدل على فضل هذه الأعمال الأربعة، ففي الترمذي، عن علي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها"، قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: "لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وصلى بالليل والناس نيام".

وعند الحاكم من حديث أبي شريح -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله! أخبرني بشيء يوجب لي الجنة قال: "طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام".

فهذه الأمور الأربعة في هذا الحديث، من أسباب دخول الجنة بسلام.

نسأل الله -تعالى- أن يوفقنا وإياكم لأداء هذه الأعمال الصالحة، وأن يجعلنا ممن يدخلون الجنة بسلام، إنه على كل شيء قدير.

عباد الله: وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث "من أصبح منكم اليوم صائمًا"

الخطبة الأولى:

وصف الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بأنه (رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، وقال أيضًا - سبحانه-: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩]، فهو -صلى الله عليه وسلم- يشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم ومعاشهم، ولذا هو قريب من الصحابة -رضي الله عنهم- في شؤونهم.

قال أبو هريرة -رضي الله عنه- قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: "من أصبح منكم اليوم صائمًا؟"، قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟"، قال أبو بكر -رضي الله عنه- أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟"، قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟"، قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة" (رواه مسلم).

في هذا الحديث النبوي يظهر تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- ومباسطته لأصحابه -رضي الله عنهم-، وهذا ظاهر جلي في أحداث كثيرة منها: ما رواه سمرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: "من رأى منكم الليلة رؤيا؟" قال: فإن رأى أحد قصها فيقول ما شاء الله" (رواه البخاري).

أو كقول جابر بن سمرة -رضي الله عنه-: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس، فيتحدث أصحابه يذكرون حديث الجاهلية، وينشدون الشعر ويضحكون، ويتبسم -صلى الله عليه وسلم-" (رواه النسائي).

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه -رضي الله عنهم- عن بعض من نوافل العبادات وليس الفرائض، وهذه الأعمال الخيرة باجتماعها تكون سببًا بعد رحمة الله لدخول الجنة:

أولها: الصيام، وهو صيام التطوع، وقد اختص الله بثواب هذا العمل، كما في الحديث قال: "يقول الله -عز وجل-: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقي ربه، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" (متفق عليه).

وفي صوم التطوع وردت فضائل عامة، كقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً" (رواه مسلم).
أو بتخصيص أيامٍ من أيام الأسبوع بعينها -كالاثنين والخميس- قال فيهما: "تُعْرَضُ الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبّ أن يُعْرَضَ عملي وأنا صائم" (رواه الترمذي).
أو تحديد ثلاثة أيام من كل شهر، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "أوصاني خليلي -صلى الله عليه وسلم- بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام" (رواه البخاري).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله" (متفق عليه).

وورد تخصيصُ هذه الأيام بأيام البيض، فقال لأبي ذر: "إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة" (رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه).

ومن الصيام ما يكون سنويًا: كصيام يوم عرفة لغير الحاج، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في فضله: "صيام يوم عرفة إنني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده، والسنة التي قبله" (رواه مسلم).
أو عشر ذي الحجة، أو يوم عاشوراء، فقد صامه وأمر بصيامه، وسئل عنه فقال: "يكفر ذنوب السنة الماضية" (رواه مسلم)، وفيه "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع".

ومنها: الإكثار من الصيام في شعبان، فقد كان يفعله -صلى الله عليه وسلم-، حتى قالت عائشة -رضي الله عنه-: "ولم أره صائمًا من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً" (رواه مسلم).

الثاني من الأعمال: اتباع الجنائز، وقد جعله النبي -صلى الله عليه وسلم- حَقًّا من حقوق المسلم على المسلم، فقال: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" (رواه البخاري).

واتباع الجنائز إما أن يكون اتباعها بالصلاة عليها، أو بالصلاة عليها وحتى يفرغ من دفنها. والأخير أفضل لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "من شهد الجنائز حتى يُصَلِّيَ؛ فله قيراط، ومن شهد حتى تُدْفَنَ كان له قيراطان"، قيل وما القيراطان؟، قال: "مثل الجبلين العظيمين" (متفق عليه).

الثالث من الأعمال: إطعام المسكين، وهو من الأعمال التي أمر الله بها وحض عليها، ومدح الله -

تعالى - فاعلها، فقال: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) [الإنسان: ٨-٩].

وقد جاء في الحديث القدسي أنه يقول للعبد يوم القيامة: "يا ابن آدم! استطعمتك فلم تُطعمني، فيقول: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! فيقول: أستطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي" (رواه مسلم).

وورد في فضل إطعام الطعام قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة عُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" (رواه الإمام أحمد).

الرابع من الأعمال: عيادة المريض، وهي من حق المسلم على المسلم، وقد جاء في فضل العيادة أحاديث كثيرة، منها: قوله -صلى الله عليه وسلم-: "من عاد مريضًا لم يزل في خُرْفَةِ الجنة حتى يَرْجِعَ" (رواه مسلم)، والخُرْفَةُ: ما يخترق منها، والمعنى: أنه يمشي في طريق مفضية إلى الجنة، كأنه يمشي في طريق وسط الجنة يجني من ثمارها ما شاء.

وهي الأعمال الصالحة التي فيها ثواب وأجر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه منادٍ أن طُبت وطاب ممشاك، وتبوات من الجنة منزلًا" (رواه ابن ماجه والترمذي).

فعودوا المريض فإن الله يلوم على تركها، ففي الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله يقول للعبد يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني! فيقول: كيف أعودك يا رب وأنت رب العالمين؟! فيقول: مرض عبدي فلان فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده" (رواه مسلم).

ويستحب للعائد أن يدعو للمريض بالشفاء والعافية، وأن يُوصِيَه بالصبر والاحتمال، وأن يقول له الكلمات الطيبة التي تطيب نفسه وتقوي رُوحه.

كما يستحب تخفيفُ العيادةِ وتقليلها ما أمكن، حتى لا يشقَّ طولُ الجلوسِ عنده عليه، إلا إذا رغب المريض في ذلك، أو علم الزائر أن المريض يجب زيارته وطول الجلوسِ عنده.

ومن الأدعية المشروعة: "اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً" (متفق عليه).

وقفنا الله لطاعته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

في هذا الحديث مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، حَيْثُ إِنَّهُ الَّذِي اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.

وقد ورد في معنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة"، قال القاضي: "معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله -تعالى-".

واجتماعها في يوم يدل على دوام السعادة لصاحبها، ومما يوجب حُسْنَ الخاتمة ودخول الجنة -بعد رحمة الله -.

أبو بكر -رضي الله عنه- صاحب مبادرات الخير، سمع أن للجنة ثمانية أبواب، لم يَرْضَ أن يُدْعَى من باب أو بابين، وإنما أحب أن يُدْعَى من ثمانية أبواب، فقال: "ما على أحدٍ يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كُلِّها؟ قال رسولُ الله: "نعم، وأرجو أن تكونَ منهم" (متفق عليه).

ومثل اجتهاد خليفة رسول الله أبي بكر -رضي الله عنه- في العبادات يبعث في نفس المسلم العجب والإعجاب، ويقود إلى الاقتداء بمثل أولئك الذين صحبوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ففي يوم واحد يجتهد المسلم فيه بالصيام، واتباع الجنائز، وإطعام المساكين، وعيادة المريض، فإن من قام بهذه وغيرها فهي من أعمال تقوية الإيمان، بسبب اجتماع أمهات العبادات.

وخصال الخير في يوم أبي بكر لم يكن يفعل ذلك تحرياً لمثل هذا السؤال، وإنما كان ذلك يوماً معتاداً من أيامه، وما سَبَقَ الصِّدِّيقُ الأُمَّةَ وكان في الفضل بعد نبيها إلا بأشياء من جنس هذه الأعمال العظيمة، لذا قَرَنُ الصحابة ومن بعدهم من سلف هذه الأمة كانت أوقاتهم مملوءة بالطاعات، وأداء نوافل العبادات، فضلاً عن الحرص على أداء الفرائض.

وكان أبو بكر -رضي الله عنه- أحبَّ الرجال إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقال فيه: "إن من أَمَنَ الناسِ عليَّ في صحبتته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا ييقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر" (رواه

البنخاري).

ومن أعظم مناقبه التي لا يشاركه فيها غيره قول الله -تعالى-: (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التَّوْبَةِ: ٤٠].

رزقنا الله اقتفاء أثر رسولنا -صلى الله عليه وسلم-.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل المساجد الثلاثة

فضل مكة المكرمة

الخطبة الأولى:

فاضل الله بين البقاع والأمكنة، وأعظم بقعة فاضلة على وجه الأرض بيت الله الحرام، رفع قواعده إبراهيم -عليه السلام-، قال -سبحانه-: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: ١٢٧].

وقد خصه الله -تعالى- بخصائص فريدة، وميزات عديدة، منها ما قاله -سبحانه-: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) [آل عمران: ٩٦-٩٧]، ففي هذه الآية الكريمة سبع خصال ليست لغيره من المساجد، فهو أول بيت وضع للناس، ومبارك، وهدى للعالمين، وفيه آيات بينات، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والحج والعمرة إليه.

وميز -تعالى- بيته الحرام بأن جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحنُّ إليه، ولا تقضي منه وطراً، ولو ترددت إليه كلَّ عام، (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) [البقرة: ١٢٥]، وذلك استجابة من الله -تعالى- لدعاء خليله إبراهيم -عليه السلام- في قوله: (فَجْعَلْ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) [إبراهيم: ٣٧].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "فليس أحدٌ من أهل الإسلام إلا وهو يحنُّ إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار". وهي مولد ونشأة خير عباد الله، محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- وهي مهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وقبله المسلمين، ومهوى أفئدتهم.

وهي أم القرى قال -تعالى-: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) [الشورى: ٧]، وتسميتها بأم القرى، لأنها أشرف من سائر البلاد.

ومكة حرمٌ حرّمها الله -عز وجل-، كما في قوله -تعالى-: (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [النمل: ٩١]، وقوله -جلّ ذكره-: (أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [القصاص: ٥٧].

وكما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق

السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضد شوكة، ولا يُنفر صيده، ولا يُلتقط إلا من عرّفها، ولا يُختلى خلاها، فقال العباس: يا رسول الله! إلا الإذخر فإنه لقينهم وليبوتهم، فقال: "إلا الإذخر" (متفق عليه). القين: الحدّاد لأنه يحتاج إليه في عمل النار، وبيوتهم تحتاج إليه في التسقيف.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "إذا عُلم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم -عليه السلام- حرّمها؛ لأن إبراهيم بَلَّغ عن الله حُكْمَه فيها، وتحريمه إياها وأنها لم تنزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم -عليه السلام- لها".

ومن المنن التي امتن الله بها على أهل مكة، أنه أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فقبّل الإسلام كان أمرًا متعارفًا لأهل الجزيرة، وعندما جاء الإسلام أكد ذلك قال -سبحانه-: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [آل عمران: ٩٧].

ومكة المكرمة محفوظةٌ بحفظ الله لها من أي عدو يريد بها سوءًا كما حصل لأصحاب الفيل، وتوعد الله من أراد بها شرًا بقوله -سبحانه-: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) [الحج: ٢٥]، قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "لو أن رجلاً أراد بالحاد فيه بظلم وهو بعدن أبين، لأذاقه الله من العذاب الأليم".

ودعا إبراهيم -عليه السلام- لأهلها بالأمن والرزق بقوله: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [البقرة: ١٢٦]، فأجاب الله دعاءه، وأصبح يجي إليها ثمرات كل شيء، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب، وهذا مصداق لقول الملك لهاجر أمّ إسماعيل -عليهما السلام- كما في صحيح البخاري: "لا تخافوا الضيعة -أي الهلاك-؛ فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله" الحديث.

وفي حديث أبي جهم "لا تخافي أن ينفد الماء"، وفي رواية علي بن الوازع، عن أيوب عند الفاكهي "لا تخافي على أهل هذا الوادي ظمًا، فإنها عين يشرب بها ضيفان الله"، زاد في حديث أبي جهم "فقلت: بشرك الله بخير".

ومكة خير أرض الله إلى الله، كما في حديث عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري: قال: "رأيت رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على راحلته بالحزورة - مكان في مكة مرتفع يسيراً - يقول: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت" (رواه النسائي).
وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمكة: "ما أطيبك من بلد!، وأحبك إلي!، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك" (رواه الترمذي).
وهي بلد لا يطؤها الدجال، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ليس من بلد إلا سيطوه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق" (متفق عليه).

ومكة دار إسلام وستبقى كذلك، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في عام الفتح: "لا هجرة، ولكن جهادٌ ونية" (متفق عليه)، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "في الحديث بشارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن مكة تستمر دار إسلام".

وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - عن جماعة من المفسرين، أسماء كثيرة لمكة تدل على ما فيها من معاني، فهي مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأم رحم، وأم القرى، وصلاح، والعرش، والقادس؛ لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، والناسة بالنون، وبالباء أيضاً، والحاطمة، والنساسة، والرأس، وكوثى، والبلدة، والبنية، والكعبة.

وقد أجابت أفئدة من الناس نداء الخليل، منهم موسى، ويونس - عليهما السلام - كما في صحيح مسلم، ويقصدها الناس مشاةً وركباً من كل فج عميق؛ (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) [الحج: ٢٨]، ويقصدها الزوار والمعتزمون على مدار أيام السنة لما فيها من ثواب كبير.

وقفنا الله لطاعته.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

مكة بلد الخيرات والبركات، وهذا بركة دعا خليل الرحمن لها - عليه السلام -، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة" (رواه البخاري).

ومن بركاتها قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ مسجدي

هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى" (متفق عليه).

وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه" (رواه ابن ماجه).

والحجر الأسود نزل من الجنة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم" (رواه الترمذي).

ويُستحب للطائف -إن تيسر له- أن يمَسح الركن اليماني، قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة" (رواه أبو داود).

وعند الكعبة مقام إبراهيم -عليه السلام-، لما طاف النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له عمر: هذا مقام أينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأَنْزَلَ اللهُ، -عز وجل-: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة: ١٢٥].

وبها ماء مبارك هو ماء زمزم، قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنها مباركة، إنها طعام طعم" (رواه مسلم)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "طعام طعم، وشفاء سُقْم" (رواه البزار). ومن أكرمه الله بالملكث فيها وأراد مزيد تطوع فله الطواف بالبيت العتيق، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل بقعة من الأرض سواها".

ومواطن الدعاء فيها كثيرة، كالدعاء عند الملتزم، وعلى الصفا والمروة، وخير الدعاء يوم عرفة، وعند رمي الجمار، وغيرها.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاد، وأحبها إليه، ومختاره من البلاد، لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، فَرَضَ عليهم قصدها وجعل ذلك من أكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه، فقال -تعالى-: (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) [التين: ٣]، و(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) [البعد: ١].

وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يُشرع تقبيله، واستلامه، وتُحطُّ الخطايا والأوزار فيه، غير الحجر الأسود، والركن اليماني".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولا يُقْبَل ما على وجه الأرض إلا الحجر الأسود".
وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: "وحسبك بمكة أن فيها بيت الله الذي رضي لعباده على الحط
لأوزارهم، وغفران ذنوبهم أن يقصدوه مرة واحدة في أعمارهم، ولم يقبل من أحد صلاةً إلا باستقبال
جهته بصلاته، إذا كان عالماً بالجهة، قادرًا على التوجه إليها، فهي قبلة أهل دينه أحياء وأمواتًا، والآثار
عن السلف في فضائل مكة كثيرة جدًا".
والآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة يطول المقام في ذكرها، وقد بَوَّب الإمام البخاري بابًا في
فضائلها، وكذا أصحاب السنن -رحمهم الله-.
وفقنا الله لأداء العمل الصالح المتقبل.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل المدينة النبوية

الخطبة الأولى:

المدينة النبوية دار هجرة خير البرية محمد - صلى الله عليه وسلم-، وقد أمره الله - عز وجل - أن يدعوه بقوله: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) [الإسراء: ٨٠]، يعني: المدينة، (وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) [الإسراء: ٨٠]، يعني: مكة.

وقد رأى في منامه - صلى الله عليه وسلم - ما ذكره بقوله: "رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب" (متفق عليه). وهي دار هجرة الصحابة - رضي الله عنهم -؛ فالتقى فيها الذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ - الأنصارَ - بإخوانهم المهاجرين، ومنها انطلقوا فاتحين للقلوب والبلاد، في المدينة هبط الوحي فيها، ومشى على ثراها خير خلق الله، عاش فيها، ومات، ودفن بها، والإيمان يأرز إليها، وفضلها تعاقب العلماء والمصنّفون في ذكر فضائلها.

قال ابن وهب: "سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: إن المدينة تبوّأت بالإيمان والهجرة، وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) [الحشر: ٩]، الآية".

فيها من الفضائل والخلال ما يفوق بلاد الله خلا مكة شرفها الله، وفضلها جعلها الله حرماً، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "المدينة حرم من كذا إلى كذا؛ لا يُقطع شجرها، ولا يُحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف" (متفق عليه)، ولهما: "المدينة حرم ما بين عير إلى ثور".

لها محبة في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال أنس - رضي الله عنه -: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته - أي: أسرعها -، وإن كان على دابة حرّكها؛ من حُبّها" (رواه البخاري).

بل دعا الله بقوله: "اللهم حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة، أو أشد، وصحّحها، وبارك لنا في صاعها، ومُدّها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة" (متفق عليه).

ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لها بالبركة فقال: "إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مُدّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم - عليه

السلام- لمكة" (متفق عليه).

ودعا لها أيضًا ببركة مضاعفة فقال: "اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة" (متفق عليه)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مُدُننا، وصاعنا، اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم اجعل مع البركة بركة" (رواه أحمد).
والبركة هي: كثرة الخير، قال النووي -رحمه الله-: "الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكي، بحيث يكفي المدُّ فيها من لا يكفيها في غيرها".

والمدينة النبوية بلد لا يطؤه الدجال، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال" (متفق عليه)، والأنقاب: هي المداخل المؤدية إليها، والطاعون: الوباء المميت.

وهي تأكل القرى، وتنفي شرار الناس، كما في الصحيحين: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"، وقوله: "أمرت بقرية" أي: أمرني ربي بالمهجرة إليها، أو سكنها، ومن صفاتها: "تأكل القرى" أي: تغلبهم.

وكثي بالآكل عن الغلبة؛ لأن الآكل غالب على المأكول، أو أن أكلها وميرتها من القرى المفتحة، واليها تساق غنائمها، قال ابن المنير: "يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غلبة فضلها على فضل غيرها، ومعناه: أن الفضائل تضحل في جنب عظيم فضلها، حتى تكاد تكون عدماً".
وهي "تنفي الناس، كما ينفي الكير خبث الحديد" أي: أن المدينة تنقي الناس فيقي خيائهم، وتطرد شرارهم.

ومن أراد بالمدينة أو بأهلها سوءًا فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يكيّد أهل المدينة أحدٌ إلا انماع، كما ينماع الملح في الماء" (رواه البخاري)، وفي رواية مسلم: "من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله"، والمعنى: من يدبر لهم ما فيه ضرر بغير حق.

وجاء الترغيب في سكنها حتى بعد فتح الأمصار، قال -صلى الله عليه وسلم-: "يُفتح اليمن، فيأتي قوم ييسون، فيتحمّلون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفتح الشام، فيأتي قوم ييسون، فيتحمّلون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفتح العراق، فيأتي قوم ييسون، فيتحمّلون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا

يعلمون" (متفق عليه).

وكانت تُسمى بيثرب، فسامها النبي -صلى الله عليه وسلم- طابة، مشتقة من الطيب، وقيل: من طيب العيش بها.

وللمدينة النبوية أسماءٌ منها: المدينة، وطابة، وطيبة، والمطيبة، والمسكينة، والدار، وجابرة، ومجبورة، ومنيرة، ويثرب.

ونزل النبي -صلى الله عليه وسلم- قبيل دخوله المدينة قباءً في بني عمرو بن عوف -من الأوس- وفيها أسس مسجد قباء الذي ذكره الله بقوله: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ) [التوبة: 109].

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتي مسجد قباء راكبًا وماشيًا فيصلى فيه ركعتين (متفق عليه)، وفي الصحيحين: "إن ابن عمر كان يأتي قباء كل سبت، وكان يقول رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يأتيه كل سبت".

ومسجد قباء ليس من شد الرحال، بل إنما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه، ثم يأتيه فيقصد، كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر إليها.

وفي المدينة النبوية جبلٌ أحد، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "هذه طابة، وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه" (متفق عليه).

وصعد النبي -صلى الله عليه وسلم- أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: "اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان" (رواه البخاري).

وعلى من أدرك فضل الإقامة والسكنى في مدينة رسول الله أن يصبر على ما يحصل له فيها من ضيق عيش، أو بلاء، أو لأواء؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي، إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا" (رواه مسلم).

وفقنا الله لطاعته.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من أكرمه الله بزيارة مسجد رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- وأراد زيارة قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقبري صاحبيه -رضي الله عنهما- فإنه يستقبل القبر، فيسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وسلم- بقوله: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم يُسلم على صاحبيه أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- مثل ذلك.

ويحرص على أداء الصلوات في المسجد النبوي، فهي مضاعفة، قال -عليه الصلاة السلام-: "صلاة في مسجدي هذا، خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام" (متفق عليه).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة" (متفق عليه)، قال ابن حجر -رحمه الله- في قوله: "روضة من رياض الجنة" أي: كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر، لا سيما في عهده، فيكون تشبيهاً بغير أداة"، وليستشعر المسلم أن مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انتشر منها العلم على أيدي أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فحريّ أن يقدرها حق قدرها، ويعمّر أيامه فيها بالقربات. وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل المسجد الأقصى

الخطبة الأولى:

فُضِّلَ المسجد الأقصى بميزات عديدة، فهو قبلة المسلمين الأولى، ومسرى رسول رب العالمين، وقد صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمسلمون إليها ستة عشر أو سبعة عشر شهراً قبل أن تُحوَّل القبلة إلى الكعبة، قال -سبحانه-: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [البقرة: ١٤٤].

وإليه أُسري برسولنا -صلى الله عليه وسلم- قال -تعالى-: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [الإسراء: ١]، قال ابن كثير -رحمه الله- في مناقب المسجد الأقصى: "إنه معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل -عليه السلام-، ولهذا جُمعوا له هناك كلُّهم، فأتمهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في محلتهم، ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، -صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين-، قال -عليه الصلاة والسلام-: "فحانت الصلاة فأممتهم" (رواه مسلم).

وهو ثاني المساجد في الأرض، قال أبو ذر -رضي الله عنه-: "قال: قلت يا رسول الله! أي مسجد وُضِعَ في الأرض أول؟ قال: "المسجد الحرام"، قال: قلت ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى"، قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعدُ فَصَلِّهِ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ" (متفق عليه).

وأول من بنى المسجد الأقصى حفيد إبراهيم -عليه السلام- يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -وسليمان- عليه السلام - جده بعد ذلك، وإذا صح هذا فهو قريب مما أفاده الحديث من المدة بين المسجدين، كما جزم به الحافظ ابن كثير -رحمه الله-.

وهو أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ الرحال إليها، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى" (متفق عليه).

والشام أرض المحشر والمنشر، قالت ميمونة بنت سعد مولاة النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا نبي الله! أفتنا في بيت المقدس؟ فقال: "أرض المحشر والمنشر" (رواه ابن ماجه).

قال المناوي -رحمه الله-: "أي البقعة التي يُجمع الناس فيها إلى الحساب، وينشرون من قبورهم، ثم

يساقون إليها، وخصت به؛ لأن أكثر الأنبياء بُعثوا منها، فانتشرت في العالم شرائعهم، فَنَاسَبَ كونها أرضَ الحشر والمنشر".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "دلت الدلائل المذكورة على أن مُلْكَ النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يُحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام".

والمسجد الأقصى وما حوله مبارك، قال -تعالى-: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) [الإسراء: ١]، أي: في الزروع والثمار وغيرها. ودعا النبي -صلى الله عليه وسلم- لعموم أرض الشام فقال: "اللهم بَارِكْ لنا في شامنا، اللهم بَارِكْ لنا في يمننا" (رواه البخاري).

عمر الله قلوبنا بالإيمان.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

أجمع العلماء على استحباب زيارة المسجد الأقصى، والصلاة فيه، وعلى فضله، قال -تعالى-: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) [الإسراء: ١].

وفي حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله -عز وجل- خلالاً ثلاثة: سأل الله -عز وجل- حُكْمًا يُصَادَفُ حكمه فأوتيه، وسأل الله -عز وجل- مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأوتيه، وسأل الله -عز وجل- حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا يَنْهَهُهُ -أي: لا يجره ويدفعه- إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطيبته كيوم ولدته أمه" (رواه أحمد).

وليعلم أن الفضائل والأحداث التي في قصة الإسراء والمعراج للمسجد الأقصى وتخصيصه بالإسراء إليه، ثم العروج إلى السماء وهبوط الأنبياء -عليهم السلام- وعودته منه إلى مكة، تُبين فضل هذا المكان.

قال ابن حجر -رحمه الله-: "قيل الحكمة في ذلك: أن يجمع في تلك الليلة بين رؤية القبلتين، أو لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة، ليجمع بين أشدّات الفضائل، أو لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان

المعراج منه أليق بذلك، أو للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسًا ومعنى، أو ليجتمع بالأنبياء".
ووجه تسميته بالأقصى: لبعده المسافة بينه وبين الكعبة، أو لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة.
والمسجد الأقصى ثالث المساجد المقدسة، وليس ثالث الحرمين فليس هناك أماكن أخرى يقال لها: حرم
إلا مكة والمدينة، فإتھما حرمان وهما حرمان تجري عليهما الأحكام الشرعية، فلا يقطع منها الشجر،
ولا يُصَاد الصيد، وغير ذلك مما يترتب عليه أحكام الحرم.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

العبادات

فضائل يوم الجمعة

الخطبة الأولى:

خَصَّ اللهُ هذه الأمةَ بخصائصَ وميزاتٍ في أيامها ولياليها، كرمًا منه وفضلًا، فقد ميّزَ يومَ الجمعةِ بفضائلَ عن بقية أيام الأسبوع، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدخِلَ الجنة، وفيه أُخْرِجَ منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه.

هو خيرُ أيام الأسبوع، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثرُوا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ" (رواه أبو داود)، أضلَّ اللهُ يوم الجمعة عن الأمم السابقة، فقد اختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خَلْق، واختار النصارى يوم الأحد، الذي ابتدأ في الخلق.

واختار اللهُ لهذه الأمة يوم الجمعة، الذي أكمل اللهُ فيه الخليفة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا يومهم الذي فرض اللهُ عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا اللهُ له، فالتاس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد" (رواه البخاري)، وفي لفظ مسلم "أضل اللهُ عن الجمعة من كان قبلنا".

ميّز اللهُ هذا اليوم بصلاة الجمعة، قال -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الجمعة: ٩]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي اقصِدُوا واعْمَدُوا واهتموا في مسيركم إليها". والسعي لها يكون بسكينة وتفرغ عن مشاغل الدنيا، قال -سبحانه-: (وَذَرُوا الْبَيْعَ) [الجمعة: ٩].

وجزاء هذا العمل قال -سبحانه-: (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الجمعة: ٩]، أي بترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون، وبعد أداء الجمعة يكون الانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله، مع المداومة على ذكر الله دومًا كما أمر الله -سبحانه-: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة: ١٠].

في يوم الجمعة تكفيرٌ للسيئات، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" (رواه الإمام أحمد).

وعلى من يحضر صلاة الجمعة أن يهيئ نفسه تهيئة ملائمة لهذا اليوم المبارك، فقد أرشد النبي -صلى الله

عليه وسلم- إلى جملة من الأعمال المشروعة، منها: الغُسل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "غُسل الجمعة واجبٌ على كلِّ مسلم" (رواه أبو داود).

وكذلك التطيب ولبس أحسن الثياب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهَّر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمسَّ من طيب بيته، ثم يخرج، فلا يفرِّق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" (رواه البخاري).

في هذا اليوم المبارك فضائل لمن بكر في أداؤها، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَن اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى؛ فكأنما قرَّب بدنه، وإذا راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، وإذا راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشاً أقرن، وإذا راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، وإذا راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر" (متفق عليه).

وفي هذا اليوم تحضر الملائكة لبيوت الله، ويكتبون الأول فالأول للقادم إلى المسجد قال -صلى الله عليه وسلم-: "إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجلسوا للخطبة" (متفق عليه).

كما يجب على الداخل للمسجد أن يصلِّي تحية المسجد، ثم يجلس فيما انتهى إليه الصف دون أذية لإخوانه، وقد دخل رجلٌ المسجد ورسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- يخطب، فجعل يتخطى رقاب الناس، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اجلس فقد آذيت وآنيت" (رواه أبو داود وابن ماجه)؛ أي: جمعت بين أذية إخوانك، وتأخُّرك عن الخطبة.

وقفنا الله لاستغلال يومنا بالطاعات، وتقبل منا ومنكم الصالحات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

يوم الجمعة يوم مبارك، فيه فضائل، ونفحات، من صلاة، وذكر، ودعاء، وقراءة للقرآن الكريم، وعلى المسلم أن يجتهد في الدعاء في ساعات يوم الجمعة -وأرجاها آخر ساعة من يومها-.

قال ابن القيم -رحمه الله- عند ذكر مواطن إجابة الدعاء -: "وإذا صحب الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة -ومنها- آخر ساعة بعد العصر من

ذلك اليوم، وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذلاً له، وتضرعًا، ورقّةً، واستقبل
الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله، والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على
محمد عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتوسّل إلى الله بأسمائه وصفاته، وقَدّم بين يدي دعائه
صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا".
وقّنا الله للتعرض لنفحات هذا اليوم المبارك، وجعلنا ممن يعمره بالطاعات.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإخلاص

الخطبة الأولى:

مدار قبول الأعمال على شرطين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فالإخلاص هو: تخلص القلب من كل شوبٍ يكدر صفاءه عن عبادة خالقه، قال -سبحانه-: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [الرُّمَر: ٣].

وقد أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بأداء ذلك في جميع أعماله، فقال -سبحانه وتعالى-: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) [الرُّمَر: ٢]، وقد أمر الله أن يكون إخلاص العمل له وحده لا شريك له: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) [الرُّمَر: ١١].

وقد وردت نصوص قرآنية تدل على لزوم تحقيق الإخلاص قولاً وعملاً واعتقاداً، فقال في حق المؤمنين: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [عَافِر: ١٤]، وقال في حق المنافقين إذا تابوا: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) [النِّسَاء: ١٤٦].

وقد بين أهمية الإخلاص شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "إنه هو الذي لا يقبل الله -تعالى- سواه، وهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قُطب القرآن الذي تدور عليه رحاه".

ولما كانت الأعمال بالنيات، وهي خافية عن عيون الناس، جعل الله النظر إلى قبول العمل في القلب لا القلب، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (رواه مسلم).

وكلمة الإخلاص التي عليها مدار العمل ثوابها عظيم، ومنزلتها عند الله عالية، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقاً من قلبه إلا حُرِمَ على النار"، فقال له عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: أنا أحدثك ما هي، هي كلمة الإخلاص التي أعزَّ الله -تبارك وتعالى- بها محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي أمر بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمه أبا طالب عند الموت، شهادة أن لا إله إلا الله" (رواه الإمام أحمد).

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا انصرف من الصلاة يقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين، ولو كره

الكافرون" (رواه أبو داود).

والمخلص في حرز من الشيطان، لا يستطيع الشيطان إغواءه، فقد أقسم إبليس بعزة ربه أنه يُغوي عباده أجمعين، واستثنى أهل الإخلاص منهم (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص: ٨٢-٨٣].

وإذا أشرك العبد في العمل؛ خاب وخسر، وما جنى إلا التعب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قال الله -تبارك وتعالى-: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه" (رواه مسلم).

وجاء رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم- سائلاً فقال: أرايت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا شيء له"، ثم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه" (رواه النسائي).

وأما المخلص فهو ينال خير الدنيا والآخرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تكفل الله لمن جاهد في سبيله - لا يخرج من بيته إلا جهاداً في سبيله، وتصديق كلمته - بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة" (متفق عليه).

والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل، ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء" (رواه أبو داود)، وإذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس، والرياء، والسمعة، ونعم العبد بحلاوة العبادة، وأداء الثربة التي يعملها.

فاللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

يجب على المسلم أن يجاهد نفسه في أقواله وأفعاله؛ لأن الأمر لها مستحقٌ لكامل العظمة والإجلال، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما قال عبد لا إله إلا الله قطُّ مخلصاً، إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش؛ ما اجتنب الكبائر" (رواه الترمذي)، فإنه بعمله المخلص لا يطلب عليه شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه.

سأل أبو هريرة -رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من أسعد الناس بشفاعتك يوم

القيامة؟"؛ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه" (رواه البخاري).

والإخلاص عملٌ خفيٌّ، قال الجنيد -رحمه الله-: "الإخلاص سرٌّ بين الله وبين العبد لا يعلمه ملَكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده، ولا هوىٌ فيئلمه".

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه".

لذا يجب على المسلم أن يحفظ عمله من الخوارم التي تحبط العمل، أو تنقص الأجر، فمن أداها بإخلاصٍ وحُسنٍ أداءٍ فإنها أقرب إلى القبول، ومَن أدَّى العبادة لغير الله خاب العمل، وما جنى إلا النصب.

أصلح الله لنا ولكم النيات والذريات.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الدعاء

الخطبة الأولى:

الدعاء سلاح المؤمن، يتقوى به من ضعفٍ، ويغتنى به من فقرٍ، ويُشفي به من مرضٍ، وهو عبادة لا تُصرف إلا لله وحده، قال - سبحانه - : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: ٦٠]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "الدعاء هو العبادة" (رواه أبو داود).

ومن أهمية الدعاء أن الرجل إذا أسلم، علّمه النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات: "اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني" (رواه مسلم).
وورد في أهمية الدعاء قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "لا يرد القدر إلا الدعاء" (رواه ابن ماجه)،
فيدفع الله بالدعاء ما قد قضاه على العبد.

قال ابن القيم - رحمه الله - : "والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل"، فكم من إنسانٍ افتقر غاية الافتقار حتى كاد يهلك، أو ابتلي فطال بلاؤه فأجاب الله دعاءه!، وكم من إنسانٍ مرض حتى أيس من الحياة فدعا ربه فشفاه الله، قال - تعالى - عن نبيه أيوب - عليه السلام - : (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأنبياء: ٨٣]، فذكر حاله؛ طمعاً أن يكشف الله عنه ضره، قال الله: (فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ) [الأنبياء: ٨٤].

وقد جاءت السنة المطهرة مبينة أسباب إجابة الدعاء منها:

أولاً: الإلحاح في الدعاء، لأنه يدل على صدق الداعي، وشدّة رغبته في تحقيق دعائه، وفي غزوة بدر قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : "فما زال النبي - صلى الله عليه وسلم - يهتف بربه، مادّاً يديه، مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه" (رواه مسلم).

ثانياً: العزم في الدعاء، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليُعزم المسألة وليُعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه" (رواه مسلم).

ثالثاً: اليقين بإجابة الدعاء، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة" (رواه الترمذي).

وقد كان عمر - رضي الله عنه - يقول: "أنا لا أحمل همّ الإجابة، إنما أحمل همّ الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء كانت الإجابة معه".

رابعًا: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي، فيدع الدعاء" (متفق عليه).

خامسًا: اجتهاد المصلي في الدعاء حال السجود، وقبل السلام، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء" (رواه مسلم).

وعنده أيضًا: "وأما الركوع فعظّموا فيه الربّ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يُستجاب لكم"، وأما قبل السلام فقل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي الدعاء أسمع؟ قال: "جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات" (رواه الترمذي).

سادسًا: عدم الاعتداء في الدعاء، قال -سبحانه-: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) [الأعراف: ٥٥]، فلا يدعوا برفع صوته، أو يتنطع في الألفاظ.

سابعًا: عدم الدعاء بإثم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما من مسلم يدعو دعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث" (رواه مسلم).

ثامنًا: برُّ الوالدين، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد، ثم من قَرْن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل" (رواه مسلم).

تاسعًا: التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة في الدعاء: كما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة "فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله -تعالى- بها لعل الله يفرجها عنكم" (رواه مسلم)، فاستجاب الله لهم ونجاهم من كربتهم.

ومن أسباب إجابة الدعاء أيضًا: دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم، ودعوة الصائم، ودعوة الوالد، وتحري الأوقات الفاضلة -كالثلاث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وآخر ساعة بعد العصر من يوم الجمعة-.

والحرص على الدعاء في الأماكن الفاضلة، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "كعرفة، ومزدلفة، ومنى، والملتزم، والدعاء بالمساجد مطلقًا، وكلما فضّل المسجد -كالمساجد الثلاثة- كانت الصلاة والدعاء أفضل".

وكذلك: الانكسار بين يدي الله، فالقلب إذا صادف خشوعًا وانكسارًا بين يدي الرب، واستقبل

الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة والسلام على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقَدَّم بين يدي دعائه صدقة.

ودعا باسم الله الأعظم وهو كما ورد في الحديث: "اللهم إني أسالك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد" (رواه الحاكم وأصحاب السنن)، قال ابن القيم -رحمه الله-: "فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرَدُّ أبداً".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الدعاء يُجاب، والقول يُسمع؛ لكن على المسلم أن يتحلى بالأسباب ويتعد عن الموانع، ومن هذه الموانع:

أولها: ضعف القلب، وعدم إقباله على الله.

ثانيها: أكل الحرام -من أكل الربا، وأكل مال اليتيم، أو أكل أموال الناس بالباطل-؛ فإن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ذكر الرجل يُطيل السفر، أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومَطْعُمُهُ حرام، ومشربه حرام، وغذِي بالحرام، فأنى يُسْتَجَاب له" (رواه مسلم).

ثالثها: قد يكون ما دعا به دعاءً لا يحبّه الله، لما فيه من العدوان.

وإذا تحلى المسلم بآداب الدعاء، وابتعد عن الموانع، ولم يُستجب له، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما من مسلم يدعو -ليس ياثم، ولا بقطيعة رحم- إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يُعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها"، قلنا: إذا نكث؟، قال: "الله أكثر" (رواه البخاري في الأدب المفرد).

والله -سبحانه وتعالى- قد لا يجيب العبد من أول دعوة، أو ثانيها، أو ثالثها، حتى يعرف العبد شدة افتقاره إلى الله، فيزداد دعاء، والله أحكم الحاكمين؛ حكمته بالغة، لا نستطيع أن نصل إلى معرفتها، ولكن علينا أن نفعل ما أمرنا به من كثرة الدعاء.

وأفضل الدعاء أجمعه، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو بدعوات منها:

قال أنس -رضي الله عنه- كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار"، وكان أنس -رضي الله عنه- إذا أراد أن

يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه" (رواه مسلم).

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول: "اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك" (رواه الحاكم)، وكان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، إنك أنت المقدم والمؤخر، لا إله إلا أنت" (متفق عليه).

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو: "اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف والغنى" (رواه مسلم).

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستعيد بالله بقوله: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقيمتك، وجميع سخطك" (رواه مسلم).

وقالت عائشة -رضي الله عنها- "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر الغنى والفقر" (رواه أبو داود، والترمذي).

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، وشر ما لم أعمل" (رواه مسلم).

وعن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهزم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها" (رواه مسلم).

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تصلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون" (رواه مسلم).

ولأهمية الدعاء وصّى النبي -صلى الله عليه وسلم- صحابته به، قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- : قلت يا رسول الله: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: "قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم" (متفق عليه).

وقال العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه-: يا رسول الله! علمني شيئاً أسأله الله -عز وجل- قال: "سل الله العافية"، فمكثتُ أياماً، ثم جئت، فقلت: يا رسول الله! علمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: "يا عباسُ -يا عمَّ رسول الله- سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة" (رواه الترمذي).

وقال علي -رضي الله عنه-: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قل: اللهم اهدني، وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم" (رواه مسلم).

وأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلٌ فقال: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: قل: "اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني -وجمع أصابعه الأربعة إلا الإبهام-؛ فإن هؤلاء يجمعون لك دينك ودنياك" (رواه مسلم).

وعن سعد بن أبي وقاصٍ -رضي الله عنه- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُعلِّمنا هؤلاء الكلمات، كما تُعلِّم الكتابة، اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر" (رواه البخاري).
وقفنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

التوبة

الخطبة الأولى:

من أسماء الله التَّوَابُ، قال - سبحانه - عن نفسه: (فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ١٦٠]، والتَّوَابُ: صيغة مبالغة، تدل على كثرة قبوله التوبة، وقد وردت صفة التوبة في آيات كثيرة من كتاب الله، قال - سبحانه -: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) [النساء: ٦٤].

وسميت سورة في القرآن الكريم بالتوبة، فيها ذكر حال الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم توبة الله عليهم.

والتوبة من عبادات الأنبياء - عليهم السلام -، قال - سبحانه وتعالى -: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ٣٧]، وهي من أسماء النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه -: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسمي لنا نفسه أسماء فقال: "أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة" (رواه مسلم).

والتوابون يُجِبُّهم الله، قال - سبحانه -: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢]، وهي من رحمة الله بعباده، قال - سبحانه -: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [النساء: ٢٦].

وهي سبب لنيل الخيرات، فقد وصَّى الأنبياء أقوامهم بها، قال هود - عليه السلام - (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) [هود: ٥٢].

وقال صالح - عليه السلام -: (فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) [هود: ٦١]، وقال شعيب - عليه السلام -: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هود: ٩٠]، وقال الله لهذه الأمة: (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) [هود: ٣].

والله - سبحانه - بلطفه بعباده ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغيبها، والتوبة من أحب الطاعات إليه، ويكفي في محبتها شدة فرح الله بها؛ "الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه، فنام نومه، فاستيقظ، وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء

الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع، فنام نومه، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده" (رواه البخاري).
 ومهما بلغ العبد من الذنوب، فإن التوبة تُقبل، قال الله -تعالى-: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الرُّم: ٥٣].
 وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم
 خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له
 رجل: أئت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فناء بصدرة نحوها، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة،
 وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدني، وقال: قيسوا
 ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ، فغفر له" (رواه البخاري).

والله -سبحانه- من رحمته بعباده أنه يقبل التوبة في أي ساعة من ليل أو نهار، قال -سبحانه وتعالى-:
 (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) [الشورى: ٢٥].
 وخص الله في أشرف وقت من الليل أن يعرض لعباده نفحاته، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:
 "ينزل ربنا -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من
 يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له" (متفق عليه).

غفر الله لنا ذنوبنا، وتجاوز عن سيئاتنا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ورد في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" (رواه
 الترمذي)، والرجوع إلى طريق الصلاح والاستقامة هو الواجب على كل مسلم مهما بلغ من الذنوب.
 والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون،
 فيستغفرون الله، فيغفر لهم" (رواه مسلم)، قال ابن القيم -رحمه الله-: "التوبة من الذنب، كشرب
 الدواء للعليل، ورُبَّ علة كانت سبب الصحة".

وتكفير السيئات من الصغائر يكون باللسان، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من قال: استغفر
 الله العظيم، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غُفر له، وإن كان فرّاً من الزحف" (رواه
 أبو داود).

وتكون بفعل الطاعات، كالمحافظة على أداء الصلوات، والجمعة، وصوم رمضان، قال النبي -صلى الله

عليه وسلم-: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفراً ما بينهن، إذا اجتنب الكبائر" (رواه مسلم).

وكذلك الحج، والهجرة، والدخول في الإسلام، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله" (رواه مسلم). وتكون ببذل الصدقة والإحسان، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الصدقة تطفى الخبيثة، كما يُطفئ الماء النار" (رواه الترمذي).

أما الكبائر فلا بد لها من توبة، وإذا كانت متعلقة بحقوق آخرين فإنه يرد المظالم إلى أهلها. قال ابن القيم -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات: ١١]: "قسّم العباد إلى تائب وظالم، وما تمّ قسم ثالث ألبته، وأوقع اسم الظالم على مَنْ لم يتب، ولا أظلم منه لجهله بربه، وبحقه، وبعبء نفسه، وآفات أعماله، وفي الصحيح عنه أنه قال: "يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فوالله إنّي لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: رب اغفر لي، وتب عليّ، إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة".

والتوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله لا تتعلق بحق آدمي فشرطها ثلاثة: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً. والبعد عن مواطن الذنوب سببٌ رئيسٌ من أسباب ترك الذنوب، كما أوصى العالمُ الرجلَ الذي قَتَلَ مائة نفس أن يترك البلد الذي هو فيها لأنها أرض سوء.

وكلما أقبل العبد إلى مولاه بفعل الطاعات، فهو أقرب لنيل المطلوب، والنجاة من المرهوب، وإذا استهواه الشيطان فليتب وليرجع إلى ربه دوماً.

اللهم تب علينا جميعاً، واعصمنا من الشيطان وهمزاته.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

من مواطن حمد الله

الخطبة الأولى:

تفرد الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو - سبحانه - (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١]، ومن هذه الأسماء (الحميد)، والصفة منه الحمد.

فالله - سبحانه - هو الحميد، بحمده لنفسه أزلاً، وبحمد عباده له أبداً، فهو - سبحانه - محمود في ألوهيته، ومحمود في ربوبيته، ومحمود في ملكه، وأنه إله محمود، وربُّ محمود، ورحمن محمود، ومَلِكٌ محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال والجلال.

وسُمي نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - محمداً، لكثرة خصاله المحمودة، وهو صاحب المقام المحمود - وهو الذي يحمده فيه جميع الخلق لتعجيل الحساب، وإراحة الخلق من طول الوقوف -.

والحمد هو إخبارٌ عن محاسن المحمود، مع حبه وإجلاله وتعظيمه، والحمد أنواع: منها حمدٌ قوليٌّ وهو حمد اللسان، وحمد فعليٌّ، وهو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاء وجه الله.

وقد افتتح الله - سبحانه - حمده بسور عدة من كتابه الكريم كفاتحة الكتاب (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة: ٢]، ويُقصد بها الثناء على الله، وأنه مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، ومستحقٌّ أن يحمدوه، فَحَمْدُ اللَّهِ لَا يَنْفَكُ عَنْ أَلْسِنِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَتَقْلِبَاتِهِمْ فِيهِ.

وأنبأ الله - عليهم السلام - يحمدون الله في جميع أحوالهم، فإبراهيم - عليه السلام - حمد الله - سبحانه - حين وهب له ذرية فقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ) [إبراهيم: ٣٩].

وحمد الله نوحٌ - عليه السلام - حين أنجاه الله ومن معه من المؤمنين، وأغرق أهل الأرض الكافرين، فقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [المؤمنون: ٢٨].

وحمد الله داودٌ وسليمانٌ - عليهما السلام - بقولهما: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) [النمل: ١٥].

ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - يحمد الله في ليله ونهاره، وحلّه وترحاله، فيحمده عندما يأوي إلى فراشه فيقول: "الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني" (رواه أبو داود)، ويحمد الله عند استيقاظه بقوله: "الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني" (رواه مسلم).

ويحمد الله عند أكله وشربه، وركوبه، وفي أفراحه وأتراحه، فيقول إذا رأى ما يحب: "الحمد لله الذي

بنعمته تتم الصالحات" (رواه ابن ماجه)، وإذا رأى ما يكره يقول: "الحمد لله على كل حال" (رواه ابن ماجه)، وقد جاء في الكتاب والسنة حمدُ الله على كل حال، وذلك يتضمن الرضا بقضائه. وأعظم ما يحمد العبدُ ربَّه عليه نعمةُ الإسلام فلا تعدُّها نعمة؛ حيث النعمة التي أكمل الله لنا الدين، وأتمَّ النعمة، ورضيه لنا دينًا.

ولأهمية الحمد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يبدأ بحمد الله في خطبه، ويكرّر حمد الله في صلاته في جوف الليل، فيقول: "اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض" (متفق عليه).

وعند النسائي من حديث الأسود بن سَريع: قال: قلت: يا رسول الله! ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي -تبارك وتعالى-، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما إن ربك يحب الحمد". قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء: الحمد لله"، وقال: "سُمِّيَ الحمدُ لله دعاءً وهو ثناء محض؛ لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب للمحبوب، فهو أحق أن يسمى داعيًا من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب".

فاللهم إنا نحمدك كثيرًا، طيبًا مباركًا فيه، على آلائك الجسيمة، فتقبل اللهم حمدنا. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

اعلموا أن حمد الله متكرر على ألسن عباده المؤمنين، وقد رَغِبَ النبي -صلى الله عليه وسلم- بحمد الله والثناء عليه آناء الليل وأطراف النهار، فقال: "أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهنَّ بدأت" (رواه مسلم)، "ومن قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة، حُطَّت خطاياهُ وإن كانت مثل زبد البحر" (متفق عليه).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "عجبت من قضاء الله للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مُصيبة حمد ربه وصبر، المؤمن يُؤجر في كل شيء" (رواه الإمام أحمد)، "وإذا رأى العبد رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها" (رواه البخاري).

وَحَمْدُ الله يكون في تسيير العمل ودفع الألم، فقد أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- عليًا وفاطمة حين سألاه عن خادم بقوله: "ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما: تُكبرا أربعًا

وثلاثين، وتُسَبِّحها ثلاثاً وثلاثين، وتحمداً ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم" (رواه البخاري).
"وإن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها" (رواه مسلم).

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثُر في آخر أمره -أي: في آخر حياته- سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه" (رواه أحمد).
ونحن نحمدك ربنا ونستغفرك، فاغفر لنا، إنك أنت الغفور الرحيم.
ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسباب الجالبة لرحمة الله

الخطبة الأولى:

أسماء الله - جل وعلا - حسنى قال - تعالى -: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠]، أي: بالغة في نهاية الحسن والجمال والجلال والكمال.

وصفاته - سبحانه - علا، فهو (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحكمها، فإن أفعاله - تعالى - دائرة بين الفضل والعدل.

ومن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى: الرحمن، أي: ذو الرحمة الواسعة، قال الخطابي - رحمه الله -: "فهو ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم".

والله - سبحانه - وسع كل شيء برحمته، وعمَّ كل حي بنعمته، قال - تعالى -: (وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلْ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [القصص: ٧٣]، واستوى الله على أعظم المخلوقات وهو العرش، بأوسع الصفات، فقال - تعالى -: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: ٥].

فالله (أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأعراف: ١٥١]، وهو - عز وجل - (خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) [المؤمنون: ١٠٩]، وهو - سبحانه - (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: ١٢]، أي: قضى وأوجب على نفسه تفضلاً رحمة خلقه.

قال ابن سعدٍ - رحمه الله -: "وهو - سبحانه - قد بسط عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتاباً أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحبُّ إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة إن لم يغلَقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم".

ورحمة الله وسعت كل شيء، قال - تعالى -: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الأعراف: ١٥٦]، قال ابن كثير - رحمه الله -: "الآية عظيمة الشمول والعموم". قال الحسن وقتادة - رحمهما الله -: "وسعت في الدنيا البر والفاجر، وفي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة".

وسعة رحمة الله لعباده كبيرة، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّته أحد" (رواه مسلم).

وخطب الله كفار أهل مكة فقال -تعالى-: (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) [الأنعام: ١٣٣]، فلو شاء -سبحانه- لأهلككم ولكن أبقاكم رحمةً من عنده، وكذا قوله: (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام: ١٤٧].

ورحمة الله سبقت غضبه، وإنعامه غلب انتقامه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي تغلب غضبي" (رواه مسلم)، قال القاضي عياض -رحمه الله-: "المراد بالغلبة: الكثرة والشمول، كما يقال: غلب فلان حب المال أو الكرم أو الشجاعة إذا كان أكثر خصاله".

والله -سبحانه- أرحم الراحمين، والله مائة رحمة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة" (رواه البخاري).

وعند مسلم: "إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عبادة يوم القيامة".

وفي وصف سعة الرحمات، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض" (رواه مسلم).

أما سعة رحمة الله فقال حملة العرش في وصفها: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) [غافر: ٧]. وقدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- سبيٌّ فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته، فألصقته بطنها وأرضعته، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لمن معه: "أترون هذه طارحةً ولدًا في النار؟" قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" (متفق عليه).

ورحمة الله بعباده كثيرة لا تُحصى، فإرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة لعباده، قال عن موسى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [القصص: ٤٣]، وقال عن عيسى -عليه السلام-: (وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا) [مريم: ٤٣].

[٢١]، وقال - سبحانه - عن نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة" (رواه مسلم).

والقرآن الكريم رحمة للمؤمنين، قال - تعالى - : (أُولَٰئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [العنكبوت: ٥١]، وذلك لما يجدون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية.

والمطر رحمة للعباد، قال - سبحانه - : (فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) [الرؤم: ٥٠]، أي: آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من أنواع النبات والأشجار والثمار، والفاء في قوله: (فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)؛ للدلالة على سرعة ترتبها عليه.

وسمى الله الجنة رحمة، قال - تعالى - : (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصَرَتْ وُجُوهُهُمُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [آل عمران: ١٠٧]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى - : (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصَرَتْ وُجُوهُهُمُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)؛ أي: في الجنة، وعبر بالرحمة عن الجنة لأنه لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله وفضله.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ" (رواه مسلم).

والجنة لا يدخلها أحد بعمله "قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة" (متفق عليه).

وفقنا الله لطاعته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

أهم الأسباب الجالبة لرحمة الله:

القرآن الكريم تلاوة وعملاً، قال - تعالى - : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ) [الأنعام: ١٥٥]، وقال - سبحانه وتعالى -: (وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) [النمل: ٧٧].
وقال - جل وعلا- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) [يونس: ٥٧]، فالقرآن الكريم أعظم هادٍ للخير، وأشد حافِظ من الوقوع في الزلل،
فيحصل باتباعه السعادة والرحمة والخير الكثير.

ومن الأسباب: الإحسان وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وجزاء المحسن قرب
رحمة الله منه، قال - سبحانه -: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: ٥٦]، فأهل
الإحسان أحسنوا في عبادتهم لله، وأحسنوا إلى عباد الله؛ فأحسن الله إليهم برحمته، فمن تقرب إليه
بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته.

وتقوى الله وإيتاء الزكاة والإيمان بالله سبب للرحمة، قال - تعالى -: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: ١٥٦].

والهجرة والجهاد في سبيل الله من أسباب رحمة الله، قال - تعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [البقرة: ٢١٨]، فأصحاب تلك
الأوصاف الحميدة من الإيمان ومفارقة الأوطان وجهاد العدو هم الجديرون أن ينالوا رحمة الله، والله
عظيم المغفرة، واسع الرحمة.

وانتظار الصلاة سبب للرحمة، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الملائكة تصلي على أحدكم
ما دام في مصلاه ما لم يحدث، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه" (متفق عليه).

ومجالس الذكر والعلماء سبب للرحمة، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا يقعد قوم يذكرون الله -
عز وجل- إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن
عنده" (رواه مسلم).

وملازمة الاستغفار تجلب الرحمة، قال - تعالى -: (لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [النمل: ٤٦].
والدعاء بالرحمة سبب نوالها، (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) [آل عمران: ٨]، وهذا الدعاء بطلب الرحمة
أحوج ما يكون الناس إليه في يوم القيامة، فهي سبب للفوز الأبدي.

وكان من دعائه - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا
أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم" (رواه البخاري). ولأهميتها
كانت مشروعة في الصلاة على الميت: "اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله،

ووسع مدخله" (رواه مسلم).

ورحمة العبد للخلائق والعطف على عباد الله من أسباب رحمة الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-
"لا يرحم الله من لا يرحم الناس" (متفق عليه).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من
في السماء" (رواه أبو داود).

وقال أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأخذني
فيُقعدني على فخذه، ويُقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم ارحمهما
فإني أرحمهما" (رواه البخاري).

وجاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: تُقبّلون الصبيان؟ فما نُقبّلهم، فقال النبي -صلى
الله عليه وسلم-: "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة" (متفق عليه).

والصلاة والدعاء في جوف الليل الآخر سببٌ لنيل الرحمة، فالله -سبحانه- ينزل حين يبقى ثلث الليل
الآخر فيقول: "من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له" (متفق
عليه).

فالتجئ إلى الله -عز وجل- بأنواع القربات، وأقبل عليه، وسله الرحمة والغفران، فهو -سبحانه- واسع
المغفرة (كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ
فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام: ٥٤].

ومهما فعل العبد من ذنبٍ فإن الذنب مع التوبة مغفور، قال -تعالى-: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر:
٥٣].

ولا تقنط من رحمة الله، قال -سبحانه-: (وَمَنْ يَفْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) [الحجر: ٥٦]،
وحملة العرش يستغفرون للذين آمنوا، قال -تعالى-: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ
تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَازْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [غافر: ٧-٩].

ثم اعلّموا أنه لا يئأس من رحمة الله إلا الكافرون، قال -سبحانه-: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [العنكبوت: ٢٣]، فهم في الآخرة آيسون من رحمة الله، قال ابن كثير -رحمه الله-: "لا نصيب لهم فيها"، (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [العنكبوت: ٢٣]، أي: موجع في الدنيا والآخرة.

فاعمل واجتهد في طلب الصالحات لنيل رحمة الله، ولا تجعل رحمة الله وعظيم إحسانه سبيلاً للعجز عن العمل.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاستقامة

الخطبة الأولى:

أمر الله - عز وجل - عباده بالاستقامة على دينه، وامثال أمره في آيات عديدة من كتابه الكريم، قال - سبحانه - لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) [هُود: ١١٢].

والاستقامة على دينه من المن التي امتن الله بها على أنبيائه - عليهم السلام -، فقال عن موسى وهارون: (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الصافات: ١١٨]، وقال في وصف إبراهيم - عليهما السلام - : (شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [النحل: ١٢١].

وقال عن أنبيائه - عليهم السلام - إسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطَ: (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأنعام: ٨٧]، قال ابن حجر - رحمه الله - في معنى الاستقامة: "هي كناية عن التمسك بأمر الله - تعالى - فعلاً وتركاً".

وأوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل - رضي الله عنه - بالاستقامة لما أراد سفراً، قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - أوصني قال: "اعبد الله لا تشرك به شيئاً"، قال: يا رسول الله زدني، قال: "إذا أسأت فأحسن"، قال: يا رسول الله زد، قال: "استقم وأحسن خُلُقك" (رواه الحاكم).

ووصى النبي - صلى الله عليه وسلم - سفيانَ بنَ عبد الله - رضي الله عنه - : "قل: آمنت بالله، ثم استقم" (رواه النسائي)، وهي نعمة من نعم الله على عبده.

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في معنى الاستقامة: "أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تراوغ روغان الثعالب"، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس - رضي الله عنهم - في الاستقامة: "إنها أداء الفرائض"، وقال الحسن: "استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته".

قال ابن تيمية - رحمه الله - : "الكرامة هي لزوم الاستقامة، وهي طاعة الله، وإنما هي مما يتلى الله به عبده، فإن أطاعه بها رفعه، وإن عصاه بها خفضه، وإن كانت من آثار طاعة أخرى، كما قال - تعالى - : (وَأَلْوِيْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) [الجن: ١٦-١٧]".

وقال ابن القيم - رحمه الله - : "لزوم الاستقامة ودوام العبودية أفضلُ كَشْفٍ يُعْطَاهُ الْعَبْدُ، وهذه أفضلُ كرامة يكرم بها الولي".

ومدار الاستقامة صلاح القلب واللسان، فإن ابن آدم إذا أصبح فإن أعضائه تُكفّر اللسان - أي تذل

وتخضع لأمره- تقول: "اتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا"، ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" (رواه أحمد).

وأعظم هادٍ إلى الصراط المستقيم ومحركٍ للقلب واللسان هو كتاب الله، قراءة وتدبرًا، قالت الجن في وصفه: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأحقاف: ٣٠]، وقال -سبحانه-: (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) [التكوير: ٢٧-٢٨].

كما أن الاعتصام بكتابه ولزوم هديه هو المنجّي في الدنيا والآخرة من الهلاك، قال -سبحانه-: (وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [آل عمران: ١٠١].

وقد خطّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا خطًّا، ثم قال: "هذا سبيلُ الله، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سُبُل، وعلى كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا هذه الآية: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) [الأنعام: ١٥٣]" (رواه النسائي).

نسأل الله أن يجعلنا ممن هدى إلى صراط مستقيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

اعلموا أن الفلاح في الدنيا والآخرة، هو لزوم صراط الله المستقيم والدعاء بذلك، ولذا ذكرها الله في فاتحة كتابه بقوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: ٦]، حيث النعيم المقيم لأهلها، قال -سبحانه-: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت: ٣٠].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "مَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسُولُهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، هُدِيَ هُنَاكَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّتِهِ دَارِ ثَوَابِهِ، وَعَلَى قَدَرِ ثَبُوتِ قَدَمِ الْعَبْدِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، يَكُونُ ثَبُوتُ قَدَمِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَعَلَى قَدَرِ سِيرِهِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ، يَكُونُ سِيرُهُ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ، وَلِيَنْظُرَ الْعَبْدُ الشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الَّتِي تَعُوقُهُ عَنِ سِيرِهِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ، فَإِنَّهَا الْكَلَالِيْبُ الَّتِي بَجَنْبَتِي ذَلِكَ الصِّرَاطِ، تَخْطِفُهُ،

وتعيقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت، فكذلك هي هناك، (وَمَا رُبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) [فُصِّلَتْ: ٤٦].

نسأل الله لنا ولكم الاستقامة ظاهرًا وباطنًا، وأن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة. ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاستخارة

الخطبة الأولى:

جاء الإسلام بشريعته السمحة، هدايةً للحائرين، وإرشادًا للضالين، فكان هذا الدين العظيم صلةً بين العبد وربّه في عباداته كلّها؛ وأعظم ما يتوصّل به العبد إلى مولاه في شدته ورحائه أداء الصلوات المفروضة، وعموم النوافل؛ فقد "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه، أو كربه أمر، فزع إلى الصلاة" (رواه أبو داود).

والعقل البشري بطبيعته ناقص المعرفة في إدراك الحاجات الدنيوية حاضرًا ومستقبلًا، ولا يعلم بواطن الأمور، وما يُصلح أحوال الناس إلا علام الغيوب -سبحانه وتعالى-، ولذا شرعت صلاة الاستخارة التي تُجَلّي عن القلب ما أهمه، وتزيل عنه ما أغمّه، فيكون فيها محبة أداء العمل، بعد أن كان يظن أن أداءه شرٌّ محض، أو يكره أداء العمل بعد أن كان يظن أن أداءه خيرٌ محضٌ.

فيقوم بطلب خير الأمرين في تحقيق أحدهما في صلاة يعقبها دعاء، كم من عبد أراد أمرًا من الأمور، وتعلق قلبه بهذا الأمر، وسعى فيه سعيه، وأجهد فيه نفسه، وما ترك شيئًا يحقّقه له إلا عمّله، ولكن الله حجب عنه حتى أيس منه وحزن عليه، ثم تبين بعد أمد، أن الشر كان فيما أراد، والله قد أنعم عليه لما صرفه عنه.

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُعلّم الصحابة -رضي الله عنهم- الاستخارة في الأمور كلّها، كما يُعلّمهم السورة من القرآن، فيقوم المسلم باستخارة مولاه، فهو المتصف -سبحانه- بالعلم، والحكمة، والخبرة، والرأفة، والرحمة، وغيرها.

في استفتاح العبد استخارته بركعتين من غير الفريضة، فيها أدب لمولاه في قضاء أمره، وقد قضت الحكمة أن من الأدب أن تقرع باب من تريد حاجتك عنده، وقَرعُ باب المولى -سبحانه- إنما هو بأداء الصلاة، ولا شيء أنجع ولا أنجح من الصلاة، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مألًا وحالًا.

ثم يذُكّر الدعاء الوارد دُبر الصلاة، إما قبل السلام أو بعده، ويدعو بالدعاء الوارد: "اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في

ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به ويسمي حاجته. (رواه البخاري).

ولك أن تعي هذه الكلمات فهي جَزَلَةٌ في ألفاظها، عظيمةٌ في معناها، جامعةٌ لخيري الدنيا والآخرة، فيها أدب وثناء وإظهارٌ لعلم الله في الكون، وما ينفع للعبد وما يضره، وفيها طلبُ العون على تحقق الأمر، وإظهار ضعف العبد مهما بلغ من رفعةٍ لدرجاته العلمية، أو أحاط به أهل الرأي والمشورة. ثم إن هذه الاستخارة ليست في تحقيق الأمر وحده في الدنيا، وإنما هي دنيا وأجر في الآخرة، وفيها دعاء للعبد إن صرفه الله عن هذا الأمر أن يُقدَّر له أمرًا خيرًا منه، وليس هذا فحسب، وإنما يرضى به أيضًا.

فيستخير على كل أمر كان، صغيرًا أم كبيرًا؛ كعملٍ، وتجارة، وزواج، ونحوها، من أمور الدنيا، والاستخارة تكون في الأمور المباحة، وتكون في المستحبات إذا تعارضت في البدء بأحدهما. أما الواجبات وأصل المستحبات والمحرمات والمكروهات كل ذلك لا يُستخار فيه.

وفقنا الله لفعل الطاعات، وجنبنا الفواحش والمنكرات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الاستخارة فيها تعظيمٌ لله، وثناءٌ عليه، وامتنالٌ للسنة المطهرة، وتحصيلٌ لبركتها، وفيها تعلقُ القلب بربه - سبحانه وتعالى -، وتفويضُ أمر العبد إليه، والرضى بما قسم له في دنياه، بل فيها راحةٌ، واطمئنانُ النفس لما يقدره الله للعبد.

وفيها دليل على ثقة الإنسان بربه، ووسيلةٌ للقرب منه، وهي تزيد العبد أجرًا بأداء الصلاة وفعل الدعاء. والمستخير لا يَجِيبُ مسعاه أبدًا؛ لأنه استخار علام الغيوب، فيُمنح الحيرة، ويُبْعَدُ عن الندم، وهي تختصر الوقت، والجهد، والمال، وما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

وهي مخرجٌ من الحيرة والشك، ومدعاةٌ للطمأنينة، وراحةٌ البال، بل قد يتجرع الإنسان عُصَصَ عملٍ لم يستخر فيه مولاه سنين طويلة، والعبد إذا أدى الاستخارة فالقلب يطمئن لفعل الأمر أو تركه، أو أن يوقِّق لمستشير ناصح فيدلُّه على الخير، أو يحذِّره من الشر، فإما أن ييسر الله أمره، أو أن توضع له معوقات عن تحقيق أمره.

ويستخير العبد ربه في الأمر مرة، وإن زاد فهو أفضل؛ لأن الاستخارة دعاء، وكلما أكثر من الدعاء

كان أرحى للإجابة، وبعدها يعزم على الأمر بتوكله على مولاه (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩]، ولا تتردد بعدها في أداء ما استقر الأمر إليه، فإن فساد الرأي التردد.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة*** فإن فساد الرأي أن تترددا
وفقنا الله وإياكم للرأي السديد، والعمل المجيد.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل الاستغفار

الخطبة الأولى:

المرء في ليله ونهاره مُعَرَّضٌ لاقتِرافِ الذنوب والمعاصي، فالشيطان يسعى سعيًا حثيثًا لغواية الإنسان، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قال إبليس: وعزتك يا رب! لا أبرح أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم، فقال: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني" (رواه أحمد).
والاستغفار ماحٍ للذنوب والمعاصي، قال الله -عز وجل- (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: ١١٠].

والاستغفار من صفات الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام-، لما أحس آدم وحواء بالذنب: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: ٢٣]، وإبراهيم -عليه السلام- يستغفر لكل مؤمن سابق ولاحق: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: ٤١].

وقال موسى -عليه السلام-: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [إبراهيم: ٤١]، وقال نوح -عليه السلام-: (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [هود: ٤٧].
وقال الله عن داود -عليه السلام-: (فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) [ص: ٢٤]، وقال سليمان -عليه السلام-: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) [ص: ٣٥]، وقال الله لصفوة خلقه -صلى الله عليه وسلم-: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [محمد: ١٩].

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في المجلس الواحد: "رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم، مائة مرة" (رواه أبو داود)، وعند البخاري "سبعين مرة".

ولأهمية الاستغفار كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في مقدمة خطبته: "الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا" (رواه ابن ماجه).

والاستغفار مشروع في كل وقت وحين، وهناك أوقات وأحوال مخصوصة فيها مزيد فضل وثواب، فيشرع بعد الفراغ من العبادات -كبعد الصلوات الخمس-، وفي وقت السحر لأنه وقت الغفلة عن العبادة وغلبة النوم، كما في قوله -تعالى-: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات: ١٨].

وقال - سبحانه-: (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) [آلِ عِمْرَانَ: ١٧]، ويشرع في الثلث الأخير من الليل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ينزل ربنا -تبارك وتعالى- كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له" (متفق عليه).
وبعد الإفاضة من عرفة والفراغ من الوقوف بها (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ١٩٩].

وفي ختام المجلس يشرع أيضاً: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك، وأتوب إليك" (رواه أبو داود).

وعند دنو الأجل يكثر العبد من الاستغفار، قالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه"، قالت قلت: يا رسول الله! ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: "جعلت لي علامة في أمي إذا رأيتها قتلها (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [النصر: ١]، إلى آخر السورة" (رواه أحمد).

وورد الاستغفار في الركوع والسجود والجلوس بين السجدين، قالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن، أي يحقق قوله -تعالى-: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) [النصر: ٣]" (متفق عليه).

وفي الجلوس بين السجدين يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي.
والاستغفار في القنوت، والاستغفار بعد التشهد الأخير قبل السلام، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" (متفق عليه).

أو "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت" (متفق عليه).
ويستحب الاستغفار عقب الصلاة ثلاثاً.

وأفضل صيغ الاستغفار: سيد الاستغفار وهو جامع لمعاني التوبة كلها، وهو أن تقول: "اللهم أنت ربي

لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمن قالها موقناً بها حين يمسي ومات من ليلته، دخل الجنة" (رواه البخاري).

ومن صيغ الاستغفار عمومًا في الصلاة أو خارجها "اللهم اغفر لي" (متفق عليه)، و"أستغفر الله الذي لا إله الا هو وأتوب إليه، وأستغفر الله الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب إليه" (رواه أبو داود والترمذي).

وكان من دعائه -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني" (متفق عليه).

فألهم اغفر لنا ما أسررنا، وما أعلننا، وما أنت أعلم به منا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

للاستغفار أثر على الفرد والأمة، روى ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، وورقه من حيث لا يحتسب" (رواه أبو داود).

وهو دافع للهم والغم والضيق، لأن المعاصي توجب الهم والحزن، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وأما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق، فلما اشترك في العلم به أهل الملل وعقلاء كل أمة أن المعاصي والفساد توجب الهم، والغم، والخوف، والحزن، وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إن أهلها إذا قضاوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسهم، ارتكبوها دفعًا لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم".

والاستغفار بإذن الله يفتح على المسلم ما أشكل من العلوم، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "إنه ليقف على خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل عليّ، فأستغفر الله ألف مرة، أو أكثر، أو أقل، حتى ينشرح الصدر، وينجلي إشكال ما أشكل".

وأثرها على الأمة في قوله -تعالى-: (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأنفال: ٣٣]، وقال نوح -عليه السلام-: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) [نوح: ١٠]، وخرج عمرُ الفاروق -رضي الله عنه- يستسقي فما زاد على الاستغفار.

وهو جالبٌ للرحمة، قال -تعالى-: (لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [النمل: ٤٦].

وأربع تجلب الرزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة، والذكر أول النهار وآخره.
وقال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: "كان لنا أمانان؛ ذهب أحدهما وهو كون النبي -صلى
الله عليه وسلم- فينا، وبقي الاستغفار معنا، فإذا ذهب هلكنا".

والاستغفار لا بد أن يكون باللسان وعمل الجوارح، فمحو الذنب وستر العيب مع الاستمرار في السيئة
لا يُجدي قال الفضيل -رحمه الله-: "استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين".

فعلى المسلم أن يكون طالبًا لمغفرة مولاه مهما كبر الذنب أو صغر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:
"ما من رجل يذنب ذنبًا، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه
الآية (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران: ١٣٥]، إلى آخر الآية). (رواه
أصحاب السنن).

فأكثر من الاستغفار، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

والذنوب يزول موجبها بأشياء: أحدها بالتوبة، وثانيها بكثرة الاستغفار، وثالثها بالأعمال الصالحة
المكفرة.

غفر الله ذنوبنا، وستر عيوبنا.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أعمال صالحة أجزها مضاعف

الخطبة الأولى:

من أسماء الله الحسنى (الكريم)، وصفته الكرم، فهو اسم جامع لكل ما يُحمد، والخير والعطاء الذي لا ينفد.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "الكريم هو: البهي، الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله. والله -سبحانه- وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما أكثر خيرُه وحسن منظره - من النبات وغيره -".

فلا أحد أكثر خيرًا من الله -عز وجل-، ولا أكرم من إكرامه، ولا أجود من جوده، ولا أنعم من إنعامه؛ لعموم قدرته وسعة عطائه، قال -سبحانه-: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) [الحجر: ٢١]. ومن كرمه -سبحانه وتعالى-: أنه أسبغ على عباده النعم، ومنحهم الهبات، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يمين الله ملأى -أي: غاية الغنى والرزق الذي لا ينتهي- لا يغيضها نفقة -أي: لا ينقصها- سحاء الليل والنهار - الصب- أرايتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه" (متفق عليه).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "إن الله -سبحانه- غني، حميد، كريم، واجد، رحيم، فهو -سبحانه- مُحسن إلى عبده مع غناه عنه؛ يريد به الخير ويكشف عنه الضر؛ لا جلب منفعة إليه من العبد؛ ولا لدفع مضرة؛ بل رحمة وإحسانًا".

ومن كرم الله -سبحانه- أنه إذا وعد وقى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، فالخير كله بيديه، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليتها، والكمال والمجد كله له، فهو الأكرم حقًا الذي لا يوازيه كرم، ولا يعادله في كرمه نظير.

وما في العالم مما في الأرض هو من كرم الله (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [البقرة: ٢٩]، وأسبغ على عباده النعم ظاهرة وباطنة، قال -سبحانه-: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) [لقمان: ٢٠]، ولا يعدها العادون (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) [إبراهيم: ٣٤].

ومن كرمه أنه يغفر الذنوب، ويستتر العيوب، ويبدل السيئات حسنات، قال -سبحانه- فيمن عصا أمره، واتبع الشيطان وهواه ثم تاب: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ

فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وأتى عمرو بن العاص -رضي الله عنه- للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ابسط يمينك فلأبأبعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: "مالك يا عمرو؟" قال: قلت: أردت أن أشتري، قال: "تشتري بماذا؟" قلت: أن يغفر لي، قال: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟" (رواه مسلم).

ومن كرم الله -سبحانه- أنه يجازي على العمل القليل بالأجر الكثير؛ قال -عز وجل-: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) [النمل: ٨٩]، وقال -سبحانه-: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [الأنعام: ١٦٠].

وفي الحديث القدسي: "يقول الله -عز وجل-: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة" (رواه مسلم).

وهناك أعمال صالحة أجرها لا يُعلم، فالحسنات لفاعلها بغير عدّ ولا حدّ. أولها: الصبر، صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله، قال -سبحانه-: (إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: ١٠]، ومن صبر فقد لازم التقوى، قال -سبحانه-: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة: ١٧٧].

وثواب الصبر بينه الكريم -سبحانه-: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) [الرعد: ٢٢-٢٣].

والمؤمن لا تُزعزع قلبه المصائب فهو فيها صابر، وللنعماء شاكر، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير؛ وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" (رواه مسلم).

والشدة والكرب والبلاء تمحيص وتهذيب للمؤمن، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة" (رواه الترمذي).
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

العمل الثاني الصالح المضاعف أجره بلا حد: الصوم، وهو ترك المشرب والمأكل والجماع، وقد ورد في فضله ما في الحديث القدسي: "يقول الله -عز وجل-: الصوم لي وأنا أجزي به يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي" (متفق عليه).

وفي رواية: "قال الله -تبارك وتعالى-: كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به" (رواه ابن خزيمة)، "ومن صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً" (متفق عليه).

قال ابن القيم رحمه الله: "وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، إنما ترك شهوته وطعامه وشربه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس، وتلذذاتها، إيثاراً لحبة الله ومرضاته، وهو سرٌّ بين العبد وربّه، لا يطلع عليه سواه".

ومن كرم الله للصائمين، أن في الجنة باباً لا يدخله إلا هم، فضلاً منه -سبحانه- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل من الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخروهم أغلق فلم يدخل منه أحد" (رواه مسلم).

والريان: صيغة مبالغة من الرّيّ، وهو نقيض العطش، والصوم لا يطلع عليه أحد من البشر، ولا يعلم به أحد، قال ابن عبد البر: "والصوم لا يظهر من ابن آدم في قول ولا عمل، وإنما هو نية ينطوي عليها صاحبها ولا يعلمها إلا الله، وليست مما تظهر فتكتبها الحفظة، كما تكتب الذكر والصلاة والصدقة وسائر الأعمال".

العمل الثالث: الصدقة والبذل والعطاء، أجرها مضاعف، ومال المنفق مباركٌ ومخوفٌ عليه، قال -سبحانه-: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِنْهُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٦١].

وقال -عز وجل- (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ

وَيَبْسُطُ) [البقرة: ٢٤٥]، قال ابن كثير: "فالكثير من الله لا يُحْصَى، وفي قوله: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ) [البقرة: ٢٤٥]، أي: أنفقوا ولا تبالوا".

والصدقة سميت بذلك لدلالاتها على صدق باذنها، وهي سبب في بركة المال وتزيده، قال -سبحانه-: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) [سبأ: ٣٩]، وفي الحديث: "ما نقصت صدقة من مال" (رواه مسلم).

والصدقة فيها تفريح هم، وتنفيس كرب، وعطف، ورحمة، والصدقة قال عنها ابن القيم -رحمه الله-: "عَجَبٌ مِنَ الْعُجَابِ".

ورغب النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصدقة فقال: "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَرِيهَا لِمَا يَرِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يَرِي أَحَدَكُمْ فَلُوَّهُ -وهو الغرس الصغير- حتى تكون مثل الجبل" (متفق عليه)

وجاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة" (رواه مسلم)، عليها خطامها، أي: زمامها -فلا يوضع فيها الخطام إلا إذا قويت واشتدت وصارت صالحة لحمل الأثقال وغيرها-.

هذه أعمال صالحة -وغيرها كثير- تُبَيِّنُ كَرَمَ اللَّهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَدَّى مَا يَكُونُ بِهِ فَوْزُهُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

فعلى المسلم أن يَجِدَّ وَيَجْتَهِدَ وَيَشْمَرَ فِي الْعَمَلِ، وَأَنْ يَتَّعِدَ عَنْ كُلِّ مَا يَكُونُ فِيهِ الزَّلُّ، حَتَّى يَتَعَرَّضَ لِنَفْحَاتِ كَرَمِ الْكَرِيمِ -سبحانه-.

وَقَفْنَا اللَّهُ لِأَدَاءِ الصَّالِحَاتِ، وَصَرَفْنَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسباب الاستمرار على العمل الصالح

الخطبة الأولى:

خلق الله - عز وجل - الثقلين من أجل عبادته وتوحيده، قال - سبحانه - : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذَّارِيَاتُ: ٥٦]، لذا فإنه واجب على المسلم امتثال أوامر الله، وأوامر رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وأداء العبادات على وجهها المأمور به دون ابتداء إلى حين وفاته، قال - سبحانه - : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: ٩٩].

فلمسلم يتقرب إلى مولاه بالطاعات في أيام عمره، والشيطان يسعى جاهداً ليدخل على قلب المسلم فتوراً، وتكاسلاً عن أداء ما أمر به.

لكن ثمة عوامل تعين المسلم على استمرار أداء العبادات في أيام حياته من أهمها:

التزود من العلم الشرعي: فلا عمل مستمر بلا علم، لأنه أساس لمعرفة أداء العمل على ضوء ما أمر به، وبمعرفة ثواب العبادات، من رفعة درجات صاحبها، ولما يرى من الآثار الحميدة على تحصيل العلم واكتسابه، وقد ذكر الله درجة العالم في قوله: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة: ١١].

وبؤب الإمام البخاري - رحمه الله - : باب العلم قبل القول والعمل، وأورد قوله - تعالى - : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) [حَمَّد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

ثاني هذه العوامل: الإخلاص في أداء العبادات، بل إخلاصه فيها سبب لقبول العمل، قال الفضل بن عياض - رحمه الله - : "إن الله - تعالى - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، ولا يقبله إذا كان خالصاً له إلا على السنة".

والله - سبحانه - أمر بالإخلاص في العبادات كلها، فقال - عز وجل - : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) [البينة: ٥]، وأمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقوله - تعالى - : (بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [الرؤم: ٦٦].

وثالث هذه العوامل: التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله، فهو القدوة المثلى التي جعلها الله لنا بقوله - تعالى - : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: ٢١].

ورابع هذه العوامل: عدم تكليف النفس فوق طاقتها، قال - سبحانه - : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا] [البقرة: ٢٨٦]، ولذا أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- عثمان بن مظعون -رضي الله عنه- فقال: "يا عثمان! أرغبت عن سنتي؟"، قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: "فإني أنام، وأصلي، وأصوم، وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًا، وإن لضيفك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، فصم وأفطر، وصل ونم" (رواه أبو داود).

ودخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: "ما هذا الحبل؟"، قالوا: هذا حبل لزینب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد" (رواه البخاري).

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: "كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "من هذه؟"، قلت: فلانة لا تنام بالليل فذكر من صلاحها، فقال: "مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا" (رواه البخاري).

قال ابن حجر -رحمه الله- في معنى: "عليكم ما تطيقون أي: اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون من المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يُطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يُطاق".

وقال ابن بطال -رحمه الله-: "إنما يُكره التشديد في العبادة خشية الفتور وخوف الملل، ألا ترى قوله: "خير العمل ما دام عليه صاحبه وإن قل"، وقد قال -تعالى-: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦]، ولنا في رسولنا -صلى الله عليه وسلم- أسوة فقد "كان عمله ديمة" (متفق عليه). أي: يداوم عليه ولا يقطعه.

ومن أسباب استمرار العمل الصالح: تنشئة الأبناء تنشئةً صالحةً، فهي سبب بإذن الله لاستمرار العمل الصالح، وقد طرق النبي -صلى الله عليه وسلم- فاطمة وعلياً ليلاً، وكان في تفقده -صلى الله عليه وسلم- إرشادًا لهما.

قال ابن حجر -رحمه الله-: "لولا ما علم النبي -صلى الله عليه وسلم- من عظم الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لحلقه سكوتًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعوة والسكون، امتثالاً لأمر الله -تعالى-: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ) [طه: ١٣٢]".

قال ابن بطال -رحمه الله-: "فيه فضيلة صلاة الليل، وإيقاظ النائمين من الأهل والقراة لذلك". ومن العوامل أيضًا: الرفقة الصالحة، وقد شبَّههم النبي -صلى الله عليه وسلم- بحامل المسك، فهم خير

زاد للمسلم في أداء العبادة، وتسهيل أمرها، والحث على أدائها، وتذليل صعابها.

ومن العوامل أيضاً: البيئة الصالحة فهي سبب لاستمرار الطاعات والتنوع في القربات، والرجل الذي قتل مائة نفس، أوصاه العالم كما في صحيح مسلم بأن ينطلق إلى أرض كذا وكذا، "فإن فيها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء"، ولذا أمر الله -عز وجل- عباده بالهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، حفاظاً على الدين، وصوناً للأخلاق.

وقفنا الله لطاعته حسن عبادته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من العوامل المعينة لاستمرار العمل الصالح: دعاء الله بذلك، فإن إبراهيم -عليه السلام- دعا لذريته بقوله: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) [إبراهيم: ٤٠]، وقال: (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) [إبراهيم: ٣٧].

والدعاء سبب رئيس في استمرار العبد للطاعات، كما أن العزيمة الصادقة، وقصر الأمل، ومعرفة سير العلماء والزهاد والعباد في علمهم وعملهم وورعهم ما هي إلا أسباب معينة -بإذن الله- إلى البذل والعطاء.

وقد ضرب الصحابة -رضي الله عنهم- أمثلة في استمرار العمل وعدم انقطاعه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: "نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل"، قال سالم: "فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً" (رواه مسلم).

هكذا الصحابة ومن بعدهم في استمرار العمل الصالح وعدم انقطاعه، فعندما سمعت أم حبيبة -رضي الله عنها- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بُني له بهن بيت في الجنة"، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس" (رواه مسلم).

ثم اعلّموا أن من داوم على العمل الصالح، ثم انقطع عنه بسبب مرض أو سفر ونحوهما، فإن الله يكتب له أجر ذلك العمل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً" (رواه البخاري).

نسأل الله أن يعمر أيامنا بالطاعات.

سِيرَ الأنبياءِ دروس وعِبَر

دروس وعبر من قصة نبي الله نوح - عليه السلام -

الخطبة الأولى:

ذكر الله قصة نبيه نوح - عليه السلام - وما كان من قومه، في عدة سور من كتابه الكريم، وأنزل سورة كاملة في القرآن باسمه - عليه السلام -، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما ثبت في الصحيحين من حديث الشفاعة، وهو من أولي العزم من الرسل، أرسله الله لما آل الحال بأهل الزمان إلى عبادة الأوثان.

ولنا في ذكره - عليه السلام -، وذكّر دعوته مع قومه وقفات:

أولها: أن الشيطان قد يزين للإنسان بابًا من أبواب الخير، حتى يؤول به المآل إلى خلافه، وهذا ما كان من قوم نوح - عليه السلام -، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "إن ودًّا، وسواعًا، ويغوثًا، ويعوقًا، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسُمّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبَد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت" (رواه البخاري).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "فهذا أول شرك كان في بني آدم، وكان في قوم نوح، فإنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك، كما قال - تعالى -: (وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [نوح: ٢٣]"، وهكذا كل عمل لم يأمر بهما الوحيان - الكتاب والسنة - فلا عمل بها حتى ولو استحسنتها الناس.

ثانيهما: أن مدة دعوته لقومه طويلة، وتَنَوَّعَ في زمنها بالليل والنهار، والسرّ والجهر، مما يدل على صبره وحرصه عليهم، قال ابن القيم - رحمه الله -: "صَبَرُ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام - على ما نالهم في الله باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم قومهم، أكمل من صبر أيوب على ما ناله في الله من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسببًا عن فعله، وكذلك كان صَبَرُ إسماعيل الذيح وصبرُ أبيه إبراهيم - عليهما السلام - على تنفيذ أمر الله أكمل من صبر يعقوب على فقد يوسف".

وقد أخبر الله عن طول دعوة نوح - عليه السلام - فقال - عز وجل -: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [العنكبوت: ١٤]، وتنوع في زمنها (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) [نوح: ٥].

فلم يكثر من صدود قومه عنه، كما قال - سبحانه وتعالى -: (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) [نوح: ٦-٧]، ومع ذلك صبر على الدعوة، ولم يملّ، ولم يكلّ.

ثالثاً: أن دعوته مع طولها وتنوع وسائلها لم يؤمن بها إلا قليل، قال - تعالى -: (وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) [هود: ٤٠]، بل زوجته لم توافقه في الإيمان، ولم تصدقه في الرسالة، مع قربها له في المعشر والمأكل، قال - تعالى -: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوْحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) [التحریم: ١٠].

وكانت خيانة زوجته له في الدين كما قال ذلك ابن عباس - رضي الله عنهما -، بل حتى ولده الذي من صلبه لم يؤمن بدعوته حين قال له لما أتى العذاب: (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) [هود: ٤٢].

وهذا درس للدعاة أن يدعوا ويبلغوا ولا ينظروا إلى كثرة أو قلة الأتباع، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في اتباع الأنبياء - عليهم السلام -: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ" (متفق عليه).

ومن هذه الوقفات: تَلَطَّفَ نَبِيُّ اللَّهِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ مَعَ قَوْمِهِ كَمَا قَالَ لَهُمْ: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْنَا مَكُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) [هود: ٢٨]، وكان ديدهم أن يقابلوا هذا الأدب بقولهم: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [هود: ٣٢].

وكذا رُسِلَ اللَّهُ - عليهم السلام - كان عندهم لطفٌ في العبارة، وصدقٌ في المعاملة، كما قال الله لموسى حين أمره بدعوة فرعون قال: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٤]، وقال لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [التحل: ١٢٥]. فما أجمل الكلمة الطيبة التي تنقذ إلى القلوب كنفاز السهم في الرمية.

ومن الوقفات: أن الحق لا يحتاج إلى ردٍّ للعقل ولا للفكر، وقد وصفوا من آمن مع نوح - عليه السلام - بأنهم (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ) [هود: ٢٧]، أي: بمجرد أن دعوتهم

استجابوا لك، من غير نظير ولا دراية ولا رويّة، ويغيب عن قوم نوح أن الحق أبلج، فلا يحتاج إلى ردّ إلى عقل، ولا لإعمال الفكر. ولذا امتدح الله أبا بكر -رضي الله عنه- بقوله: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [الرّؤم: ٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

لما يأس نوح -عليه السلام- من صلاحهم وفلاحهم، ورأى أنهم لا خير فيهم، وأنهم لا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا، وتوصلوا إلى أذيته وتكذيبه من جملة فعال ومقال، دعا عليهم دعوة غضب، فاستجاب الله لدعوته، وأجاب طلبه بقوله: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) [الصّافات: ٧٥]، وقوله: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) [القمر: ١٠].

(وَقَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشّعراء: ١١٧-١١٨]، فأمره بصنع سفينة تحمّل من كل زوجين، وبعدها جاء أمر الله بأنزل على أهل الأرض ماءً منهمرًا من السماء، وأمر الأرض فنبعت من فجاجها، وسائر أرجائها، وجعلهم الله آية للمعتبرين، قال -تعالى-: (وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لَهُمُ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) [الفرقان: ٣٧].

وقال -سبحانه- أيضًا عنهم: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) [الأعراف: ٦٤]، وهكذا نهاية الطغيان واحدة، فقد قال عن عاد (فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) [الأعراف: ٧٢].

وقال عن قوم صالح (فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [الأعراف: ٧٨]، وقال عن قوم لوط: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) [الحجر: ٦٦]، وكذلك قوم صالح وقوم شعيب: (فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [الأعراف: ٧٨].

ومن الدروس أيضًا: أن ذكر الله لا ينفك عن ألسن عباده الصالحين في ابتداء عمل الخير، فقد أمر الله نوحًا -عليه السلام- بذكره وشكره بقوله: (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) [المؤمنون: ٢٨-٢٩].

وكذلك قال الله لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- حين أمره بالهجرة إلى المدينة فأنزل عليه: (وَقُلْ رَبِّ

أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) [الإسراء: ٨٠].
ولك أن تعرف أن من سجايا قوم نوح -عليه السلام- الكفر الغليظ، والعناد البليغ، وليس هذا في الدنيا فقط، بل حتى في الآخرة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال: لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣]، فذلك قوله جل ذكره (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣]" (رواه البخاري).
ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

دروس وعبر من قصة نبي الله إبراهيم - عليه السلام -

الخطبة الأولى:

إن أزكى سيرة، وأعطر حياة، هو ما يكون من سير وأخبار الأنبياء والصالحين، وإذا كانت السيرة سيرة نبي اصطفاه الله على أهل زمانه، فالنفوس تتطلع إليها، وتشرئب لها الأعناق، وتعلو المكانة إذا كان صاحبها من أولي العزم من الرسل -عليهم السلام-، وتسمو المنزلة إذا كان هو أبا الأنبياء وإمام الحنفاء -عليه السلام-.

أثنى الله - سبحانه - عليه بقوله: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [التحل: ١٢٠]، أي: إمامًا مقتدى به، يُعلم الناس الخير، قال - سبحانه -: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) [البقرة: ١٢٤]، وقد كان كل أهل الأرض كُفَّارًا، سوى الخليل وزوجته وابن أخيه لوط - عليه السلام -.

وصف الله - عز وجل - خليله بقوله: (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا) [مريم: ٤١]، وذكر الله دعوته لأبيه وقومه في مواضع من كتابه الكريم.

وقد آتاه الله رُشده في حال صغره، وألهمه الحق والحجة على قومه، قال - تعالى -: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) [الأنبياء: ٥١].

وآتاه الله في الدنيا حسنة، وهي الذرية الطيبة، والثناء الحسن، بسبب إخلاصه لله، واعتزاله أهل الشرك، قال - سبحانه -: (فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) [مريم: ٤٩].

وقال - سبحانه -: (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) [العنكبوت: ٢٧]، وقال - سبحانه - في ذكر الذرية: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) [العنكبوت: ٢٧].

وقد بدأ دعوته لأبيه لقربه منه، ولحبه له، وكان ذلك بألفاظ عذبة وأحسن إشارة، كما في قوله: (يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) [مريم: ٤٣-٤٥].

ولعلّ منزلته كان الأنبياء بعده يذكرونه تمهيدًا للدعوة وتشريفًا لهم، كما قال يوسف - عليه السلام -:

(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) [يُوسُف: ٣٨]، وقال يعقوب -عليه السلام- لأبنائه عند وفاته: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقرة: ١٣٣].

ومن صفاته وخصاله أنه -عليه السلام- متصفٌ بصفة الكرم، حتى لأناسٍ غرباءٍ لا يعرفهم، وهم الملائكة حينما أتوه على هيئة رجال، فقدم إليهم عجلًا سمينًا، وكان حينئذٍ -أي: مشويًا-.

وكان صادق القول، لم يكذب في حياته سوى ثلاث كذبات، وهي في الله، أولاهها: أنه قال لقومه: إني سقيم، وقال: بل فعله كبيرهم -عندما كسّر الأصنام-، وقال عن زوجته: إنها أخته.

وأعطي -عليه السلام- حجةً في الرد على المخالفين، كما حصل له مع ملكٍ زمانه النمرود، الذي ملك الأرض، وطغى وبغى، وتجبر وعتى، وآثر الحياة الدنيا: (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ٢٥٨].

وحين كسّر الأصنام وعاد القوم وسألوا إبراهيم في جموع الناس: (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) [الأنبياء: ٦٢-٦٣]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق، فكيف تأمرنا بسؤالها؟".

كما أعطي -عليه السلام- توكلاً عجيباً، فعند إلقائه في النار بسبب تكسيره للأصنام، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قال الله: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) [الأنبياء: ٦٩].

وأعطي ثباتاً قوياً في القلب، فترك زوجته وابنه الرضيع في مكان لا أنيس فيه ولا جليس، ولا شجر ولا ثمر، فقالت زوجته: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: فإنه لا يضيعنا.

وقفنا الله للتأسي بأخلاق صفوة خلقه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

لأبينا إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- الشرف في بناء الكعبة المشرفة قال -سبحانه-: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ) [البقرة: ١٢٧]

ومقام إبراهيم شاهدٌ على ذلك العمل الجليل، بل قال الله فيه: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة: ١٢٥]، كما أن أداء الحج أمره الله بالأذان به (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) [الحج: ٢٧].

والأمن والأمان في بيت الله الحرام بدعاء أبينا إبراهيم -عليه السلام- حين دعا ربه بقوله: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) [إبراهيم: ٣٥]، فاستجاب الله دعاءه فقال -سبحانه-: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا) [العنكبوت: ٦٧].

ودعا كذلك بقوله: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [البقرة: ١٢٩]، فاستجاب الله دعاءه، فبعث فيهم رسولا هو تمام الأنبياء والرسل -عليهم السلام- وعمّت بدعوته أهل الأرض كلهم.

ودعا خليل الرحمن بأن تهوي أفئدة من الناس للبيت الحرام، ودعا لأهل مكة وزائريها وساكنيها بأن يرزقهم من الثمرات، فاستجاب الله دعوته مع قلة المياه، ونُدرة الأشجار والثمار، فكان حرمًا محرّمًا، وأمنًا محتّمًا.

ثم اعلّموا أن نبينا محمدًا -عليه السلام- محبته لأبيه إبراهيم -عليه السلام- سمي أحد أبنائه باسمه، وحينما قال الرجل لنبينا محمد -عليه السلام- يا خير البرية قال: "ذاك إبراهيم" (رواه مسلم).

قال القاضي عياض -رحمه الله-: "قالها إما تواضعًا، وإما كُرْهًا لإظهار المطاوعة على الآباء، ولذا قال ابن كثير -رحمه الله- عند قول الله -تعالى-: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ١٦١].

وفي قوله -تعالى-: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) [النحل: ١٢٣]: "ليس يلزم من كونه -عليه السلام- أمر باتباع ملة إبراهيم أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه -عليه السلام- قام بها قيامًا عظيمًا، وأكملت له إكمالًا تامًا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال، ولذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود، الذي يرغب إليه الخلق حتى إبراهيم -عليه السلام-".

رزقنا الله وإياكم التأسّي بأخلاق رسل الله -عليهم السلام- وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دروس وعبر من قصة نبي الله موسى - عليه السلام -

الخطبة الأولى:

في حياة موسى - عليه السلام - دروسٌ وعبر، ذكرها الله في مواضعٍ عديدةٍ من كتابه الكريم مطولةً وغير مطولة، ولم تُذكر تفاصيلُ نبي من أنبياء الله في القرآن كموسى - عليه السلام -، فقد ذكر الله حال فرعونَ مع بني إسرائيل قبل مولد موسى - عليه السلام -، ورضاعته، والأحداث التي أدت إلى توجهه إلى مدين، ومكثه فيها، وتكليم الله له في الوادي، ثم مواجهته لفرعون، ودعوته لعبادة الله وحده، ومقابلته للسحرة، وغيرها من الأحداث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "ومن المعلوم أن قصة موسى وما جرى له مع فرعون وغيره، أعظم وأشرف من قصة يوسف بكثيرٍ كثير؛ ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تُذكر في القرآن، ثناها الله أكثر من غيرها، وبسطها وطوّها أكثر من غيرها".

ولنا في قصة موسى - عليه السلام - وقفات:

أولها: أن قضاء الله نافذٌ على كل أحد، وإذا أراد الله أمرًا فلا راد له، وذلك من خلال ما أوحى الله لأم موسى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصاص: ٧].

فلا خوف على هذا الغلام الرضيع من جند فرعون ولا من البحر، ويقدر الله لآل فرعون التقاطهم إياه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) [القصاص: ٨].

ووضع هذا الرضيع بين يدي فرعون، ويأمر بقتله كبقية الأطفال، لكن أمر الله قدرٌ مقدورٌ، فقالت زوجته (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكْ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [القصاص: ٩].

وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه، كما قال الله ذلك في منته عليه: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) [طه: ٣٩]، قال ابن كثير - رحمه الله -: "كان لا يراه أحد إلا أحبه".

ويقدر الله لهذا الغلام الذي سيكون هلاكٌ مُلك فرعون على يديه، يعيش في قصره، ويأكل من طعامه، ويشرب من شرابه، ويلهو في داره (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: ٢١].

بل ويكون إيمان زوجة فرعون على يدي موسى - عليه السلام -: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ)

الظَّالِمِينَ) [التَّحْرِيم: ١١].

الوقفه الثانية: أن الله أرسل نبيّه موسى -عليه السلام- لرجلٍ كابرٍ الحق، وادعى الربوبية بلسانه، ووجد ربوبية الله، واستيقنتها نفسه، قال الله -تعالى- عن حاله: (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) [يُونُس: ٨٣].

لكن الله طمأن نبيه بقوله: (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى) [طه: ٤٦]، فأمر الله موسى وهارون بالقول اللين، والدعوة البليغة، قال -سبحانه-: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٤]، ولا يزال هذا الحدث يستفيد منه الدعاة على مر العصور.

الوقفه الثالثة: أن رسل الله -عليهم السلام- لديهم قوة في الحجّة، فخليل الله إبراهيم -عليه السلام- قال لملك زمانه النمرود (رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ٢٥٨].

وموسى -عليه السلام- حين سأله فرعون عن ربه: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [طه: ٤٩-٥٠]، وهذه من تدبير الله للمخلوقات لا يملكها أي مخلوق، فلم يملك فرعون أي جدال، بل انتقل إلى السؤال الثاني (فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) [طه: ٥١]، فأجاب موسى (عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) [طه: ٥٢].

الوقفه الرابعة: الصبر في الدعوة هو ما تحلّى به رسل الله -عليهم السلام-، فموسى -عليه السلام- صبر في دعوة قومه مع سحريتهم منه، قال -سبحانه-: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: ٤٧-٤٨].

وتعددت الآيات والمعجزات على قومه، قال -تعالى-: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) [الأعراف: ١٣٣]، فدعوة الناس إلى الله تحتاج إلى صبر ومصابرة وتحمل المشاق، وثمرتها يانعة -ياذن الله-، ولذا أمر الله بالصبر على الشدائد، قال -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣].

جعلنا الله من أهل الإيمان، وثبتنا عليه حتى نلقاه.

الخطبة الثانية:

الوقفة الخامسة: أن أهل الباطل يَصِفون الحق وأهله بأوصاف تَصْرِفُ الناس عن اتباعه، قال فرعون لقومه عن موسى -عليه السلام-: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدَّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ) [عَافِر: ٢٦]، أو بالسخرية كقول فرعون عن موسى (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ) [الرَّحْرِف: ٥٢].

وقد وصف المكذبون رسلَ الله -عليهم السلام- بأوصافٍ تَصْرِفُ الناس عن قبول الحق، قال - سبحانه-: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) [الذَّارِيَات: ٥٢]، ومع كل ذلك يُقبل الناس على قبول الحق وينصرفون عن الباطل.

الوقفة السادسة: وسائل الدعوة تتنوع وتختلف، والموقق من طَرَقَ الوسائل المتاحة في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، ونبذ ما سواه، فموسى -عليه السلام- في لسانه لثغة فدعا الله بقوله: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي) [طه: ٢٧-٢٨].

فلم يسأل إزالة جميع ما بلسانه من العقد، بل سأل إزالة بعضها الذي يحصل بإزالته فَهَمُّ كلامه، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون فقال: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) [الْقَصَص: ٣٤]، أي: يتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه.

ومع ذلك دعا وبلغ الرسالة، وأتمه أعظم الأمم بعد أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ" (متفق عليه).

الوقفة السابعة: ما كان لله فهو باقٍ وما كان لغيره فزائل، فبالرغم من رغبة فرعون في إفحام موسى أمام الناس بفعل السحرة، إذا بالسحرة يقولون: (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) [طه: ٧٠]، وذلك حينما شاهدوا الحق بأعينهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يُونُس: ٨١].

الوقفة الثامنة: أهلك الله فرعون بهلاكٍ فيه عبرةٌ وعظة، فبعد أن جَمَعَ الناس (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) [الشُّعْرَاء: ٥٣]، ولحق بموسى وأصحابه (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) [الشُّعْرَاء: ٦١-٦٢]، أي: سيهدين طريق النجاة.

(فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) [الشُّعْرَاءُ: ٦٣]، فأصبح البحر المتلاطم الأمواج لموسى ومن معه (طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى) [طه: ٧٧]، فلا تخشى من إدراك فرعون لك، ولا من البحر الذي أمامك.

فسلك موسى وقومه هذه المسالك ولم يُيَلِّ أحد منهم بالماء، وقرب الله فرعون وجنده قال -تعالى-: (وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ) [الشُّعْرَاءُ: ٦٤]، فلما تكامل موسى ومن معه خارجين؛ وتكامل فرعون ومن معه داخلين أطبق الله عليهم البحر، فلم ينجُ منهم أحدٌ، وجعل الله هلاكه عبرة وعظة، قال -تعالى-: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) [يُونُس: ٩٢].

الوقفة التاسعة: إن الصراع بين الحق والباطل دائم، ومع اختلاف أساليب أهل الكفر إلا أن نهاية الطغيان واحدة (وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) [يُونُس: ٨٢]، فهذا فرعونُ أغرقه الله بالماء، وذاك قارون خسف الله به وبداره الأرض، والأمثلة كثيرة، والنهاية كما وعد الله أنها للمتقين (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: ١٢٨].

اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين.

دروس وعبر من قصة نبي الله شعيب - عليه السلام -

الخطبة الأولى:

ذكر الله في كتابه الكريم جملةً من قصص أنبيائه - عليهم السلام -، بلغ عددهم خمسةً وعشرين رسولاً، وهناك جم غفير لم يذكرهم الله قال - سبحانه - : (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) [النساء: ١٦٤].

والقَصَصُ القرآني يمتاز عن غيره من القصص أن فيه بلاغة وإتقاناً، فيذكر الله - عز وجل - القصة بأساليب وأحداثٍ متنوعة، بطول من غير ملل، أو إيجازٍ غير مُخِلِّ.

وقَصَصُ القرآن الكريم هي أحسنُ القصص، قال - سبحانه - : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ) [يوسف: ٣]، وفيه تسليية لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - : (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) [هود: ١٢٠]، ومن القصص القرآني قصة نبي الله شعيب - عليه السلام -.

بعثه الله - عز وجل - إلى قومه خاصة، وكذا الرسل - عليهم السلام - عدا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو إلى الناس عامة، وهم في أطراف الشام من جهة الحجاز، وكان شعيب - عليه السلام - خطيب الأنبياء في زمنه وما قبله، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وكذا وظيفة الأنبياء - عليهم السلام - هو إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد.

وقومه - أهل مدين - يقومون بأعمال مشينة - يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة وهو الشجر الملتف - وهم أسوأ الناس معاملة - يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما -، فدعاهم إلى عبادة الله وحده بقوله: (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) [الأعراف: ٨٥-٨٦].

أي: تأخذون العشور من أموال المارة (وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا)؛ حيث نهاهم عن قطع الطريق الحسية والمعنوية، ثم ذكَّرتهم نعم الله عليهم بقوله: (وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [الأعراف: ٨٦].

ثم وجههم بقوله: (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) [هود: ٨٦]، أي: أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير الحرام، إلا أن هذه النصائح قُوبلت بالسخرية بقولهم: (قَالُوا يَا

شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ [هُود: ٨٧].
ثم نسب التوفيق والسداد لله: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هُود: ٨٨]، فإن العمل إذا لم يكن موفقًا ومسددًا فقد جانب الصواب، وقد كان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-:
"اللهم إني أسألك الهدى والسداد" (رواه مسلم).

بعد ذلك ذكر قومه حال الأمم السابقة ورهبهم بمصيرهم: (وَبَا قَوْمٍ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ) [هُود: ٨٩]، أي: أنهم ليسوا ببعيدين في الزمان والمكان ولا الصفات.

ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هُود: ٩٠]، وهذا حال الأنبياء -عليهم السلام- لا يريدون لأقوامهم إلا الخير في الدنيا، والسلامة في الآخرة من عذاب الله، كما قال ملكُ الجبال لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- "يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" (متفق عليه).

ووصل بهم العتو والسخرية بشعيب -عليه السلام- أنهم قالوا: (مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ) [هُود: ٩١]، أي: لا نفهمه، ولا نعقله، لأننا لا نحبه ولا نريده، وليس لنا همّةٌ إليه ولا إقبالٌ عليه، كما قال كفار قريش لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ) [فُصِّلَتْ: ٥].

وبلغ بهم التكبر أن قالوا: (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ) [هُود: ٩١-٩٢]، أي: أنكم تخافون قبيلتي وعشيرتي ولا تخافون عذاب الله، ثم توعدهم بعد بذلك بالعذاب (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) [هُود: ٩٣].

وقفنا الله لأداء العمل الصالح، وحفظنا بحفظه، وتولانا برعايته.
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

لما طغى أصحابُ مدين في الكفر والعناد، نعاهم شعيب -عليه السلام- بقوله: (لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ

رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) [الأعراف: ٩٣]، حيث قام -عليه السلام- بأداء ما أمره الله به من البلاغ التام، والنصح الكامل، والحرص على هدايتهم بكل ما يستطيع أداءه من سبل، والله -سبحانه- الهادي، ولن أحزن بعدها على أعمال القوم الكافرين.

وقد جمع الله على قوم شعيب -عليه السلام- أنواعًا من العقوبات، وصنوفًا من المثلات، وأشكالًا من البليّات، وذلك لما اتصفوا به من قُبْح الصفات، حيث أذاقهم الله ثلاثًا من العقوبات: سلط عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أهدمت الأصوات، وظلّة أرسل عليهم منها شرًّا من سائر أرجائها والجهات.

فحين أرجفوا نبههم وتوعدهم بالإخراج من قريتهم قال -تعالى-: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [هُود: ٦٧]، فقابل الإرجاف بالرجفة، والإخافة بالخيفة؛ وأخذتهم الصيحة لاستهزائهم بنبيهم وتنقصهم له حيث قالوا: (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) [هُود: ٨٧].

فناسب أن يذكر الصيحة، التي هي كالزجر عن تعاطي الكلام القبيح؛ وأخذهم عذاب يوم الظلة إجابة لما طلبوا، وتقريبًا إلى ما إليه رغبوا، فإنهم قالوا: (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: ١٨٧].

فأصابهم حر شديد، وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل، ولا دخوهم في أسرابهم، فهربوا من محلّتهم إلى البرية، فأظلمت سحابة، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله عليهم ترميمهم بشرر، وشهب، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة من السماء، قال -سبحانه-: (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: ٩٢].

وكان الله قد نجّى شعيبًا ومن معه من المؤمنين، قال -سبحانه-: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) [هُود: ٩٤]، وهكذا حال الأنبياء والرسل وأتباعهم، فالله حافظهم في الدنيا، ومُعَلِّ منزلتهم في الآخرة.

رزقنا الله لزوم صراطه المستقيم، واقتفاء أثر رسول رب العالمين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

دروس وعبر من قصة نبي الله يوسف -عليه السلام-

الخطبة الأولى:

تناول الوحي موضوعاتٍ ثلاثةً هامةً: أولاها: توحيد الله، وثانيها: بيان الأحكام الشرعية، وثالثها: القصص القرآني.

والقصص القرآني فيه عبرة، وعظة، وتسلية للقلوب، وذكُرَ لأحوال الأمم الغابرة، قال -سبحانه-:
(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ) [هُود: ١٢٠].

ولنا أن نأخذ وقفات من سورة يوسف -عليه السلام- فقد روى البيهقي -رحمه الله-: "أن طائفة من اليهود حين سمعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- يتلو هذه السورة أسلموا لموافقتها ما عندهم".
وكان عمر -رضي الله عنه- يقرأ هذه السورة ويكي فيها كثيرا، قال الله -عز وجل- في بداية السورة:
(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [يوسف: ٣].

والمقصود بأحسن القصص: قصة يوسف -عليه السلام- وغيرها مما قصه الله علينا من قصص المرسلين، وسميت أحسن القصص؟ لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة، وقيل: لامتداد الأوقات بين مبتدئها ومنتهاها، وقيل: لحسن محاورة يوسف وإخوته، وصبره على أذاهم، وإغضائهم عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء، وكرمه في العفو.

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والإنس والجن، والأنعام والطير، وسير الملوك والمماليك، والتجار، والعلماء والجهال، والرجال، والنساء ومكرهن وحيلهن، وفيها أيضا ذكر التوحيد والفقه والسير، وتعبير الرؤيا والسياسة، والمعاشرة وتدبير المعاش، فصارت أحسن القصص؛ لما فيها من المعاني والفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

لذا فقد اشتملت على معان عديدة منها:

الدرس الأول: حصلت أحداث لنبي الله يوسف -عليه السلام- مع إخوته تبين (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يوسف: ٥]، وأنه -عز وجل-: (عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [يوسف: ١٩]، و(إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [يوسف: ٢٣]، وأتته -عز وجل- (لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) [يوسف: ٥٢].

وأن كل من عمل صالحا فإن الله: (لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: ٩٠]، و(إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) [يوسف: ٨٨]، وأن كل شدة وكرب مهما كبر فإن قلب المؤمن متعلق بمولاه (إِنَّهُ لَا

يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ) [يُوسُفُ: ٨٧].

وَأَنْ مِنْ يَتَّقِي اللَّهَ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي لَا يُضِيعُ اللَّهُ أَجْرَ عَامِلِهِ وَ(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [يُوسُفُ: ٩٠].

فِي قِصَّةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ، دَارَتْ رَحَى أَحْدَاثِهَا سَنِينَ طَوِيلَةً، بَدَأَتْ مِنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهِ إِلَى اعْتِلَائِهِ عَرْشَ الْمَلِكِ، لَاقَى مِنَ الشَّدَةِ أَشْدَهَا، وَمِنَ الْعَنْتِ أَعْنَتَهُ، وَهُوَ الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ، "فَقَدْ سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: "أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاهُمْ"، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: "فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ، نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ" (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)، فَهُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-.
حَيْثُ إِنَّ مَكْرَ إِخْوَةِ يُوسُفَ بِيُوسُفَ، وَإِلْقَاءَهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ، مَكْرٌ مَا أَسْرَعَهُ مِنْ زَوَالِ: (وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) [يُوسُفُ: ١٠٢]، فَمَكْرُهُمْ كِبَارٌ، وَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا، فَمَا أَسْرَعَهَا مِنْ سَنِينَ وَيَأْتُونَ لِيُوسُفَ وَهُمْ جِيَاعٌ أَذْلَةٌ، وَصَدَقَ اللَّهُ حِينَ قَالَ: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فَاطِرٌ: ٤٣]، أَيُّ: وَمَا يَعُودُ وَبِالذَلِكَ إِلَّا عَلَيْهِمْ أَنْفُسِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: أَنَّ كَذِبَ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَى أَبِيهِمْ وَإِنْ تَعَضَّدَ بِالْبِرْهَانِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْمُ طَوِيلًا حَتَّى أَظْهَرَهُ اللَّهُ لِأَبِيهِمْ، فَقَمِصَ يُوسُفَ مَلَطَخَ بِالْدَمِ، وَهُوَ سَلِيمٌ لَمْ يَمِزْ بِمُخَالَبِ الذَّنْبِ وَأَنْبِيَاةِ، لِذَا قَالَ يَعْقُوبُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [يُوسُفُ: ١٨].

وَالْكَذِبُ رِيبةٌ، فَقَدْ طَلَبُوا بِصَنِيْعِهِمُ الْقَرَبَ مِنْ قَلْبِ وَالِدِهِمْ، وَأَنْ يَخْلَوْا لَهُمْ وَجْهٌ أَبِيهِمْ، لَكِنَّ هَذَا الْفِعْلَ قُبُولٌ مُبَاشِرَةٌ بِالتَّكْذِيبِ، وَجَرَ عَلَيْهِمْ وَيَلَاتٌ فِي الْآجَلِ وَالْعَاجِلِ، قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "لَأَنْ يَضَعِيَ الصِّدْقَ -وَقَلَّمَا يَضَعُ- أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعِيَ الْكُذْبَ -وَقَلَّمَا يَفْعَلُ-".

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: أَنَّ فِي مَكْتِ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي الْجُبِّ يُذَكَّرُ بِمَكْتِ يُونُسَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، وَمَا هُوَ إِلَّا ابْتِلَاءٌ: (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [يُوسُفُ: ١٥]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ فَرْجٍ وَمُخْرَجٍ مِنْ هَذِهِ الشَّدَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، وَلِتُخْبِرَنَّ إِخْوَتَكَ بِصَنِيْعِهِمْ هَذَا وَأَنْتَ عَزِيزٌ، وَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْكَ خَائِفُونَ مِنْكَ (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [يُوسُفُ: ١٥]".

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَطِيفٌ حَكِيمٌ خَبِيرٌ، فَهَمَّا حَصَلَ لِلْعَبْدِ مِنْ ضَعْفٍ وَشَدَةِ إِلَّا

أن الله لطيف بعباده في قضائه، حيث أوصى عزيزُ مصرَ بيوسفَ خيراً (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [يُوسُفُ: ٢١].

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "أفرد الناس ثلاثة: عزيزُ مصرَ حين قال لامرأته أكرمي مثواه، والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى -عليه السلام-: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) [الْقَصَصُ: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- على الناس".
الدرس الخامس: أن الله تثبت قلبَ يوسفَ -عليه السلام- مع أن امرأةَ العزيزِ تهيأت ووفرت أسباب الفاحشة، ويوسفُ -عليه السلام- شابٌ عذب وغريبٌ، وما همَّ يوسفُ به إنما هي خطراتُ حديثِ النفس، وقيل: همَّ بضربها، وقيل: تمنأها زوجة.

وأما البرهان في قوله: (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) [يُوسُفُ: ٢٤]، فالذي رآه قيل: صورة أبيه يعقوبَ عاضاً على أصبعه بفمه، وقيل: رأى خيال الملك يعني سيده، وقيل: البرهان عندما رفع رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت، (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢]، قال ابن جرير: "والصواب أن يقال: إنه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان به، وجائز أن يكون صورة أبيه أو الملك أو ما رآه مكتوباً".

الدرس السادس: أن يوسفَ -عليه السلام- دعا إلى توحيد الله وعبادته وهو في السجن عند سؤال صاحبيه عن رؤياهما حين قال: (يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يُوسُفُ: ٣٩-٤٠]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "لأن نفوسهما مُعظِّمةٌ له، منبعثةٌ على تلقِّي ما يقول بالقبول، فناسب أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه".

وهذا دأب الصالحين في استغلال أوقاتهم في كل مكان، فشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما دخل الحبس، وجد المساجين مشغولين بأنواعٍ من اللعب يتلهون بها عما هم فيه، كالشطرنج والترد، فأنكر الشيخ عليهم ذلك، وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وعلمهم من السنَّة ما يحتاجون، ورغبهم في أعمال الخير، وحضهم على ذلك، حتى صار الحبسُ بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثيرٍ من الزوايا والرُّبَط والمدارس، وصار خلقٌ من المحابيس إذا أُطْلِقُوا يختارون الإقامة عنده.

وَقَتْنَا اللَّهَ لَطَاعَتَهُ، وَجَنَّبْنَا مَعْصِيَتَهُ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

بَيْنَ قِصَّةِ يَوْسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَسِيرَةِ رَسُولِنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَبْهُ كَبِيرٍ، فَكَمَا عَادَى إِخْوَهُ يَوْسُفَ يَوْسُفَ، فَقَدْ عَادَى مَنْ عَادَى مِنَ الْأَقْرَابِ وَالْعَشِيرَةِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَكَمَا أَلْقَوْا يَوْسُفَ فِي الْجُبِّ وَوَارَوْهُ عَنْ أَبِيهِمْ، فَقَدْ أَخْرَجُوا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَّةَ، حَيْثُ الْمَوْلُدُ وَالنَّشْأَةُ، وَحَاصِرُوهُ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

وَكَمَا عَفَا يَوْسُفُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَنْ إِخْوَتِهِ عِنْدَمَا مُكِّنَ فِي الْأَرْضِ بِقَوْلِهِ: (قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [يُوسُفُ: ٩٢]، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الْأَعْرَافُ: ١٩٩]، وَرَغَّبَ فِيهِ (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [الشُّورَى: ٤٠].

اللهم احفظنا بما تحفظ به عبادك الصالحين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

دروس وعبر من قصة نبي الله يونس - عليه السلام -

الخطبة الأولى:

ذكر الله - سبحانه وتعالى - جملةً من قصص رسله - عليهم السلام - مع أقوامهم، وكان منهم نبيُّ الله يونس - عليه السلام -، ذكره الله في سورتي النساء والأَنْعَامِ مع جملة من رسله - عليهم السلام -، وذكر قصته مفصلة في غيرها من السور، وأُفرد في القرآن الكريم سورة باسمه - عليه السلام -.

وكان من فضله - عليه السلام - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا ينبغي لعبد أن يقول: إنه خير من يونس بن مَتَّى" (متفق عليه)، وخصَّ يونس - عليه السلام - بالذكر لثلاث أسباب تقع تنقُّص له في نفس من سمع قصته، فبالغ في ذِكْر فَضْله لسدِّ هذه الذريعة.

وقد ذكر الله حاله مع قومه، حين بعثه إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله - عز وجل - فكذبوه، وتمردوا، وبقوا على كفرهم وعنادهم، فلما طال عليه أمرهم، خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث، ولنا في سيرته وقفات:

أولاً: أن الله - عز وجل - أرسل يونس - عليه السلام - إلى قومه، وكان عددهم كما قال - عز وجل -: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) [الصافات: ١٤٧]. وهذا درس للدعاة والمصلحين، بأن الدعوة إلى الله يبارك الله - عز وجل - فيها في الجهد، والوقت، والمال، كما هو الحال مع رسل الله - عليهم السلام - وبالأخص نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - حين أرسله إلى الناس كافة، وبضده من يدعو إلى أديان باطلة، فإن ثمرتها تذبل سريعاً، قال - سبحانه -: (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) [الأنفال: ٣٦]، فيذهب المال ولا يحصل المقصود.

ثانياً: أن يونس - عليه السلام - لما لم يؤمن قومه به، ضاق صدره بهم ذرعاً، وخرج مغاضباً من أجل ذلك، لا لأجل منافع دنيوية لم يتحصل عليها، ولكن رافة بهم من عذاب الله؛ لأن الرسل - عليهم السلام - بُعثوا لإخراج الناس من عبودية غير الله إلى عبادة الله وحده.

ولم يكن لهم - عليهم السلام - طمع في دنيا، أو استكثاراً في مال، فقد قال نوحٌ وهوذٌ وصالحٌ ولوطٌ وشعيبٌ - عليه السلام - لأقوامهم: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء: ١٢٧].

ونبينا - صلى الله عليه وسلم - قال: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [سبأ: ٤٧]. وهكذا بقية الرسل - عليهم السلام -، فهم أزهّد الناس، وأعلم

الناس بقدر الحياة الدنيا.

ثالثًا: لما خرج يونس -عليه السلام- أدرك قومه قرب نزول العذاب بعد ثلاث، كما وعدهم به -فهم يعلمون أن وعد الله حق، وأن عذابه إذا حل لن ينجو منه أحد- فقدف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم، فلبسوا المسوح -وهو نسيج الشعر إظهارًا للتوبة-.

وفرقوا بين كلِّ بهيمةٍ وولدها، ثم أقبلوا على الله، وتضرعوا، وتمسكوا، وبكى الرجال والنساء، وجارت الدواب، وكانت ساعة عظيمة وعصيبة، فلما علم الله حالهم، وصدّق أحوالهم، كشف الله عنهم ما كان سيحل بهم، كما قال -عز وجل-: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) [يونس: ٩٨]، وهذا من لطف الله ورأفته بهم، فهو الرحمن بعباده.

رابعًا: مما يدل على صدق نياتهم في إيمانهم بالله -عز وجل-، أنه لم يأت قوم آمنوا بأكملهم عبر دعوات الرسل -عليهم السلام- كقوم يونس -عليه السلام-، وقد جاء الحديث في الأنبياء -عليهم السلام- وأممهم، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَجَدْتُ النَّبِيَّ يَمُرُ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُ مَعَهُ الْخَمْسَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُ وَحْدَهُ" (رواه البخاري).

رابعًا: إن أقدار الله نافذة على خلقه، فيونس -عليه السلام- ومن معه لما ركب السفينة، وجرّحت بهم واضطربت، وكادوا يغرقون، تشاوروا، واقترعوا، فوقعَت القُرعة على يونس ثلاث مرات، قال -عز وجل-: (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) [الصافات: ١٤١]، فرمى يونس نفسه في عرض البحر، فأرسل الله حوتًا يشق البحار، والتقم يونس -عليه السلام-.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "فأوحى الله إليه ألا يكسر عظمًا، ولا ينهش لحمًا، فليس له برزق"، فبقي يونس -عليه السلام- في بطن الحوت لأجلٍ مقدر، ثم لفظه بعد شدة أعقبها فرجٌ ليونس -عليه السلام-.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

دعا يونس -عليه السلام- ربّه تفرّجْ همّه، وتنفيسْ كربّه، مع أن حاله عصب، وكربّه عظيم، فهو في ظلماتٍ بعضها فوق بعض، (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ) [الأنبياء: ٨٧]، وهي ظلمة البحر، وظلمة الليل،

وظلمة بطن الحوت، وكل ظلمة منها شديدة، وهو في حال كما وصفه الله (إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) [الْقَلَم: ٤٨]، أي: مملوءٌ غمًّا، إلا أن ذكر الله -عز وجل- هو المُنْجِي بإذن الله. قال -صلى الله عليه وسلم-: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)؛ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له" (رواه الترمذي).

ومعنى قوله -تعالى-: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) [الصَّافَات: ١٤٣]، أي: قبل خروجه من قومه، وقيل: وهو في بطن الحوت -وكلا المعنيين صحيح-.

وكان من لطف الله -عز وجل- بيونسَ -عليه السلام- أن نبذه الحوتُ بالعراء، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وهو شجرُ الدُّبَّاءِ، وكان -عليه السلام- ضعيفَ البدنِ كهيئة الفرج الذي ليس عليه ريش، وقيل: كهيئة الصبي حين يولد، وفي إنبات الشجر هذا حكمة، وهو أن ورقه في غاية النعومة، وكثير، وظليل، ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نَيْئًا ومطبوخًا، وبقشره، وبدوره. وليعلم المسلم أن الكربة مهما طالت فإن فرج الله قريب، وأن المؤمن يؤمن بأقدار الله خيرها وشرها، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فعليه أن يتمسك بجبل الله المتين، وبنوره المبين.

اللهم فرِّجْ هم المهمومين، ونفِّسْ كرب المكروبين.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

دروس وعبر من قصة نبي الله أيوب - عليه السلام -

الخطبة الأولى:

ذكر الله - سبحانه - في كتابه المجيد جملة من قصص الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - فقال - تعالى -
: (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) [غافر: ٧٨]، وهو - سبحانه - يذكر
القصة لأمر عدة منها: تثبيت وتسلية قلب نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - قال - سبحانه -:
(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ) [هود: ١٢٠]، والله - سبحانه - يذكر القصة بسياقات بليغة بدیعة في إطالة غير مملّة، وإيجاز
غير مخل، ولنا في قصة نبي الله أيوب - عليه السلام - وقفات:

أولها: إن الله مهما قدر للعبد من تقدير، فإن الخير كله فيه، وأنه - سبحانه - أرحم الراحمين، وهو
لطيف بعباده، ولم يُنزل البلاء ليعذب عباده، وإنما ليختبرهم فمن صبر غنم، ومن جزع خسِر.
ثانيها: إن أقدار الله نافذة على جميع البشر، على اختلاف منازلهم - من أنبياء، وصالحين، وأئمة،
ومصلحين -؛ قال - صلى الله عليه وسلم -: "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل
فالأمثل" (رواه مسلم)، وفي حديث آخر "يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد
في بلائه" (رواه البخاري).

ثالثها: إن صفوة عباد الله وهم أنبياءه ورسله - عليهم السلام - قلوبهم معلقة بالله وحده دعاءً ورجاءً
وتوكلاً وإنابةً، كما قال الله إخباراً عن أيوب - عليه السلام -: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأنبياء: ٨٣].

وقال عن زكريا - عليه السلام -: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) [مريم: ٣]، وعن يونس - عليه السلام -:
(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: ٨٧]، فلا
خاب من دعاه، ولا ندم من سأله.

رابعها: حسن الأدب مع الله في الدعاء حين دعاه بقوله: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأنبياء: ٨٣]، وكذلك قال: (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) [ص: ٤١].
وعبر بالمس أي: الشيء اليسير، ولم يقل أهلكني، أو آذاني مع أن المرض طال به، قيل ثمانية عشر
عاماً، حتى عافه الجليس ومّله الأنيس، والنصب في قوله: (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) [ص: ٤١]، أي:
تعب في بدني، و(وَعَذَابٍ) [ص: ٤١]، أي: في مالي وولدي.

خامسها: أجاب الله دعوة نبيه أيوب -عليه السلام- حين دعاه قال: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ) [الأنبياء: ٨٤]، و(ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) [ص: ٤٢].
وكذا دعوة زكريا -عليه السلام-: (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى) [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

ويونس -عليه السلام- (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

سادسها: إن دعاء المضطر يجيبه الله، كما قال: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [النمل: ٦٢]، وأيوب -عليه السلام-: أجاب الله دعاءه فعافاه من مرضه، وآتاه أهله ومثلهم معهم، والله يجيب دعوة المضطر وإن كان كافراً: (فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِّكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت: ٦٥].

نسأل الله -عز وجل- أن يكشف عن أهل البلاء بلاءهم، وأن يعظم أجرهم.
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.
الخطبة الثانية:

الله -سبحانه وتعالى- يتبلي عباده بما شاء، وكيف شاء، وقدر ما يشاء، فهذا مبتلى بماله، وهذا بولده، وهذا بأهله وعشيرته، كما حصل للأنبياء مع أقوامهم، وقد تجتمع ابتلاءات عدة كحال أيوب -عليه السلام- حيث ابتلي في عافيته، وكذلك الدنيا بزخرفها.

ومن الوقفات في حياة أيوب -عليه السلام-: أن الله أتى وامتدح أيوب -عليه السلام- بقوله: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [ص: ٤٤]، أي: رجأح منيب، قال ابن القيم -رحمه الله-: "فأطلق عليه نعم العبد بكونه وحده صابراً، وهذا يدل من لم يصبر إذا ابتلي فإنه بئس العبد".
فعاقبة الصبر عظيمة، وثوابها جزيل، فقد فرح الله ما أهمه، قال ابن كثير -رحمه الله-: "فرح الله عنه، وعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء".

وقال ابن عباس وابن مسعود وغيرهم -رضي الله عنهم-: "إن الله رد عليه أهله الذين ماتوا زمن مرضه بأعيانهم"، وقيل: إنه عوّض مثلهم في الدنيا، وقال قتادة والحسن -رحمهما الله-: "إن الله أحياهم بأعيانهم، وزادهم مثلهم معهم"، فمن صبر نال عظيم الأجر، قال -سبحانه-: (إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ

أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزُّمَرُ: ١٠].

ومنها: أن الله - سبحانه - جعل أيوب - عليه السلام - تسليّة لأهل المصائب فيما ألمّ بهم؛ حيث قال - سبحانه - فيه: (وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ) [ص: ٤٣]، وكذلك (وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) [الأنبياء: ٨٤]، ففي أيوب - عليه السلام - أسوة، حيث ابتلي بأعظم ما يتلى به الإنسان، فصبر واحتسب، حتى أتاه الفرج.

ثم اعلّموا أن المصائب مهما عظمت، والشدائد مهما صعبت، إلا أن مصيبة الدين أكبر المصائب، فاصبر وصابر؛ فإن الجزاء من الكريم وافر.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأحداث والسَّير

الهجرة النبوية

الخطبة الأولى:

لقد كانت الهجرة النبوية فتحًا ونصرًا، وعزًا للإسلام وأهله، وهي حدث أخبر بها ورقة بن نوفل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين نزل عليه الوحي أول مرة، -أي قبل هجرته بثلاثة عشر عامًا- بأنه سَيُخْرِجُ من بلده فقال له: "هذا الناموس -أي جبريل عليه السلام- الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعًا حين يخرجك قومك، قال: أو مخرجي هم؟، قال: نعم، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأودي" (متفق عليه).

وحين ظهور أمارات الهجرة -بيعة العقبة الثانية بين النبي -صلى الله عليه وسلم- والأنصار، وزيادة الابتلاء والاضطهاد، وتكذيب زعماء قريش وعامتهم للدعوة، ومخافة الصحابة على أنفسهم من الفتنة في الدين، - زادت على إثرها كثرة المهاجرين إلى المدينة، واقتربت ساعة هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- والتجهز لها أنزل الله -عز وجل-: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠]، كما نزل قوله -تعالى-: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) [الإسراء: ٨٠].

وقد روى الحاكم: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لجبريل: "من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر الصديق"، وكان أبو بكر -رضي الله عنه- قد أراد الهجرة قبل ذلك، فاستبّاه النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ أي: أمره بالبقاء والمكث-؛ ليصحبه في هجرته عندما يُؤدّن له، وظل أبو بكر -رضي الله عنه- يستعد لذلك اليوم، فاشتري راحلتين وأخذها يعلفها لمدة أربعة أشهر وحينما حانت ساعة الرحيل والهجرة أتى أبو بكر يحمل ماله.

وقد حثَّ الله على الهجرة ورغب فيها، لما فيها من تنوع المصالح، فوعد الله المهاجر ابتغاء مرضاته، (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) [النساء: ١٠٠]، فالمهاجر يجد في الأرض مكانًا ومتحولاً ينعم فيه بما يكون سببًا في قوته وذلة أعدائه، مع السعة في رزقه وعيشه الهنيء. ومما يدل على فضل ومكانة الهجرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ولولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار" (متفق عليه).

وفي الهجرة النبوية ظهرت آيات وفضائل ولطف المولى:

أولاهما: حَفِظَ اللهُ لِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مع كثرة الأعداء وقربهم منه، سواءً كان ذلك في الخروج إلى الغار، أو في المكث في الغار، أو في طريق المدينة، مع اجتماعهم على أن يضروه؛ حيث عناية الله ومعيته الخاصة لهما، كما قال - سبحانه -: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة: ٤٠].

الوقف الثانية: قيام النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بفعل الأسباب من أخذ العُدَّة، واختيار الصاحب، ومعاونة الدليل، والتمويه في الخروج خلاف اتجاه المدينة، والمكث في الغار ثلاثة أيام، والسير في طريق المدينة بشكل مُتَعَرِّج غير مستقيم مع التوكل على الله، ودعا ربه قبل الهجرة: أن يدخله مدخل صدق، وهو المدينة، وأن يخرج مخرج صدق وهو مكة، وأن يجعل له من الله سلطاناً ونصيراً.

الوقف الثالثة: شَرَفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بالصحبة في أحلك الظروف، وأقسى الأيام، فأجهد نفسه في حماية النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الطريق إلى الغار، وفي الغار، وفي المسير إلى المدينة، وعَرَّضَ نفسه للأخطار حيث عرضت قبيلة قريش جائزةً كبيرةً قدرها مائة من الإبل لمن يأتي بالرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حياً أو ميتاً، وبمائة أخرى لمن يأتي بأبي بكر حياً أو ميتاً. فقدم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - نفسه وماله وولده لله ولرسوله ولنصرة دينه، ولذا قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة" (رواه الترمذي).

وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مالٌ أبي بكر"، فبكى أبو بكر وقال: "هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله" (رواه ابن ماجه).

الوقف الرابعة: في طريق الهجرة وقوع ما أخبر به الصادق الأمين حين لحقهم سراقه بن مالك، فقال بعد أن طلب سراقه بن مالك الأمان من النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد أن كان طالباً الظفر بهما - فقال: "كيف بك إذا لبست سوارى كسرى".

وطلب سراقه من النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يكتب له كتاب أمان، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً، ثم ألقاه إليه، وأبقاه عنده إلى أن فرغ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حنينٍ والطائف، فأسلم سراقه، فأتى بالكتاب سنة ثمان للهجرة، فوفاه له النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال: "يوم وفاء وبر".

فلما انتشرت الفتوحات في عهد عمر -رضي الله عنه- وبعد معركة القادسية سنة ست عشرة من الهجرة، أتي بسوازي كسرى ومَنْطِقِيته وتاجه، فدعا عمر -رضي الله عنه- سراقَةَ بنَ مالك، فألبسه إياها، فكان هذا وعدَ صدقٍ وبشائرٍ من النبي -صلى الله عليه وسلم- بفتح المدائن العظمى في ذلك الزمن.

الوقفه الخامسة: الفَرَج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، فقد خَرَج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الهجرة مع صاحبه -رضي الله عنه- متخفين، ثم لم تمر عليه ثمان سنين إلا ويدخل مكة فاتحًا منتصرًا بجيش قوامه عشرة آلاف، ويكسر الأصنام التي حول الكعبة ويقول: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء: ٨١].

الوقفه السادسة: حِلْم النبي -صلى الله عليه وسلم- على قريش مع عدائهم الطويل له وحربهم معه، فقد عفا عمن عفا من الناس، وقال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن" (رواه مسلم).

الوقفه السابعة: محبة الأنصار للنبي -صلى الله عليه وسلم- ونصرهم وإيواؤهم له يومَ قَلِّ الناصر من أهل الأرض، حتى قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "الأنصار شعار، والناس دثار، ولو أن الناس استقبلوا واديًا أو شعبًا، واستقبلت الأنصار واديًا، لسلكت وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار" (متفق عليه).

وأثنى عليهم بقوله -عليه السلام- "لا يحب الأنصار إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" (متفق عليه)، وقد امتدحهم الله بقوله: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: ٩].
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الهجرة النبوية غيرت مجرى التاريخ -ليس الإسلامي فقط-، وإنما التاريخ الإنساني، فكان دخول النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة يومًا مشهودًا، وحدثًا عظيمًا لم تشهد مثله المدينة، وكبر المسلمون فرحًا بقدمه، وارتجت البيوت والسكك به.

قال البراء بن عازب -رضي الله عنه-: "أول من قدم علينا: مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا

يُقرئون الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب نبي الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم قدم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله -صلى الله عليه وسلم- (رواه البخاري).

قال أنس -رضي الله عنه-: "ما رأيت يوماً قطُّ كان أحسنَ ولا أضوأَ من يومٍ دخل علينا فيه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، وما رأيت يوماً كان أقبحَ ولا أظلمَ من يومٍ مات فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم-".

وانجفل الناس -أي: أقبلوا- على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما دخل المدينة قال عبد الله بن سلام -وكان خبيراً من أبحار اليهود-: فكنْتُ فيمن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أولُّ شيء سمعته يقول: "أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" (رواه ابن ماجه).

نزل النبي -صلى الله عليه وسلم- بقباء، وأقام بها، وأسس فيها مسجداً، ثم ركب إلى المدينة، وجمَعَ بأصحابه بالمسجد الذي في بطن الوادي، وكانت أولَ جمعة داخل المدينة، ثم دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، وكان لا يمر بدار من دار الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته قائلين: هلم إلى العَدَدِ والعُدَّة، والسلامِ والمنعة، فكان يقول لهم: "خلُّوا سبيلها؛ فإنها مأمورة"؛ -أي: أن الأمر لها هو الله-. فسارت به حتى وصلت موضع المسجد النبوي، فبركت، فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فبادر أبو أيوب إلى الرَّحْلِ فأدخله بيته.

وكان في قوله: "خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة"؛ لأن الأوس والخزرج بينهما حروب طويلة لم تتوقف إلا قبل مجيء النبي -صلى الله عليه وسلم- بخمس سنين، قالت عائشة -رضي الله عنه-: "كان الحيَّان مُتنافسين على الخير، وكانا متنافسين مثل ذلك على الشر في القتال".

فكانت في إجابته لهم بأنها مأمورة أي من الله وليس هو -صلى الله عليه وسلم- الأمر، فيكون ذلك مانعاً لوساوس الشيطان.

فالتفت إلى الناقة فوجدها عارية عن الرحل، فسأل عن رحله، فقالوا احتمله أبو أيوب إلى بيته، فقال: "المرء مع رَحْله"، فَشَرُفَ أبو أيوب وأهلُه بضيافة خير الوري، وأفضلٍ من وطئ الحصى، فكان يصنع للنبي -صلى الله عليه وسلم- الطعام، فإذا جاء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتبع موضع أصابعه.

كان أمام منزله ساحةً ونخلٌ وماء، فقال لمن هذا النخل؟ فثامنهم عليه بعشرين دينارًا دفعها أبو بكر - رضي الله عنه-، وشرع النبي -صلى الله عليه وسلم- حالاً في قطع النخيل، وتسوية الأرض، ونبش قبور المشركين، وإقامة المسجد.

شُرُفت المدينة بهجرته إليها وصحابته، فصارت حصناً منيعاً للمسلمين، ودار هدى للعالمين. في هجرة الصحابة -رضي الله عنهم- للحبشة ثم المدينة وهجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة دروسٌ عديدة، وفوائد كثيرة، فهي عبادة مخفوفة بالأخطار، فيقدم على أرض ليست بأرضه، وأهل ليسوا بأهله، فلا أهل ولا مال ولا ولد، ولذا قدّم الله المهاجرين على الأنصار في آيات القرآن الكريم (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) [التَّوْبَةُ: ١١٧]، (وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) [التَّوْبَةُ: ١٠٠].

وحدّث الهجرة أقام كيان الإسلام، وتهاوت معاقل الخصوم، ودخل النبي -صلى الله عليه وسلم- في العام الثامن من الهجرة فاتحاً مكة، ولم يمّت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أصبحت الجزيرة العربية تحت إمرته، وبعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأربع سنين وعدة أشهر سقطت مملكة فارس، وهكذا توالى الفتوحات.

ولذا عرف المسلمون أهمية حدث الهجرة، فأرّخوا التاريخ به لعظم شأنه. جزى الله نبينا خير ما جزى به نبياً عن أمته، ورضى الله عن صحابته الكرام -مهاجرينهم وأنصارهم-، وجمعنا بهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الجنات. وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل الصحابة - رضي الله عنهم -

الخطبة الأولى:

اصطفى الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - على العالمين، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" (رواه مسلم).

والصحابه - رضي الله عنهم - نالوا شرف الصحبة، وعاصروا تنزل الوحي، فلهم - رضي الله عنهم - سابقُ إيمانٍ وتصديقٍ، ونصرةٍ وبذلٍ وتضحيةٍ، وتعلمٍ وتعليمٍ، ودعوةٍ وجهادٍ.

وقد جاءت آيات كثيرة في فضل الصحابة - رضي الله عنهم -، قال - جل وعلا -: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) [الْفَتْح: ١٨]. وفي فضلهم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (رواه البخاري).

ولفضلهم وعلو شأنهم - رضي الله عنهم - لا تجد كتاباً من كتب السنة إلا وفيه ذكر فضائلهم، ومنهم من أفرده في مصنف كالإمام أحمد وسماه: "فضائل الصحابة".

قال ابن تيمية - رحمه الله -: "فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام، والقرآن والعلم، والمعارف والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة - رضي الله عنهم - عليه فضل إلى يوم القيامة".

أثنى الله - تبارك وتعالى - على الصحابة عامة، وعلى السابقين من المهاجرين والأنصار خاصة يقول - سبحانه -: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ - رضي الله عنهم - وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠].

وفاضل الله بين الصحابة بقوله: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) [الحديد: ١٠]، وهذه الآية دليل على أن الصحابة كلهم في الجنة فالحسنى في قوله: (وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) [الحديد: ١٠]، هي: الجنة.

والصحابه - رضي الله عنهم - عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع للصحابة: "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب".

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: "الصحابة -رضي الله عنهم- قد كفيينا البحث عن أحوالهم، لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول".

وأصحابه -رضي الله عنهم- خير أصحاب الأنبياء -عليهم السلام- وخير هذه الأمة، وأفضلهم: صاحبُه الأخصُّ، وأخوه في الإسلام، ورفيقُه في الهجرة والغار، أبو بكر الصديق، وزيره في حياته، وخليفته بعد وفاته، ثم عمرُ الفاروق، ثم عثمانُ ذو النورين، ثم عليُّ -رضي الله عنهم-.

وأفضل الصحابة -رضي الله عنهم- المهاجرون، حيث لاقوا صنوفًا من التعذيب في مكة على يدي كفار قريش، فأنزل الله ما يدعوهم إلى الهجرة فقال -سبحانه-: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الرُّم: ١٠].

وأوصاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة إلى أرض الحبشة فقال: "إن بأرض الحبشة ملكًا لا يُظلم أحدٌ عنده فالحقوا ببلادها، حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه" (رواه البيهقي).

هاجر الصحابة -رضي الله عنهم- هجرتين إلى الحبشة رجالاً ونساء، قطعوا المفاوز، وعبروا البحر، وبعد بيعة العقبة الثانية من العام الثالث عشر من البعثة -والتي بايع فيه الأوسُ والخزرجُ رسولَ الله على الحماية والنصرة له- كانت سببًا في هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة إلى المدينة.

فبدأت الهجرة إلى المدينة، وأول من هاجر مصعبُ بنُ عمير وعبدُالله بنُ أمِّ مكتوم -وهو كفيف البصر-، ولما أراد صهيبُ الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثير مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ربح صهيب" قيل: إن هذه الآية نزلت فيه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) [البقرة: ٢٠٧].

وكانت هجرة الصحابة -رضي الله عنهم- إلى المدينة زرافاتٍ ووحدانًا، وكان منهم الخلفاء الراشدون، والعشرة المبشرون بالجنة.

وصف الله المهاجرين بقوله -تعالى-: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) [الحشر: ٨]، وقصدتهم وغايتهم (وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [الحشر: ٨].

٨]، وَرَزَّاهُمْ اللَّهُ بِأَتْهَم (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحجرات: ١٥].

فالمهاجر يعلم أن عليه تبعه الجهاد والنصرة، فلا يهاجر إلا وهو صادق الإيمان متحمل المصاعب والمتاعب والأخطار، لذا قدّم الله المهاجرين على الأنصار، قال -تعالى-: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارُ) [التوبة: ١٠٠].

وكقوله -تعالى-: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: ١١٧]، وقال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [التوبة: ٢٠].

المهاجرون غرباء في أرض الله، لا دار، ولا أهل، ولا ولد، ولا مال، تركوا أرضاً بها خير ماء على وجه الأرض -ماء زمزم-، وقدموا المدينة فاستنكروا فيها الماء فاشتري عثمان -رضي الله عنه- عَيْنَ رُؤْمَةٍ. وَعَدَّ اللَّهُ مَنْ هَاجَرَ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَالَ: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) [النساء: ١٠٠]، والمرام: النصر والتأييد، والسعة: الرزق الحسن، وبالهجرة زال عنهم ما يؤذيهم، وأغناهم الله من بعد عيلة، فأغنياء الصحابة هم من المهاجرين -كأبي بكر، وعثمان، وابن عوف- رضي الله عنهم-.

وَعَدَّهُمُ اللَّهُ بِوَعْدِ حَسَنِ فَقَالَ -سبحانه-: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) [الحج: ٥٨-٥٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "فمن خرج مهاجرًا في سبيل الله، ابتغاء مرضاته، وطلبًا لما عنده، وترك الأوطان والأهلين والحلآن، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرةً لدين الله، ثم قتلوا، أي: في الجهاد، أو ماتوا -أي: حتف أنفسهم، أي: من غير قتال على فرسهم-، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل. كما قال -تعالى-: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [النساء: ١٠٠]".

قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ) [الحج: ٥٩]: "إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصًا فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به: رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزق، رزق

الدنيا، ورزق الآخرة".

الخطبة الثانية:

الصحابة -رضي الله عنهم- قسمان: مهاجرون وأنصار، فالأنصار نالوا شرفَ حماية الدعوة الإسلامية، واحتضانها على أرض المدينة، وقد سعت الأنصار إلى بيعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعاهدوه على نصره دينه، وحماية المهاجرين، فاشترتوا بذلك الآخرة، وكما وفوا بما التزموا فقد وفى الله لهم بقوله: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠].

وقد وصّى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأنصار في مرضه فقال: "أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشى وعيبي -أي: جماعتي، وخاصتي- وقد قضاوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم" (متفق عليه).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امراً من الأنصار" (رواه البخاري).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- للأنصار أنتم أحب الناس إلي، فعن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: "رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- النساء والصبيان مقبلين، قال: حسبت أنه قال من عرس. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم أنتم من أحب الناس إليّ" (متفق عليه) وعند البخاري: قالها ثلاث مرار.

وقال: "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" (رواه البخاري). وقال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار" (رواه البخاري).

وكرم وإيثار الأنصار -رضي الله عنهم- ظاهرٌ في الرجل الذي سأل النبي -صلى الله عليه وسلم-، فبعث إلى نسائه فقلن ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من يضم، أو يضيف هذا؟".

فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك

إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلوا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فقال: "ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: ٩] (رواه البخاري).

ثم اعلما أن معتقد أهل السنة من الصحابة سلامة قلوبهم وألسنتهم، فلا يُضْمَرُونَ في قلوبهم غلاماً ولا حقدًا، وألسنتهم سليمة من السب واللعن، بل قلوبهم مملوءة بحب الصحابة، وألسنتهم تذكر فضائلهم.

قال ابن قدامة -رحمه الله-: "ومن السنة توبي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم"، وخرج النبي - صلى الله عليه وسلم- في غداة باردة، والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق، فقال: "اللهم إن الخير خير الآخرة؛ فاغفر للأنصار والمهاجرة"، فأجابوا: "نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبداً" (رواه البخاري).

رضي الله عن الصحابة أجمعين.

سيرة خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

الخطبة الأولى:

في حياة العظماء دروس لا تُنسى، وعبرٌ لا تُمحي، ويعلو شأنها إذا كان ذلك الرجل عاش التنزيل، وصاحب رسول رب العالمين -صلى الله عليه وسلم-، أعماله كثيرةٌ عجيبة، ذكرها الله في كتابه، وأخبر بها رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتناقلها الصحابة -رضي الله عنهم-.

هذا الرجل المقدم هو: عبد الله بن عثمان -رضي الله عنه-، أفضل الصحابة -رضي الله عنهم-، وأول الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون، اشتهر بكنيته ولقبه: أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-.

لا تملُّ النفوس من ذكر أيام حياته، وتختار العقول من أيّ فصل من أيام حياته العجيبة تبدأ، فهو البحر الزاخر بالحبّة والوفاء، والبطولة والإباء.

فأما إسلامه: فهو أول من أسلم من الرجال، دون تردد ولا تلوّك، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله" (رواه البخاري). وهو أحب الناس إلى قلب النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال عمرو بن العاص -رضي الله عنه-: "سألت النبي -صلى الله عليه وسلم-، أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة"، قلت: من الرجال؟ قال: "أبوها"، قلت: ثم من؟ قال: "عمر"، فعد رجالاً" (متفق عليه).

وأما حياته قبل الهجرة: فقد أنزل الله فيه (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) - وهو محمد - (وَصَدَّقَ بِهِ) وهو أبو بكر - (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [الرُّم: ٣٣].

أما بذكر هجرته، فهو صاحب النبي -صلى الله عليه وسلم- في هجرته ومكثه في الغار، أما بعد الهجرة فالرسول -صلى الله عليه وسلم- دائماً يقول: "دخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر".

أما بما بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فقال -رضي الله عنه-: "والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم عليه" (متفق عليه).

أما بعد وفاته -رضي الله عنه- فقبوره بجانب سيد ولد آدم -صلى الله عليه وسلم-. صاحب الأخلاق الرفيعة مع ربه، وخلقه، فأما مع ربه فقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "لا يُعرف أن

الله عاتب أبا بكر في القرآن، بل ولا أنه ساء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".
وأما مع خلقه، فكفار قريش ذكروا مناقبه بأنه يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى
الضيف، ويعين على نوائب الحق، محبٌ للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولقربته قال -رضي الله عنه-:
"والله لقربة رسول الله أحب إليّ أن أصل من قرابتي" (رواه البخاري).

وأما لقبه: "الصديق" -الذي هو أبلغ من الصادق- فقد وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك،
وذلك حين فرح المشركون بحادثة الإسراء والمعراج، زعمًا منهم أنها مستحيلة؛ فقال -رضي الله عنه-
لهم: "إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، وهو خبر السماء" (رواه الحاكم).
ولهذا قيل: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح، قال أبو بكر بن عيش -رضي الله عنهما-:
"ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه".

وهو -رضي الله عنه- من كُتِّب الوحي، واجتمعت فيه خصال عديدة كما في سؤال النبي -صلى الله
عليه وسلم-: "من أصبح منكم اليوم صائمًا؟" قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا، قال: "فمن تبع
منكم اليوم جنازة؟"، قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا"،
قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟" قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا، فقال
رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة" (رواه مسلم).

وهو خطيب فصيح، يخطب في حضور النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي غيبته، فكان النبي -صلى
الله عليه وسلم- إذا خرج في الموسم يدعو الناس إلى متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونبي الله
ساکت يُقرُّه على ما يقول، وكان كلامه تمهيدًا وتوطئةً لما يُبلِّغه الرسول -صلى الله عليه وسلم- معونةً
له، لا تقدّمًا بين يدي الله ورسوله، وخطبته المشهورة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله:
"من كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت" (رواه
البخاري).

وهو أول من دعا إلى الله، وبذل المال لنصرة الدين، فإن كل آية نزلت في مدح المنفقين في سبيل الله
فهو أول المرادين، فإنه من حين آمن بالرسالة وهو ينفق ماله، ويجاهد بنفسه، فصحبته مع الرسول -
صلى الله عليه وسلم- لم تكن صحبته فقط، وإن كانت كافية في إبداء الرأي والمشورة، وإنما كانت
أيضًا بالمال، بل بالمال كله.

ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ" (متفق)

عليه)، بل قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله به يوم القيامة، وما نفعتي مألٌ أحد قط ما نفعتي مألٌ أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله" (رواه الترمذي).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعطيه شيئاً من الدنيا يخصه به، بل كان في المغازي كواحد من المسلمين، بل يأخذ من ماله ما ينفقه على المسلمين وقد استعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- وما عُرف أنه أعطاه عمالة، وقد أعطى عمر عمالة، وأعطى علياً من الفيء".

وزاده شرفاً وأبماً شرف حين بشره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، قال سعيد بن زيد -رضي الله عنه-: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، ولو شئت لسميت التاسع" (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه).

ويُدعى من أبواب الجنة كلها حين قال: "فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: "نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر" (رواه البخاري).

أبوبكر -رضي الله عنه- هو أتقى الأمة، قال ابن كثير -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى) [الليل: ١٧]، "ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك.

ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها العموم، وهو قوله -تعالى-: (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) [الليل: ١٧-١٨]، ولكنه مُقَدَّم الأمة وسابقتهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً، تقياً، كريماً، جواداً، بذلاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم". وكان حريصاً على أكل الحلال، أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان لأبي بكر غلامٌ يُخرج له الخراج، وكان أبوبكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبوبكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعتك، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبوبكر يده فقاء كل شيء في بطنه".

وصدق الله حين قال في وصف صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [الأحزاب: ٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

من صفات أبي بكر - رضي الله عنه - أنه رجل موقِّعٌ مُلهم، يعرف مقصد كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم -، قال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه -: "كان أبو بكر أعلمنا بالنبي - صلى الله عليه وسلم -".

قال ابن تيمية - رحمه الله -: "لم يبلغ علم أحدٍ وكَماله علم أبي بكر وكَماله؛ فصاروا يتنازعون في بعض المسائل كتنازعهم في الجدِّ والإخوة، وفي الحرام، وفي الطلاق الثلاث، وفي غير ذلك من المسائل المعروفة مما لم يكونوا يتنازعون فيه على عهد أبي بكر، وكانوا يخالفون عمر، وعثمان، وعليًّا في كثير من أقوالهم، ولم يُعرف أنهم خالفوا أبا بكر في شيء مما كان يفتي فيه ويقضى، وهذا يدل على غاية العلم".

وقال أيضًا - رحمه الله -: "وفي الجملة، لا يُعرف لأبي بكر الصديق مسألةٌ في الشريعة غَلَطَ فيها، بل كان ذا رأيٍ سديد، لم تختلف الأمة في ولايته في مسألةٍ إلا فصلها بعلم بيَّنه لهم، وحجَّةٍ يذكرها لهم، بيَّن لهم موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وثبَّتهم على الإيمان، وبيَّن لهم موضعَ دفنه، وبيَّن لهم ميراثه، وبيَّن لهم حكمَ مانعي الزكاة، وغيرها كثير".

وهذه لا تكون إلا قوَّةً في الرأي من صاحبها، وشجاعةً في قلبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في وصفه: "أبو بكر أشجعُ الناس، ولم يكن بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشجع منه، وهو أشجع من عمر، وعمرُ أشجع من عثمان وعليٍّ وطلحة والزبير، وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم، فإن أبا بكر باشر الأهوال التي كان يباشرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أول الإسلام إلى آخره".

بل بعد وفاته نزلت على المسلمين فواجع، ولولا الله ثم ثبات قلبه لاختلف المسلمون.

مدة خلافته ثمانية وعشرون شهرًا، بارك الله في عمله وعمره، فثبَّت المسلمين وقوَّاهم، قال أنس - رضي الله عنه -: "خطبنا أبو بكر - رضي الله عنه - وكنا كالثعالب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود".

وقاتل المرتدين، وقاتل مانعي الزكاة، وراسل أهل الردة، وأنفَذ جيشَ أسامة، حيث رأى غيرُ واحد أن

يرد الجيش خوفاً عليهم، فامتنع وأمر بإنفاذه؛ روى أن عمر -رضي الله عنه- قال: "يا خليفة رسول الله تألف الناس، فأخذ بلحيته وقال: يا ابن الخطاب: أجبّار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟! على ما أتألفهم! على حديث مفترى، أم على شعر مفتعل؟!".

وشرع في قتال أهل الكتاب، وأمر بجمع القرآن، وذلك بعد قتل القرّاء يوم اليمامة، ومن أعماله: استخلافه الفاروق -رضي الله عنه- بعده.

هذه مجمل أعماله في سنتين وأربعة أشهر، وكل عمل منها يحتاج إلى مثل مدة خلافته.

وأما تركه هذا الرجل الثري عند وفاته: فقد أمر ابنته عائشة -رضي الله عنها- أن تترّد إلى بيت المال ما دخل في ماله، فلم يجدوا إلا قطعة بخمسة دراهم، وعبداً، ومرضعاً، وناضحاً، ولما علم عمر -رضي الله عنه- بذلك قال: "يرحمك الله يا أبا بكر، لقد أتعبت الأمراء بعدك".

رضي الله عن أبي بكر وعن بقية الصحابة، فقد -رضي الله عنهم- في كتابه: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠].

وأوصى بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" (متفق عليه).

فالواجب علينا محبتهم، والترضي عنهم، والذب عنهم، ومعرفة أخبارهم وأحوالهم، فإن كل مؤمن للصحابة عليه فضل، بلّغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

فتشبهوا بالكرام إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاح

اللهم ارض عن أبي بكر الصديق، وعن بقية صحابة نبيك -صلى الله عليه وسلم-، واحشرنا معهم مع رسولنا -صلى الله عليه وسلم- في الجنة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

الخطبة الأولى:

يَسِّرَ اللهُ لِهَذَا الدِّينِ رِجَالًا يَعْمَلُونَ لَهُ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْفَظُونَ أَمْرَهُ، أَعَزَّ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ، وَأَعَزَّ الدِّينَ بِهِمْ، صَاحِبَ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، شَهِدَ الْمَشَاهِدَ، وَحَضَرَ الْغَزَوَاتَ، وَشَهِدَ لَهُ الرَّسُولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْجَنَّةِ. إِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

لما أسلم عمر قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمرته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلي".

فيه قوةٌ وصدقٌ بالحق، يظهر ذلك عندما أسلم، فقد ذهب لكبير قريش أبي جهل فطرق بابه فقال أبو جهل: "مرحبًا بابن أخي، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أني قد أسلمت وآمنت بمحمد وصدقته ما جاء به".

وكان من قوته -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "والذي نفسي بيده! ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا، إلا سلك فجًّا غير فجك" (متفق عليه).

له فضل ومكانة، لذا يوّب أصحابُ الحديث في مصنفاتهم باب مناقب عمر، كما في البخاري ومسلم والترمذي، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في فضله: "لو كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب" (رواه الترمذي).

امتاز -رضي الله عنه- بأنه ذو عقل وفقه وفهم قال: "وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر" (متفق عليه).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "رأيت كأني أتيت بقدرح من لبن فشربت منه، فأعطيت فضلي عمر بن الخطاب"، قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: "العلم" (رواه الترمذي).

كان ملازمَ الصحبةِ لرسول الله في حله وترحاله، كما في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر" (متفق عليه).

كان يحب النبي -صلى الله عليه وسلم- محبة كبيرة، قال عبد الله بن هشام -رضي الله عنه-: "كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا والذي نفسي بيده!

حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك"، فقال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبي: "الآن يا عمر" (رواه البخاري).

مُحِبُّ للعلم والتزود منه، حتى مع مَنْ هو أقلُّ منه علمًا، فكان إذا دخل عليه أبو موسى يقول له: "ذَكَرْنَا رَبَّنَا، فَيَقْرَأُ أَبُو مُوسَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَرَبَّمَا بَكَى عَمْرٌ، وَعِنْدَمَا قَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ يَوْمًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) [الطُّور: ٧]، بَكَى، وَاشْتَدَّ بِكَأَوْهٍ حَتَّى مَرَضَ وَعَادُوهُ".

وكان -رضي الله عنه- حريصًا على اغتنام الخيرات، كما في خبر النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مُراد، ثم من قَرْن، كان به برص فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دَرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هِيَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَيَّ اللهُ لِأَبْرِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ" (رواه مسلم).

فكان عمر -رضي الله عنه- إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُراد ثم من قَرْن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دَرْهَمٍ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: - وذكر الحديث - فاستغفر لي، فاستغفر له.

وقد ذكر -رضي الله عنه- أسباب محبته في البقاء في هذه الحياة بقوله: "لولا ثلاثة في الدنيا ما أحببت البقاء: لولا أن أضع جبهتي لله كل يوم خمس مرات، أو أن أجلس مع قوم ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر، أو أن أعزو في سبيل الله -عز وجل-".

صاحبُ بذل وإنفاق، قال -رضي الله عنه-: "أمرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فحئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله" (رواه أبو داود والترمذي).

محبُّ الصحابة له ظاهرة قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: "كنا نختار بين الناس في زمن النبي، فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان -رضي الله عنهم-" (رواه البخاري).

وفي حديث أنس: "أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الساعة، فقال متى الساعة؟ قال "وما أعددت لها؟" قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: "أنت مع من أحببت"، قال أنس: فما فرحنا بشي فرحنا بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أنت مع من أحببت"، قال أنس: فأنا أحب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم

بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم" (رواه البخاري).

مُحِبٌّ لرعيته، قاضٍ لحاجاتهم، خرج يوماً ومعه الناس، فمر بعجوز فاستوقفته، فوقف لها، فجعل يُحدثها وتحدثه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين! حَبَسْتَ الناس على هذه العجوز، قال: وَيْحَكَ تدري من هذه؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات.

وكان -رضي الله عنه- آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، دالاً الناس على فعل الخير، قال ابن القيم -رحمه الله-: "تزلزلت الأرض بالناس زمن عمر، فقال: يا أيها الناس! ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده! لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً".

فتح الله على يديه عامّة الشام ومصر والعراق، وبعض خرسان، وقدم إلى الشام وسلّم إليه النصراني بيت المقدس، ودخله، وظهر تصديق خير النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرُ بعده، والذي نفسي بيده! لتنفقن كنوزهما في سبيل الله -عز وجل- (متفق عليه).

وضع -رضي الله عنه- ديوانَ العطاء، وكتب الناس على قدر أنسابهم، فبدأ بأقربهم نسباً إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "حين وضع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الديوان، قالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه فقال: لا، ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ بأهل بيت رسول الله، ثم من يليهم، حتى جاءت نوبته في بني عدي، وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش". وكان حريصاً على مصالح المسلمين فيكتب إلى عماله: "إنَّ أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مُجْمَلاً حياة الفاروق: "إن عمر كان أعظم فتوحاً وجهاداً بالمؤمنين، وأقدر على قمع الكفار والمنافقين من غيره -مثل عثمان وعلي رضي الله عنهما- فتح الأمصار، وقهر الرجال، وأعزَّ أهل الإيمان، وأذلَّ أهل النفاق والعدوان، ونشر الإسلام والدين، وبسط العدل في العالمين، وضع ديوان الخراج والعطاء لأهل الدين، ومصرَّ الأمصار للمسلمين، وخرج منها أزهد مما دخل فيها، لم يتلوث بمال، ولا ولَّى أحداً من أقاربه ولاية، فهذا أمر يعرفه كل أحد".

حشرنا الله في زمرة الأخيار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

حياة أمير المؤمنين -رضي الله عنه- مليئة بالفضائل وحفظ الدين والسنة وكلمة المسلمين، فقد جمع الناس في التراويح على إمام واحد، وأمر بقطع شجرة بيعة الرضوان، لخوفه على الناس من الفتنة، ولذا صدق قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في دين الله عمر" (رواه الترمذي).

وفي سيرته إجلال لخليفة رسول الله أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- كما في قصة ضبّة بن محصن قال: "قدمت إلى عمر بن الخطاب فأدخلني منزله وقدم إليّ طعامًا فأكلت، ثم ذكرت له أبا بكر الصديق فبكى، فقلت له: أنت خير من أبي بكر، فزاد بكاءً لذلك، ثم قال وهو يبكي: والله لليلة من أبي بكر ويوم، خير من عمر وآل عمر".

ومع كل هذه الأعمال الجليلة خلال أيام حياته منذ إسلامه وتولية الولاية إلا أنه يحتقر نفسه أمامها، بل يدعو الله أن يجعل عمله صالحًا، فقد ورد من دعائه -رضي الله عنه-: "اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيء".

ومع كل ما ذكر إلا أنه خاف على نفسه النفاق، فقال لحذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- صاحب سرّ رسول الله: "يا حذيفة! أنشدك الله، هل سماني رسول الله؟ -يعني في المنافقين- فيقول: لا، ولا أركي بعدك أحدًا".

من آثاره المشهورة قوله -رضي الله عنه-: "إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا أُلهِمْتُ الدعاء فإن الإجابة معه".

وبعد خلافة راشدة دامت أكثر من عشر سنين كان يدعو: "اللهم ارزقني قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك، قالت ابنته حفصة -رضي الله عنها- وأنتي ذلك؟ قال: إن الله يأتي بأمره إن شاء".

وحج في العام الذي قُتل فيه، وسأل الله حسن الختام فقال: "اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط".

قال ابن المسيب -رحمه الله- "فما انسلخ ذو الحجة إلا طعن"، وخطب مرة فقال: "رأيت ديكاً تقربني ثلاث نقرات، ولا أراه إلا حضور أجلي فما مر إلا تلك الجمعة حتى طعن" (رواه مسلم).

وفي الصلاة التي طعن فيها -وطعن معه ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة - صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- صلاةً خفيفة، وقال عمر لابن عباس: "انظر من قتلتني، فجال ساعة، ثم جاء، فقال: غلام المغيرة، قال الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي

لم يجعل ميتي بيد رجل يدعي الإسلام".

وبعد أن احتمل وتيقن قرب استشهاده، جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صُحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقَدِم في الإسلام، ثم وَلَّيْتَ فَعَدَلْتَ، ثم شَهَادَةَ قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كِفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال: ردوا عليَّ الغلام، قال له يا ابن أخي! ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك.

وأمر ابنه عبد الله أن ينطلق إلى عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسَلَّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه.

فقلت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال الحمد لله، ما كان من شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت، فاحملوني، ثم سلَّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. - والقصة بتمامها في البخاري -.

حزن الصحابة -رضي الله عنهم- لوفاته حزنًا شديدًا، وقالوا: لوددنا أن الله زاد في عمرك من أعمارنا. فَعَمَّرَ -رضي الله عنه- حصن الإسلام، وباب الفتنة انكسر بمقتله.

قال حذيفة -رضي الله عنه-: "بيننا نحن جلوس عند عمر، إذ قال أيكم يحفظ قول النبي في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ليس عن هذا أسالك، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: بل يكسر، قال عمر: إذا لا يغلق أبدًا، قلت: أجل، قلنا لحذيفة أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أيُّ حديثه حديثًا ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله من الباب، فأمرنا مسرورًا فسأله، فقال من الباب؟ قال: عمر" (رواه البخاري).

وبمقتله -رضي الله عنه- انجرفت الأمة في فتن، كان منها مقتل ما بعده من الخلفاء الراشدين -عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة -رضي الله عنهم-.

هذه ومضة يسيرة من حياة الرجل الثاني في هذه الأمة، أعز الله به الإسلام، وأهله وأذل به الكفر وأهله.

وفقنا الله لاقتفاء أثر نبينا -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سيرة عثمان - رضي الله عنه -

الخطبة الأولى:

إن أجمل سيرة بعد سير الأنبياء - عليهم السلام - سير الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - فإن لهم فضلاً كبيراً، ومقاماً جليلاً، فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة - رضي الله عنهم - الذين بلَّغوا الدين، وجاهدوا لإعلاء كلمة الدين.

وهذا صحابي جليل، أحد السابقين الأولين، ومن العشرة المبشرين، صاحب المهجرتين، وزوج ابنتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، إنه أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، صاحب سخاء وحياء، وعبادة وزهد.

قال عثمان - رضي الله عنه -: "اختبأت عند ربي عشرًا، إني لرابع أربعة في الإسلام، وما تعنيت ولا تمنيت - أي كذبت -، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا مرّت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن لا يكون عندي فأعتقها بعد ذلك، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، وجهزت جيش العسرة، وأنكحني النبي - صلى الله عليه وسلم - ابنته ثم ماتت، فأنكحني الأخرى، وما سرقت في جاهلية ولا إسلام".

من بذله وجوده أنه قام - رضي الله عنه - بتجهيز جيش العسرة، وكان الناس حينها مُجْهَدِينَ مُعْسِرِينَ، فأتى بألف دينار في ثوبه حين جهز جيش العسرة ووضعها في حجر النبي - صلى الله عليه وسلم -، فجعل يقبلها بيده ويقول: "ما ضرَّ عثمانُ ما عمل بعد اليوم" (رواه أحمد).

وفي مسند أبي يعلى: "أنه جهز الجيش بسبعمئة أوقية من الذهب، وكان - رضي الله عنه - لا يتوانى عن المسابقة إلى الخيرات بما تجود به نفسه، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عينٌ يقال لها رُومة، وكان يبيع منها القرية بمُدٍّ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: تبيعها بعين في الجنة، فقال يا رسول الله: ليس لي عينٌ غيرها، لا أستطيع ذلك.

فبلغ ذلك عثمان - رضي الله عنه - فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أبتعلُّ لي مثل الذي جعلت له عينًا في الجنة إن اشتريتها؟ قال: نعم، قال قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين" (رواه الطبراني).

قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: "اشترى عثمان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجنة مرتين: يوم رومة، ويوم جيش العسرة".

أما حياؤه -رضي الله عنه- فاشتهر به، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيته كاشفًا عن ساقه، فاستأذن أبو بكر، ثم عمر، وهو على تلك الحالة، فتحدثا، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسوى ثيابه، فدخل، فتحدث.

فلما خرج قالت عائشة -رضي الله عنها-: "دخل أبو بكر فلم تجلس، ثم دخل عمر فلم تمش له، ثم دخل عثمان فجلست، وسويت ثيابك، قال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة" (رواه مسلم).

وقال أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان" (رواه الترمذي)، وكان -رضي الله عنه- من صدق حياؤه أنه لا يغتسل قائمًا.

وأعظم عمل قام به -رضي الله عنه- في ولايته التي استمرت اثني عشرة سنة، أن جمّع الناس على مصحف واحد، حتى لا تختلف الأمة اختلاف اليهود والنصارى.

وكان من عبادته أنه كان يختم في كل يوم وليلة القرآن الكريم، وصحّ من وجوه أنه -رضي الله عنه- قرأ القرآن كله في ركعة، فجمع -رضي الله عنه- بين أداء العبادة، والنفقة في سبيل الله. -رضي الله عنه-، وعن صحابته نبيه -صلى الله عليه وسلم- بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

لعثمان -رضي الله عنه- فضلٌ في الصحبة والقراية من آل بيت النبوة، فكان مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في طرقاته وخلواته، صعد جبل أحدٍ مرّةً، فاهترّ الجبل، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اثبت أحدٌ، فإنما عليك نبي، وصدّيق، وشهيدان" (رواه البخاري).

ومرّةً بشرّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر وعمر بالجنة، وبشرّ عثمان -رضي الله عنه- بالجنة مع بلوى تصيبه، فلما اشتد عليه الخارجون بدعاوى أقرؤا ببطلانها -منها أنه حمى الحمى- قال: "إني والله ما حميت إلا ما حمى قبلي، وإني وليت وإني لأكثر العرب بعيرًا وشاء، فمالي اليوم غير بعيرين لحجتي، أكذلك؟ قالوا: نعم".

فلما اقتربت ساعة المنيّة أعتق -رضي الله عنه- عشرين مملوكًا، ثم دعا بسرّاويل، فشدها عليه حتى لا تبدو عورته إذا قُتل -ولم يلبسها في جاهلية، ولا في إسلام-، وقال: إني رأيت رسول الله -صلى الله

عليه وسلم- البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقال: "اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم نشر المصحف، فقتل بين يديه" (رواه أحمد).

وكان من دعاء عثمان -رضي الله عنه- على قتلته: "اللهم فشتت أمرهم، وخالف بين كلمتهم، وانتقم لي منهم، واطلبهم لي طلبًا حثيثًا"، وقد استجيب دعاؤه في كل ذلك، قال ابن كثير -رحمه الله-: "لما بلغ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان مستجاب الدعوة- مقتل عثمان -رضي الله عنه- دعا عليهم".

وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولاً؛ أما الركب الذين ساروا إلى عثمان -رضي الله عنه- بقصد عزله، أو المشاركة في تأليب الناس عليه، فقال يزيد بن أبي حبيب: بلغني أن الركب الذين ساروا إلى عثمان -رضي الله عنه عامتهم جُنُودًا -أي أصابهم الجنون-".

فنسأل الله السلامة والعافية.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

سيرة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

الخطبة الأولى:

في الأمة رجال عاشوا حياتهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فنالوا قصب السبق في الدخول للإسلام، والنهل من منهل منة نعمة أظفارهم، فشهدوا المشاهد، وحضروا المواقف، وأدركوا الوقائع. ومنهم أبو الحسن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وزوج ابنته فاطمة -رضي الله عنها-، أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، قال الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: "إن علي بن أبي طالب حين دعاه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الإسلام كان ابن تسع سنين"، ويقال: دون تسع سنين، ولم يعبد الأوثان قط. وولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فتربى في حجر النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يفارقه، صلى القبلتين، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله إلا تبوك، وفيه قال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" (رواه البخاري)، لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلفه على أهله.

وله في المشاهد بلاء عظيم وأثر حسن، وأعطاه رسول الله اللواء في مواطن كثيرة بيده، وفي أحد بارز طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين، فالتقى بين الصفين، فبدره علي -رضي الله عنه- فضربه على رأسه حتى فلق هامته فوق، ولما قُتل مصعب بن عمير يوم أحد، وكان اللواء بيده دفعه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى علي، وكان علي ممن ثبت مع رسول الله يوم أحد حين انهزم الناس، وبايعه على الموت.

ومن أشهر ما تواترت به النصوص من خصائص علي -رضي الله عنه- قوله -صلى الله عليه وسلم- يوم خيبر: "لأدفعن الراية غدًا إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه"، فلما أصبح رسول الله غدوا كلهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله: "أين علي بن أبي طالب؟" فقالوا: هو يشتكي عينيه، فأتى به فبصق في عينيه، فدعا له فبرأ، فأعطاه الراية (متفق عليه)، وعند مسلم قال عمر: "ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم".

وقد وكله النبي -صلى الله عليه وسلم- بقراءة سورة براءة على الناس في الحج، فعندما كان أبو بكر بالعرج، لحقه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، على ناقه رسول الله القصواء، فقال له أبو بكر: أستعملك رسول الله على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس، وأنبذ إلى كل ذي عهد

عهده.

فمضى أبو بكر فحج بالناس، وقرأ عليُّ بن أبي طالب براءةَ عليّ الناس يومَ النحر عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: "لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان"، ثم رجعا قافلين إلى المدينة.

وهو -رضي الله عنه- ذو بذل وإنفاق، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله -تعالى-: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) [البقرة: ٢٧٤]، قال: "نزلت في علي بن أبي طالب -صلى الله عليه وسلم- كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحداً، وبالنهـار واحداً، وفي السر واحداً، وفي العلانية واحداً".

لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، قال عليُّ -رضي الله عنه-: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهدُ النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمي إلي: "أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق" (رواه مسلم).

كما أن له مكانةً في قلوب الصحابة -رضي الله عنهم-، فقد كان أحدَ الشورى الذين نص عليهم عمر -رضي الله عنه- كما في قوله: "لا أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر الذين توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو عنهم راض، فسمى عليًّا وعثمان والزيبر وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن" (رواه البخاري).

وقال يحيى بن معين: "خير هذه الأمة بعد نبينا: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي، هذا مذهبننا وقول أئمتنا".

وبرع -رضي الله عنه- بالعلم، فلم يزل بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- متصدياً لنصر العلم والفتيا، وقد ورد عن سعيد بن المسيب: "أن عمر -رضي الله عنه- كان يتعوذ من مُعضلة ليس لها أبو الحسن".

وقال سعيد بن جبير: "كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به".

وقال أبو الطفيل: "كان علي يقول: سلوني سلوني عن كتاب الله -تعالى-، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار".

كنَّاه النبي -صلى الله عليه وسلم- بأبي تراب بعد نكاحه فاطمة، وكان نكاحها بعد بدر، فإنه: "دخل

عليها -صلى الله عليه وسلم- قال أين ابن عمك؟ قالت: خرج مغضبًا، فجاء إلى المسجد فوجده مضطجعًا فيه، وقد لصق به التراب، فجعل يفضه عنه ويقول: "اجلس أبا تراب".

وهو أول يوم كُتِبَ فيه أبا تراب، وفي تكنيته بذلك لِيُبَسِّطَهُ، ويذهب غيظَهُ، وتسكنَ نفسه بذلك، ولم يعاتبه على مغاضبته لابنته، وفيه من الفقه: الرفق بالأصهار، وترك معاتبته، وفيه ما جبل الله عليه رسوله من كرم الأخلاق، وحسن المعاشرة، وشدة التواضع.

رزقنا وإياكم محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته -رضي الله عنهم-.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

أسهب أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد في ذكر فضائل علي -رضي الله عنه-، والسبب في ذلك: ما قاله الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: "إنه لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي"، لأنه تأخر، ووقع الاختلاف في زمانه، وخروج مَنْ خرج عليه، فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه، مِنْ كَثْرَةِ مَنْ بَيَّنَّهَا مِنَ الصَّحَابَةِ، رَدًّا عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، فاحتاج أهل السنة إلى بَثِّ فضائله، فكثرت الناقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك، وإلا فالذي في نفس الأمر، أن لكلٍّ من الأربعة -أي من الخلفاء- من الفضائل إذا حُرِّرَ بميزان العدل، لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً.

وروي عن الشعبي قال: "قال لي علقمة: تدري ما مثل علي في هذه الأمة؟ قلت: وما مثله؟ قال: مثل عيسى بن مريم؛ أحبه قومٌ حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قومٌ حتى هلكوا في بغضه".

ومرادُ علقمة بالمشبه به اليهود والنصارى، وفي المشبه الخوارج والرافضة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبيِّنًا منهج أهل السنة: "وأما علي -رضي الله عنه- فأهل السنة يحبونه ويتولَّونه، ويشهدون بأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين".

ومحبة كبار الصحابة له ظاهرة، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وعلي -رضي الله عنه- ما زالاً -أي أبو بكر وعمر- مُكرِّمين له غاية الإكرام بكل طريق، مُقدِّمين له، بل ولسائر بني هاشم على غيرهم في العطاء، مُقدِّمين له في المرتبة والحرمة، والمحبة والموالاتة، والثناء والتعظيم، كما يفعَلان بنظرائه، ويفضلانه بما فضَّله الله -عز وجل- به على من ليس مثله، ولم يُعرف عنهما كلمةٌ سوء في علي قط، بل ولا في أحد من بني هاشم".

إلى أن قال: "وكذلك علي -رضي الله عنه- قد تواتر عنه من محبتهم وموالاتهم وتعظيمهم وتقديهم على سائر الأمة ما يُعلم به حاله في ذلك، ولم يُعرف عنه قط كلمة سُوء في حقهما، ولا أنه كان أحقّ بالأمر منهما، وهذا معروفٌ عند مَنْ عرف الأخبارَ الثابتةَ المتواترةَ عند الخاصةِ والعامّةِ، والمنقولةَ بأخبار الثقات".

وبعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- حصل اجتهاد بين الصحابة في أمر قتلته، وما كان بعدها من أحداث، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مذهب أهل السنة وهو: "الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفوراً، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذنماً، ويكون هو في ذلك مخطئاً بل عاصياً، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك. ولهذا كان الإمساك طريقةً أفاضل السلف".

وكما أن الله أكرم علياً -رضي الله عنه- بأنه أول من أسلم، فقد أكرمه الله بأنه أفضل الأحياء من بني آدم في الأرض، بإجماع أهل السنّة، بعد مقتل عثمان، وقد أكرمه الله أيضاً بالشهادة في رمضان، ليلة السابع عشر، سنة أربعين من الهجرة، وله ثلاثٌ وستون سنة على الأرجح. رضي الله عنه وعن صحابة رسوله -صلى الله عليه وسلم-. وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها -

الخطبة الأولى:

لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - فضلٌ وشرفٌ ومنزلةٌ عالية، شاركن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حياته الأسرية، ونقلن للأمة ما يحتاج إليه الرجال والنساء من أفعالٍ وأحوالٍ النبي - صلى الله عليه وسلم - التي لا يطلع عليها إلا أهل بيته.

فحقهن الترضي عنهن، ومحبتهن، ومراعاة حقهن، فهن أمهات المؤمنين، فقد وصفهن الله بقوله (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الأحزاب: ٦]، وهن أزواجه في الآخرة.

ويُخص في الفضل خديجة - رضي الله عنها -؛ فهي أول وأفضل زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - في أول الإسلام، ولم يتزوج عليها أحدًا، وهي أول الناس إسلامًا، وهي أعظم زوجاته نصرة له، وكان لها منه المنزلة العالية.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: "وإيمان خديجة وأبي بكر وغيرهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديده بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آيةٌ مستلزمةٌ لصدقه، ونفسٌ كلامه، وإخباره بأبي رسول الله مع ما يُعرف من أحواله مستلزم لصدقه إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه".

ولفضلها فقد بشرها النبي - صلى الله عليه وسلم - بيت في الجنة حين: "أتى جبريل - عليه السلام - رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها - عز وجل - ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه، ولا نصب" (متفق عليه)، - القصب هنا: اللؤلؤ المجوف؛ والصخب: الصياح؛ والنصب: التعب.

ولها وقفة عظيمة عند نزول الوحي عليه أول مرة حين رجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرجف فؤاده، فدخل عليها - رضي الله عنها - فقال: "زملوني زملوني"؛ فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - "لقد خشيت على نفسي"، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق" (متفق عليه).

وقد خصها النبي - صلى الله عليه وسلم - بِذِكْرِ الحَدَثِ لرجاحة عقلها، وقوة قلبها، وعظم فقهها،

وجزالة رأيها، وثبات قلبها، وتثبيتها، وكانت تنصره وتساعدته وتواسيه، وسنداً له في الدعوة بما لها ونفسها، وكلما اشتد عليه أمرٌ يأت إليها فتواسيه وتقويه، وتذكر من محاسنه وتشجعه.

وكانت لها -رضي الله عنها- مكانة في الجاهلية، فتُسمَى الطاهرة العفيفة، وهي من أفضل قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، فهي أمُّنا أمُّ المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشيَّة، كانت تحت أبي هالة بن زُرارة، ثم تزوجها عتيق بن عائذ، والذي خطبها للنبي -صلى الله عليه وسلم- عمُّه حمزة بن عبدالمطلب -رضي الله عنه-.

تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- ولها يومئذ من العمر أربعون سنة، وكان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- خمسة وعشرون سنة، وأقامت معه خمسة وعشرين عامًا، هي أمُّ أبنائه وبناته -عدا إبراهيم من مارية القبطية-.

فولدت له أربع بنات: زينب، وفاطمة، ورقية، وأمُّ كُثُوم - كلهن أدركن الإسلام، وأسلمن، وهاجرن - ومن الذكور: القاسم، وبه كان يُكنى، وعبدالله، والطيب - ويسمى الطاهر - وجميع ذريته -صلى الله عليه وسلم- توفوا في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا فاطمة -رضي الله عنها-، فإنَّها توفيت بعده بستة أشهر.

فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين، وصحابته الكرام العرَّ الميامين.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

خديجة -رضي الله عنها- امرأة شريفة، عاقلة، فاضلة، حازمة، ذات مال، وكانت عوناً للنبي -صلى الله عليه وسلم- في أحواله كلها، تثبته على أمره، وتصدقه فيما يقوله، وتصبره على ما يلقي من قومه من الأذى والتكذيب.

ورَدَّ فضلها مع خير نساء العالمين، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون" (رواه أحمد).
وفي رواية الترمذي بلفظ: "حسبك من نساء العالمين"، ومعناها: أن كل واحدة من أولئك النساء الأربع هي خيرُ عالمٍ زمانها، وسيدةٌ وقتها.

ولما كان لها -رضي الله عنها- هذه الفضائل والمناقب لم ينس النبي -صلى الله عليه وسلم- أيام حياته معها، وصفت عائشة -رضي الله عنها- وفاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لخديجة بعد موتها قالت:

"ما غرّت على أحد من نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة، فرمما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: "إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد" (رواه البخاري).

وفي حديث آخر قال: "إني قد رزقت حبّها" (رواه مسلم). ولم يتزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- على خديجة حتى ماتت، وكانت مدة مقامها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خمسة وعشرين عامًا، وكونه -صلى الله عليه وسلم- لم يتزوج على خديجة إلى أن ماتت.

يدلّ على عظيم قدرها عنده، ومحبتة لها، وعلى فضل خديجة أيضًا؛ لأنها اختصت برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولم يشاركها فيه أحد؛ صيانة لقلبها من التّغيير والعيرة، ومن مناكدة الضرة: "واستأذنت يومًا هالة بنت خويلد -أخت خديجة- على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، فقال: "اللهم هالة بنت خويلد".

قالت عائشة -رضي الله عنها-: فعزّت، فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشّدقين، هلكت من الدهر، فأبدلك الله خيرًا منها" (متفق عليه)، وفيهما: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عرف استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة".

وفي قوله: "اللهم هالة" أي: يا الله اجعلها هالة، سرورًا لحيثها، لتذكره بها خديجة وأيامها، قال النووي -رحمه الله-: "وفي هذا كليل دليل لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب".

لكلّ من زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- فضلٌ ومنقبة، قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في المفاضلة بين خديجة وعائشة -رضي الله عنهما-: "سبقت خديجة وتأثيرها في أول الإسلام؛ ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم، ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها".

توفيت خديجة -رضي الله عنها- قبل الهجرة بثلاث سنين بمكة، ولها من العمر خمسة وستون عامًا، ودفنت بالحجون بمكة المكرمة.

فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين أجمعين.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -

الخطبة الأولى:

لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - خصائصٌ وميزاتٌ عامةٌ لا تشاركهن امرأةٌ في عصرهن، وزوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - لكل واحدةٍ منهن مزيةٌ، فخديجة - رضي الله عنها - ناصرت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأيدته وبذلت الغالي والنفيس، من ابتداء نزول الوحي حتى وفاتها - رضي الله عنها - قبل الهجرة بثلاث سنين.

ومعنا سيدة النساء، مُحَدَّثَةٌ وفقِيهَةٌ عصرِها، وحبِيبةٌ قلبِ نبينا - صلى الله عليه وسلم -، تزوجها - صلى الله عليه وسلم - وهي البكرُ الوحيدة من بين نساءه، ولا أحبُّ امرأةً كحبها. إنها أُمُّنا عائِشَةُ - رضي الله عنها -، ناداها النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمِّ عبد الله، وعائِشُ، وابنةُ الصديق، وابنةُ أبي بكر. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في فضلها، "فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام" (متفق عليه)، والثريد: هو الخبز باللحم، وهو من أفضل الطعام، وأكثر تغذيةً من غيره، شبهها بأفضل طعام العرب.

رأها النبي - صلى الله عليه وسلم - في منامه قبل زواجه بها، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعائشة - رضي الله عنها - "أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك المَلَكُ في سَرَقَةٍ من حَرِير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشِفُ عن وجهك فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمِضِه" (رواه مسلم).

وفي رواية "أن جبريل جاء بصورتها في خِرْقَةٍ حَرِيرٍ خضراءَ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة" (رواه الترمذي).

ولفضلها أيضًا عند خير الملائكة جبريل - عليه السلام - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومًا: "يا عائِشُ! هذا جبريل يقرؤك السلام"، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "متفق عليه".

حُبُّ النبي - صلى الله عليه وسلم - لها ظاهر في سؤال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - لرسول - صلى الله عليه وسلم - حين قال: "أي الناس أحب إليك؟ قال: عائِشَةُ، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب فعَدَّ رجالاً" (متفق عليه).

وفي قصة أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - قال - صلى الله عليه وسلم -: "يا أُمَّ سلمة! لا تؤذيني

في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" (رواه البخاري).
ولمعرفة الناس بمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كانوا يتحرّون بهداياهم يوم عائشة، يبتغون بذلك
مرضاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " (رواه مسلم).

وكانت تُظهِرُ فضلها على غيرها في قولها: "يا رسول الله! أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أُكل
منها، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في الذي لم يرتع منها - تعني: أن
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يتزوج بكرًا غيرها" (رواه البخاري).

ويلاطفها القول في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي
غضبي"، قالت: فقلت ومن أين تعرف ذلك؟ قال: "أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب
محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم"، قالت: قلت أجل والله يا رسول الله، ما أهجرت إلا
اسمك" (رواه مسلم).

من فضائلها أنها قالت: "لقد أُعطيْتُ تسعًا ما أُعطيَتْها امرأةٌ بعدَ مريمَ بنتِ عمران: لقد نزل جبريل
بصورتِي في راحته، حتى أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا، وما
تزوج بكرًا غيري، ولقد قُبض ورأسه في حجري، ولقد قَبِرْتُهُ في بيتي، ولقد حَقَّت الملائكة بيتي، وإن
كان الوحي ينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة
خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خُلِقْتُ طيبةً وعند طيّب، ولقد وُعدتُ مغفرةً
ورزقًا كريمًا" رواه ابو يعلى في المسند.

ورثت عائشة -رضي الله عنها- علمًا جمًّا، ونَقْلًا مباشرًا لأفعال النبي -صلى الله عليه وسلم- من بيت
النبوة، فكانت أعلم من أكثر الرجال، فكثير من كبار علماء الصحابة يسألونها عن بعض الأحكام التي
تُشكّل عليهم، وقد استدركت على عدد من الصحابة في الأحكام، وصنّف في ذلك بعض أهل العلم
كتبًا منها كتاب الزّركشي "الإصابة، فيما استدركته عائشة على الصحابة".

قال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
حديثًا قطُّ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا"، وقال مسروق: "رأيت
مشيخةً أصحاب رسول الله يسألونها عن الفرائض".

وقال عطاء: "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا"، وقال الزهري: "لو جُمع
علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل".

وقال عروة: "ما رأيت أحداً أعلمَ بفقهِ، ولا بطبِّ، ولا بِشِعْرِ من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصةُ الإفك لكفى بها فضلاً وعلوَّ مجدِّ، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة"، وسُنَّها يوم الإفك أربع عشرة سنة، ومن تأمل ثباتها فيه كقولها: "ولشأني في نفسي أحقر من أن ينزل الله فيَّ قرآنا يتلى" -والحادثة بتمامها في البخاري-.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "ولا أعلم في أمه محمد -صلى الله عليه وسلم-، بل ولا في النساء مطلقاً، امرأةً أعلمَ منها"، وقال: "لم يكن في الأمم مثلُ عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها". وكانت أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن، حيث إنَّها منذ نعومة أظفارها وهي تسمع القرآن من فم والدها الصديق -رضي الله عنه-، قالت: "لقد نزل بمكة على محمد -صلى الله عليه وسلم- وإني لجاريةُ ألب: (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ) [القَمَر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده" (رواه البخاري).

وكانت -رضي الله عنها- تسأل عن دقائق الأمور، قالت عائشة: "سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله -عز وجل-: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: "على الصراط" (رواه مسلم).

وهي -رضي الله عنها- حاضرةُ الإجابة، لما نزلت آية التخيير بدأ بعائشة فقال لها: "إني ذاكرك لِكِ أمراً فلا تعجلي حتى تستأمري أبويك"، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، فقرأ عليها: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) [الأحزاب: ٢٨]، فقالت: أو في هذا استأمر أبوي! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة" (متفق عليه).

وامتازت -رضي الله عنها- بتنوع العلوم والمعارف، قال عامر: "قيل لعائشة: يا أم المؤمنين! هذا القرآن تلقيتيه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك الحلال والحرام، وهذا الشِعْرُ والنَّسْبُ وأحاديثُ الناس سمعتها من أبيك وغيره؛ فما بال الطبِّ؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلا يزال الرجل يشكو علةً فيسأله عن دوائها، فيخبره بذلك. فحفظت ما كان يصفه لهم، وفهمته، وحفظته".

-رضي الله عنها- وعن أمهات المؤمنين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

امتازت -رضي الله عنها- بكثرة روايتها للحديث لأسباب عدة -بعد توفيق الله- منها: صِعْرُ سنّها، وقوّة حفظها، وشدهُ ذكائها، ومحبّتها للتلقّي والمعرفة، وطولُ عمرها، ونشرُ علمها، وعنايتها بحديث رسول الله، وبذلُ الوقت والجهد لأجله، فلم يَرَوْ في الصحيح أحدٌ أكثرَ مما رُوي عنها -بعد أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم-؛ حيث بلغت ألفين ومائتين وعشرة أحاديث.

وكانت عائشة -رضي الله عنها- لها مكانة في الفتيا فهي تُفتي في عهد عمر، وعثمان، إلى أن ماتت، وكان عمر وعثمان يرسلان إليها فيسألانها عن الشيء، قال قبيصة بن ذؤيب: "كانت عائشة أعلمَ الناس، يسألها الأكابرُ من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".

وامتازت -رضي الله عنها- بكرم الخصال، كالكرم، فهي بنت الصديق -رضي الله عنه- حين أتى بماله كله للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ما أبقيت لأهلك"، قال: أبقيت لهم الله ورسوله (رواه أبو داود).

وهي زوجة أجود الناس -صلى الله عليه وسلم-، بعث معاوية -رضي الله عنه- إلى عائشة بقلادة قُومَت بمائة ألف، فقبلتها، وقسمتها في أمهات المؤمنين؛ وكانت من أسخى الناس، في الصحيحين عنها قالت: "جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها تسألني، فلم تجد عندي غير تمرّة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسّمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فحدّثته فقال: "من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار".

وامتازت -رضي الله عنها- بالحياء، قالت: "كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإني واضعة ثوبي، وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفِنَ عمر -رضي الله عنه- معهم فو الله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر" (رواه أحمد).

وهي -رضي الله عنها- حَسَنَةُ العِشرة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: دخل علي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فرأى في يدي فَتَخَات من وَرِق، فقال: "ما هذا يا عائشة؟ فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله، قال: "أَتُودِين زكّاتهن؟" قلت: لا، أو ما شاء الله، قال: هو حسبك من النار" (رواه أبو داود).

والفتخات: جمع فتحة، وهي حلقة من فضة لا فص لها، وذكر ابن حجر -رحمه الله-: أنها كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وأما عبادتها فعجيبة، نقل ابن رجب عن ابن أبي الدنيا، عن القاسم بن محمد، قال: "كنت غدوت

يومًا فإذا عائشة قائمة تُسَبِّح -يعني: تصلي- وتبكي، وتقرأ (فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) [الطُّور: ٢٧]، وتدعو وتبكي، وتردُّدُها، فقامت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي".

وقد كانت -رضي الله عنها- مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في آخر لحظات حياته، قالت: "فلما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: "أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟" حرصًا على بيت عائشة، قالت عائشة: فلما كان يومي سكن، -أي: عن هذا القول- وكان ذلك في مرضه" (رواه البخاري).

"وكان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه" (رواه البخاري).

وهي تعلم ما المحبَّب للنبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: "دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبَدَه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بَصَرَه، فأخذت السواك فَفَصَّمْتَهُ وَنَفَضْتَهُ، وَطَيَّبْتَهُ، ثم دفعته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فاستنَّ به، فما رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استن استنًا قطُّ أحسنَ منه، فما عدا أن فرغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رفع يده أو إصبعه، ثم قال: في الرفيق الأعلى -ثلاثًا- ثم قضى، وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي" (رواه البخاري).

وقالت: "كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحجة يقول: (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) [النِّسَاء: ٦٩]، فظننت أنه خَيْرٌ" (رواه مسلم).

توفيت -رضي الله عنها- بعد أن مكثت عند النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيت النبوة تسع سنين إلى وفاته، وكان عمرها عند وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- ثمانية عشر عامًا، وعاشت بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- ستة وأربعين عامًا، وتوفيت سنة سبع وخمسين، وعمرها أربعة وستون عامًا، وصلى عليها أبو هريرة -رضي الله عنه-، ودُفِنَتْ في البقيع -رضي الله عنها- وعن أمهات المؤمنين وأصحابه أجمعين.

سيرة أبي هريرة - رضي الله عنه -

الخطبة الأولى:

راوية الإسلام، ومُحدث الأمة، أَحْفَظ الصحابة، وأحرصهم على الحديث ونشره، من أهل الصفة الذين هم أفقر أهل المدينة، شديد الملازمة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ما سمع به أحد إلا أَحَبَّه، مروياته تقارب نصفَ مرويات المكثرين من الرواية مع أنه لم يهاجر إلا قبل وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بثلاث سنين.

إنه الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخرٍ الدوسي قيل: إن اسمه في الجاهلية عبدُ شمس، فسماه النبي -صلى الله عليه وسلم- عبدَ الرحمن، واشتهر بكنيته، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: "يا أبا هريرة"، و"يا أبا هر"، وقيل: إنه وجد هرة فحملها في كُمِّه. وسبب إسلامه: أن الطفيل بن عمرو الدوسي له مكانةٌ عند قومه، ومنزلة عند قريش، وما أن عَرَفَتْ بقدمه إلى مكة، حتى انطلق إليه رجال منها يُحذِّرونه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليصدوه عن الإسلام، واقتنع الطفيل بقولهم، ونوى ألا يسمع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً حتى لا يؤخذ بسحره كما ادَّعوا، وذهب الطفيل إلى الكعبة، وإذا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلي، فسمع كلامه فأعجب به، وأبى الله إلا أن يفتح قلبه للإيمان، وذهب مع الرسول الكريم إلى داره فعرض عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن، ف شعر بجلاوة الإيمان، وطلب من الرسول أن يدعو له، وأن يجعل الله له عوناً في حمل الإسلام إلى قومه ودعوتهم إليه.

وعاد الطفيل إلى قومه فدعاهم للإسلام، فأجابه أبو هريرة وحده، وأبطأ عليه قومه، فعاد إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبره بإبطاء قومه، وقال له: يا رسول الله! إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: "اللهم اهد دوساً وأت بهم" (متفق عليه واللفظ للبخاري).

فأجاب الله دعوة رسوله -صلى الله عليه وسلم- حتى نزلوا المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ولحقوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين، قدم أبو هريرة -رضي الله عنه- المدينة قبل وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بثلاث سنين، وعمره قد زاد على الثلاثين، قال عن نفسه: "فأقمت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى مات، أدور معه في بيوت نساءه، وأخدمه، وأغزو معه، وأحج، فكنت أعلم الناس بحديثه".

وأثنى الصحابة والتابعون ومن بعدهم على حفظه وضبطه للحديث، قال ابن عمر -رضي الله عنهما- لأبي هريرة -رضي الله عنه-: "أنت كنت ألزماً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأحفظنا بحديثه". قال البخاري: "روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره"، وقال الأعمش عن أبي صالح قال: "كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة". وقال الشافعي: "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره"، وقال سعيد بن أبي الحسن: "لم يكن أحد من الصحابة أكثر حديثاً من أبي هريرة".

وقال ابن عبد البر: "وكان أحفظ أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، لانشغال المهاجرين بالتجارة، والأنصار بجوائظهم". وكان -رضي الله عنه- ملازماً للنبي -صلى الله عليه وسلم- تاركاً الصفق في الأسواق والعمل في الحوائط، وقد وصف شدة جوعه بقوله: "لقد رأيتني وإني لأخترُ فيما بين منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى حجرة عائشة مغشياً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع" (رواه البخاري).

قال أبو هريرة: "يقولون إن أبا هريرة قد أكثر -يعني: عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والله الموعد، ويقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه وسأخبركم عن ذلك، إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وإن إخواني من المهاجرين يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ملاً بطني فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا".

ولقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً "أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئاً سمعه"، فبسطت بردة عليّ حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به، ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّائِيُونَ) [البقرة: ١٥٩] (رواه مسلم).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "كان أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث".

وقد شهد له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأنه حريص على العلم والحديث، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "لقد ظننت ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى

منك، لما رأيت من حرصك على الحديث" (رواه البخاري).

حِرْصُهُ عَلَى الْحَدِيثِ ظَاهِرٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يَعْلَمُهُنَّ مِنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟"، قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخْذُ بِيَدِي فَعَدَّهِنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: "اتَّقِ الْمُحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تَكْثُرِ الضَّحْكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكَ تَمِيتُ الْقَلْبَ" (رواه الترمذي).

وَكَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- جَرِيئًا عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ أَشْيَاءٍ لَا يَسْأَلُهُ عَنْهَا غَيْرُهُ، قَالَ أَبُو بَنِي كَعْبٍ: "إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ جَرِيئًا عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ أَشْيَاءٍ لَا نَسْأَلُهُ عَنْهَا" (رواه أحمد)، وَقَالَ رَجُلٌ لَابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَكْثُرُ الْحَدِيثَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ فِي شَكٍّ مِمَّا يَجِيءُ بِهِ، وَلَكِنَّهُ اجْتَرَأَ وَجَبَّنَا".

انْتَفَعَ الصَّحَابَةُ مِنْ عِلْمِهِ: فِي الصَّحِيحِ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: "قِيلَ لَابْنِ عُمَرَ: حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ، إِنْ مِنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ فَصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيْرَاطٌ، الْحَدِيثُ، فَقَالَ أَكْثَرَ عَلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَسَأَلَ عَائِشَةَ فَصَدَّقَتْهُ، فَقَالَ: لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيضَ كَثِيرَةٍ" (متفق عليه).

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَلْبِ الْعِلْمِ، فَقَدْ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ يَا أَهْلَ السُّوقِ مَا أَعْجَزُكُمْ! قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُقْسَمُ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا، أَلَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِييَكُمْ مِنْهُ، قَالُوا وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا. وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فِيهِ فَلَمْ نَرِ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ! فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ قَالُوا: بَلَى رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيَحْكُمُ فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (رواه الطبراني).

مَحَبَّتُهُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظَاهِرَةٌ فِي تَحْدِيثِهِ فَكَانَ يَقُولُ: "حَدَّثَنِي الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ" (رواه أحمد)، وَمَرَّةً يَقُولُ: "حَدَّثَنِي حَبِيبِي أَبُو الْقَاسِمِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" (رواه ابن حبان)، وَكَانَ يَبْتَدِئُ حَدِيثَهُ بِحَدِيثِ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" (متفق عليه). وَقَدْ يُوَكِّدُ أحيانًا صِحَّةَ مَا يَرَوِيهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول: "يشهد على ذلك

لحم أبي هريرة، ودمه" (رواه أحمد)، لأنه على يقين مما يقول، فقد سمع بأذنه، ووعى بقلبه، وذكر بلسانه.

وكان من عبادته أنه كان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: ثلثاً يصلي، وثلثاً ينام، وثلثاً يدرس الحديث، ويقسم الليل هو وامراته وخادمه أثلاثاً، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا، ويتمثل هو وأهله قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته" (رواه أبو داود).

وكان لأبي هريرة مسجد في مُخَدَعِه -أي مستودع بيته-، ومسجد في بيته، ومسجد في حجرته، ومسجد على باب داره، إذا خرج صلى فيها جميعاً، وإذا دخل صلى فيها جميعاً.

وصَّاه النبي -صلى الله عليه وسلم- بثلاث، قال: "ثلاث أوصاني بهن خليلي -صلى الله عليه وسلم- لا أدعهن أبداً: الوتر قبل أن أنام، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والغسل يوم الجمعة" (رواه أحمد).

وكان يكثر من التسبيح والتكبير في أطراف النهار والليل، وكان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، ويقول: أسبح بقدر ذنبي.

وما من أحد سمع به إلا أحبه، قال أبو هريرة: "أما والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبني"، وذلك أنه طلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك قال: "قلت: يا رسول الله! ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحبهم إلينا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم حب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحب إليهم المؤمنين"، فما خلق مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبني" (رواه مسلم).

واهتم -رضي الله عنه- ببرِّ بأمه: فقد فرح بإسلام أمه فرحاً شديداً، وبقي وفيّاً لها، باراً بها، يخدمها كل حياته، ولم يفارقها، حتى إنه لم يحج حتى ماتت لصحبتها.

رضي الله عن أبي هريرة، وعن بقية الصحابة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

أبو هريرة من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الصحابة في الحديث، ولم يكن أحد أكثر منه حديثاً إلا عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-، قال أبو هريرة -رضي الله عنه- عن نفسه: "ما من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أحدٌ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو

فإنه كان يكتب ولا أكتب" (متفق عليه).

إلا أن ظروف عبد الله بن عمرو وتنقله مع أبيه بين الحجاز ومصر والشام، وعدم استقراره، وانشغاله بالعبادة عن التحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أصبح ما روي عنه أقل مما روي عن أبي هريرة بكثير، حيث بلغت سبعمائة حديث، مقابل مرويات أبي هريرة خمسة الاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً.

هناك أسباب أعانت أبا هريرة -رضي الله عنه- في نشر الحديث، منها: ملازمته للنبي -صلى الله عليه وسلم- ملازمة تامة، حضراً وسفراً، يدور معه حيث دار، فقد تفرغ فيها للعلم والتحصيل، لا يشغله عنهما شاغل من تجارة، أو زراعة، وهي ملازمة لم تيسر لعموم الصحابة.

وبسبب قوة حفظه، ونشره للحديث، وتفرغه له، وتأخر وفاته إلى ما بعد سنة خمسين من الهجرة، وحاجة الناس إلى علمه، وكثرة الرواة عنه، وتنقله في الأمصار كالشام والعراق والبحرين، روى عنه نحو ثمانية وعشرين من كبار الصحابة وصغارهم، كزيد بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعائشة، وغيرهم -رضي الله عنهم-، كما روى عنه وتلمذ عليه مئات من التابعين -رحمهم الله-.

وامتاز أبو هريرة بالحكمة وسداد الرأي وبُعْد النظر، فلم يُحدِّث عن الفتن والملاحم قبل وقوعها، قال -رضي الله عنه-: "حفظت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جرابين: أما أحدهما فبثته فيكم، وأما الآخر فلو بثته لقطعتم هذا الحلقة".

قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرهم بما سيكون من الفتن التي تكون بين المسلمين، ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار، ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك.

قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: "لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم، وتهدمون البيت وغير ذلك، لقلتم: كذب أبو هريرة، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها؛ لأن ذلك مما لا يحتمله رؤوس الناس وعوامهم".

عاش أبو هريرة -رضي الله عنه- ثمانٍ وسبعين سنة، وتوفي سنة سبع وخمسين في العام الذي توفيت فيه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وقيل: بعدها.

نيل من أبي هريرة من أعداء الإسلام، لا لشخصه، وإنما لأجل السنة التي حفظها ووعاها ونشرها.

فرضي الله عنه وأرضاه.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سيرة كعب بن مالك - رضي الله عنه -

الخطبة الأولى:

غزوة تبوك أظهرت فضل من أنفق، وذم من أمسك، وصدق من أخلص، وقول من نافق، وقصة من تخلف.

وكان أبرزهم خبيراً، وأظهرهم شأناً، كعب بن مالك - رضي الله عنه -، إنه صحابي جليل عُرِفَ بأنه من شعراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان من الثلاثة الذين يهاجون عن رسول الله مع حسان وابن رواحة.

قال ابن سيرين: "فأما حسان فكان يذكر عيوبهم وأيامهم، وأما عبد الله بن رواحة فكان يعيرهم بالكفر وترددهم فيه، وأما كعب بن مالك فكان يذكر الحرب فيقول: فعلنا ونفعل ويتهددهم".

وقد أسلمت قبيلة دوس فرقاً - أي خوفاً - من بيت قاله كعب بن مالك:

خَيْرَهَا ولو نطقت لقلت *** قواطعهن دوساً أو ثقيفا

والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال لكعب: "ما نسي ربك بيتاً قلته"، وذكر أبو بكر تلك الأبيات، وهو - رضي الله عنه - أحد السبعين الذين شهدوا العقبة، وكان من أهل الصفة - وهم فقراء الصحابة، وعددهم سبعون - وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يرعاهم.

ولكعب بن مالك - رضي الله عنه - روايات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبلغ الثلاثين، أثقفا

على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، وقد غزا مع النبي جميع الغزوات عدا بدر.

والرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يعاتب أحداً تخلف عنها؛ لأن الغزوة من غير ميعاد، وهو أول من

عَرَفَ الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم غزوة أُحُد عندما انكشف المسلمون، فقد بشر المسلمين

بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - حيٌّ لم يُقتل، فدعا النبي - صلى الله عليه وسلم - كعباً بلأتمته -

وكانت صفراء - فلبسها كعب، وقاتل يومئذ قتالاً شديداً حتى جرح سبعة عشر جرحاً.

وأهم ملامح حياته - رضي الله عنه -: ما ذكره الله في كتابه في سورة التوبة، وبين رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - حدَّثها في قصة تخلفه في غزوة تبوك، وقد بَوَّبَ الإمام البخاري - رحمه الله - باباً في

صحيحه سماه: "باب حديث كعب بن مالك، وقول الله - تعالى -: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

خَلَّفُوا) [التوبة: ١١٨]"، وذكر القصة مطولة مفصلةً، ولنا أن نقف على أهم أحداثها:

أولها: أنه - رضي الله عنه - لم يكن تخلفه تخلفاً يجعله راکناً للراحة والدعة، وإنما يغدو لكي يتجهز

فيرجع، ولم يقض بشيء، كما قال: "فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحّهم، ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت، ولقد هممت أن أرتحل فأدرّكهم، وليتني فعلت".

الوقفه الثانية: أنه لما تخلف ورأى حال الناس في المدينة حزن قلبه، ولم يكن مسروراً بتلك الحال، ولذا قال: "وكننت إذا خرجت في الناس يحزنني أي لا أرى لي إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء".

الوقفه الثالثة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سأل عن كعب بن مالك وهو في تبوك بقوله: "ما فعل كعب؟" -مع أن عدد الصحابة كثير حتى ورد أنه لا يجمعهم كتاب حافظ- قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله؛ حبسه بَرْداه والنظر في عطفه، فقال له معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: "بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله".

وفي قول معاذ هذا ذَبَّ عن عرض كعب قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ ذَبَّ عن عِرْض أخيه بالغيب، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار" (رواه أحمد).

الوقفه الرابعة: لما قَفَلَ النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة -أي رجع- قال كعب -رضي الله عنه- حضرني بئني، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بِمَ أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي -وهكذا من خالف أمر ربّه وأمر رسوله، فإنه يتقلب من همٍّ إلى همٍّ-.

ولذا قال كعب -رضي الله عنه-: وما من شيء أهمُّ إليّ من أن أموت، فلا يصلي عليّ رسول الله، أو يموت رسول الله فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي، ولا يسلم.

الوقفه الخامسة: حُسْنُ تعامل النبي -صلى الله عليه وسلم- مع المخطئ، فحين جاء كعب بن مالك، وسَلَّم، تبسم النبي -صلى الله عليه وسلم- تبسم المغضَّب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خَلَّفَكَ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك".

فقلت: بلى، إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سَخَطه بعذر، والله لقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتُك حديث كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ، ولئن حدثتُك حديث صدقٍ تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقي الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك".

الوقفه السادسة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى المسلمين عن كلام الثلاثة الذين تخلفوا عن هذه

الغزوة، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ زَجْرِهِمْ، حَتَّى قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضَ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرَفُ، فَكُنْتُ أَخْرَجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَكْلَمُنِي أَحَدٌ وَأَتِي رَسُولَ اللَّهِ، فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكْتُ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ، وَأَسَارِقُهُ النَّظْرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، وَقَدْ كَانَتْ مَدَّةَ الْإِبْتِلَاءِ خَمْسِينَ يَوْمًا، وَكَانَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَمْرَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِاعْتِزَالِ زَوْجَاتِهِمْ.

الوقففة السابعة: طاعة الصحابة - رضي الله عنهم - لأمر الرسول بترك الكلام معهم، وذلك أنه لما طال على كعب بن مالك - رضي الله عنه - جفوة الناس، قال مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي - فسلمت، فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسولَه؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار.

الوقففة الثامنة: بعد موقفه مع ابن عمه خاصة، ومع الناس عامة، إذا بنبطي من أنباط الشام ممن يقدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتابًا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فانظر كيف كان الابتلاء ومتى كان، وإذا بالمغريات تأتيه من ملك من ملوك الدنيا، وإذا الإجابة تكون بقدر العزيمة فقال: والله هذا من البلاء أيضًا فتممت بها التنور فسجرت به.

وقفنا الله بالاستمساك بجبله المتين، ونهج صراطه المستقيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من وقفات سيرة هذا الصحابي الجليل: بعد أن مضى الحال على هؤلاء الثلاثة الذين خلفوا خمسين يومًا، وضائق عليهم الأرض بما رحبت، وضائق عليهم أنفسهم، سمع كعبٌ صوت صارخ يقول: "يا كعبُ بنُ مالكِ أبشر، فخررت ساجدًا - ولذا يستحب لمن بشر بخير أن يسجد لله شكرًا -".

قال كعبٌ: وقد عرفت أنه قد جاء فرج، وأذن رسولُ الله بتوبة الله علينا، فذهب الناس يشيروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشري، نزعته له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه،

والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت لرسول الله فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهتؤونني بالتوبة، يقولون لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب: فلما دخلت المسجد سلمت على رسول الله فقال: "أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك"، قال قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: "لا، بل من عند الله". قال كعب بن مالك من شدة فرحه: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله: "أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك".

ثم قال: إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، حتى قال: ما تعدت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا كذبًا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت.

وأُنزل الله في حالهم: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) [التَّوْبَةُ: ١١٧]، إلى قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التَّوْبَةُ: ١١٩]، فوالله ما أنعم الله عليّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله -تعالى- قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شرّ ما قال لأحد (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التَّوْبَةُ: ١١٩].

ولك أن تقف وقفة مع حال هذا الصحابي الجليل، وأن الله نجّاه بصدقه، فكن صادقًا مع ربك وصادقًا مع خلقه، والعبد لا يسلم من غوائل الشيطان، ولكن بالتوبة تُمحي الذنوب، ومن صدق في التوبة نال الغفران وتبدل السيئات، فإن الغامدية لما تابت قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من على أهل المدينة لوسعتهم" (رواه مسلم)، والله يحب التوابين، ويسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار.

وقفنا الله للقول السديد، والفعل الرشيد.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ذكر خبر فرعون

الخطبة الأولى:

قص الله في القرآن الكريم، قصصًا متنوعة، تمثل الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر، بين الحق والباطل، ودكر قصص الأنبياء والمرسلين، وأعمال الطغاة الظالمين، على اختلاف وسائلها، وتنوع أساليبها، وتعدد أسبابها، وتباين قدراتها، ولكن نهايتها واحدة في جميع الأحوال، قال - سبحانه -: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: ١٢٨].

ونحن اليوم نقف وقفات مع أحداثٍ عظامٍ مرت على نبي الله موسى - عليه السلام - حيث عانى أشد المعاناة مع رجل لم يمر في التاريخ مثل صنيعه، إنه فرعون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "ومن المعلوم أن قصة موسى - عليه السلام - وما جرى له مع فرعون وغيره، أعظم وأشرف من قصة يوسف بكثيرٍ كثير، ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن، ثناها الله أكثر من غيرها، وبسطها، وطوّها أكثر من غيرها".

وقد ذكر الله قصته في كتابه المجيد مفصلةً وموجزةً، لناخذ منها الدروس والعبر، ولنا فيها وقفات: الوقفة الأولى: أن مشيئة الله نافذة على كل أحد - الملك والمملوك، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، والغني والفقير -، حيث قدر الله لموسى - عليه السلام - ما يخشاه فرعون من زوال ملكه - أن يعيش في قصر فرعون، يشرب من شرابه، ويطعم من طعامه، ويلهو في قصره، وكان قبل ذلك يقتل الولدان كلهم، لما أثار في كتب أهل زمانه أنه ستخرج من ذرية إبراهيم - عليه السلام - من يكون هلاك ملك مصر على يديه، وقيل: لرؤى رآها فرعون، ولكن لا يغني حذر من قدر، والله غالبٌ على أمره، وامتّم نوره ولو كره الكافرون.

الوقفة الثانية: أن الله بعث موسى - عليه السلام - إلى فرعون وقومه، وقد بلغ فرعون في الطغيان مبلغه، وادعى لنفسه الربوبية، فقال لقومه: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) [النّازعات: ٢٤]، وقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [القصاص: ٣٨]، وقال لموسى - عليه السلام -: (قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) [الشعراء: ٢٩].

ووصف الله حاله: (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) [يونس: ٨٣]، ووصفه الله (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [القصاص: ٤]، فبعث الله موسى - عليه السلام - وهو صفوة خلقه في ذلك الزمان إلى أروا خلقه فرعون، فدعاه موسى وهارونُ بأجمل عبارة، وألطف كلمة، عملاً بقول الله لهما: (فَقُولَا

لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٤].

وهكذا خطاب الداعي تُرِيَنَهُ الحكمة والموعظة الحسنة، عملاً بقول الله -تعالى-: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥].

الوقفه الثالثة: أن فرعون حين ادّعى الربوبية لم يستطع مواجهة موسى وهارون -عليهما السلام- بها، حيث قال لقومه: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) [طه: ٤٩]، زاعماً أنه لا يعرفه، وأنه لا يعلم لهما إلهًا غير نفسه، كما قال: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [القصص: ٣٨].

وهذا تجاهل عارفٍ بأنه عبدٌ مريبٌ لرب العالمين، وذلك في قوله -تعالى-: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ) [الإسراء: ١٠٢]، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل: ١٣-١٤]، (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [طه: ٥٠].

فألجمه الحجة، فلم يملك فرعونُ أيَّ مناقشة لهذه الإجابة، فانتقل مباشرة للسؤال الثاني: (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَّبِّي وَلَا يَنْسَى) [طه: ٥١-٥٢]، ثم ذكر موسى -عليه السلام- لفرعون الآيات الدالة على كمال قدرة الله (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى) [طه: ٥٣].

الوقفه الرابعة: أن الله -عز وجل- لم يعذر قوم فرعون في طاعتهم المطلقة له حين قال لهم: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) [غافر: ٢٩]، لذا قال: (فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) [الزحرف: ٥٤]، أي: خارجين عن طاعة الله.

بل قال عن موسى -عليه السلام- ودعوته: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدَّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ) [غافر: ٢٦]، ولو اتبعوا دعوة موسى لنجوا من عذاب الله، ولكن اتبعوا أمر فرعون: (وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) [هود: ٩٧]، وقوله -تعالى-: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى) [طه: ٧٩]، و(وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) [غافر: ٣٧].

وعند دخول النار فإن فرعون يتقدم قومه لدخولها (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُرُودُ * وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئس الرّفد المرفود) [هود: ٩٨-٩٩]، والنار يعرضون

عليها صباحًا ومساءً قال -تعالى-: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر: ٤٥-٤٦].

الوقفه الخامسة: أن من أعظم ما يستعين به المسلم في شؤون حياته الدعاء، حيث دعا موسى -عليه السلام- ربه حين أمره بدعوة فرعون فقال: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) [طه: ٢٥-٢٦].

وموسى -عليه السلام- لم يَتَّكِلْ على قوة بدنه فحسب، بل دعا الله والتجأ إليه، وإلا موسى -عليه السلام- وهبه الله قوة في البدن، ذكرها الله في حالة قتل الفرعوني: (فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) [القصص: ١٥]، ورفع صخرة ماء مدين لتسقي منه المرأتان، وكان رفعه لها وحده. قال ابن كثير -رحمه الله-: "ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، وفيه من قوة القلب ما جعله يفتقأ عين ملك الموت كما في الصحيحين حين جاءه في صورة بشر".

ومع كل ذلك دعا موسى -عليه السلام- ربه أن ييسر له المهمة، فخاف على نفسه فطمأنه الله (قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) [طه: ٤٥-٤٦]، فدارت رحي الحاجة، وألقت الحجة، وبلغ البلاغ المبين، ولم يتطاول فرعون على موسى -عليه السلام- بأذى، لا بقول ولا بفعل، حيث معية الله الخاصة لأبيائه -عليهم السلام- نصرًا وتأييدًا، وكذا حَفِظَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه في الغار حين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التوبة: ٤٠].

حفظنا الله بحفظه، وتولانا برعايته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ومن الوقفات: أن الله أيد نبيه موسى -عليه السلام- بالمعجزات الباهرات، قال -سبحانه-: (وَمَا نُؤْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: ٤٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والمعجزات دليل على إثبات الخالق وعلى صدق رسوله، كما كان إظهار موسى للآيات -مثل العصا، واليد- دليل على الصانع وصدق الرسول " لكن فرعون وقومه تطاولوا على موسى -عليه السلام- فكان صنيعهم أنهم: (مِنْهَا يَضْحَكُونَ) [الزخرف: ٤٧].

فَأرسل الله عليهم صنوفًا من الابتلاء، قال - سبحانه - : (فَأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقملَ والضفادعَ والدمَّ آياتٍ مُفصَّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قَوْمًا مُجرِمِينَ) [الأعراف: ١٣٣]، وكان من تطاوله على كلِّيم الرحمن موسى - عليه السلام - أن قال متهكمًا: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) [الزخرف: ٥٢].

وقال محقِّراً لبني إسرائيل: (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) [الشعراء: ٥٤]، فلم تنفعهم هذه الآيات والبراهين في قبول الحق وقد بالغوا في الكفر والعناد والاستهزاء بموسى - عليه السلام - : (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) [الأعراف: ١٣٢].

ومن الوقفات: لما بلِّغ موسى - عليه السلام - فرعونَ وقومه، أوحى الله لموسى وهارون - عليهما السلام - : (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [يونس: ٨٧]، أي: تكون بيوتهم مميزة عن بيوت الأقباط، ليكونوا على استعداد للرحيل إذا أمروا، وأن يكثروا من الصلاة فيها، ليستعينوا على ما هم فيه من الشدة والكرب.

كما قال - سبحانه - : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) [البقرة: ٤٥]، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إذا حزبه أمر صَلَّى " (رواه أبو داود).

ثم دعا كلِّيم الله على فرعونَ وقومه بقوله: (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) [يونس: ٨٨].

فأوحى الله لموسى - عليه السلام - بالخروج: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ) [الشعراء: ٥٢]، وتبعهم فرعونُ وجنوده (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) [الشعراء: ٦٠]: عند طلوع الشمس (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) [الشعراء: ٦١]، أي: رأى كلٌّ من الفريقين صاحبه، (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) [الشعراء: ٦١].

وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى البحر، فصار البحرُ أمامهم، وفرعونُ وجنوده خلفهم، (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) [الشعراء: ٦٢]، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى - عليه السلام - أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق، (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) [الشعراء: ٦٣].

فجعل الله البحر المتلاطم الأمواج برًا يابسًا يسير عليه موسى ومن معه: (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى) [طه: ٧٧]، قيل: انفلق اثني عشر طريقًا لكل سبط طريق يسرون فيه، من غير خوف من أن يدركهم فرعون، أو أن يغرقوا.

فلما خرجوا منه متكاملين ولحقهم فرعون وجنوده ودخلوا فيه متكاملين، غشيهم من اليم ما غشيهم، فجعل الله نجاة موسى ومن آمن معه وهلاك فرعون وجنده آية: (وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرَبِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) [الشُّعْرَاء: ٦٥-٦٧].

وفي هلاك فرعون آية وعبرة، فقد هلك بما كان يفتخر به بقوله: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) [الزَّحْرُف: ٥١]، قال الله في هلاكه: (حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يُونُس: ٩٠].

وكان في هلاكه عبرة لأهل زمانه، قال الله -عز وجل-: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) [يُونُس: ٩٢]، فخرج عدو الله فرعون إلى مكان هلاكه تاركًا النعيم والمقام الكريم، قال -سبحانه-: (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) [الشُّعْرَاء: ٥٧-٥٨].

وانتقلت النعم منهم إلى بني إسرائيل: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشُّعْرَاء: ٥٩]، فأنزلهم الله منزلاً مرضياً، قال -تعالى-: (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُتَمِّكَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [الْقَصَص: ٥-٦].

وقد فعل -تعالى- ذلك بهم، وهذا حكم الله في الظالمين (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) [الزَّحْرُف: ٥٥].

اللهم انصر دينك، وكتابك، وأعل كلمتك.

نفعنا الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبما فيه من الدروس والعبر.

ثم اعلمو أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

قصة قارون

الخطبة الأولى:

تكفل الله بأرزاق خلقه، قال - سبحانه-: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [هُود: ٦]، وقسم الأرزاق بين عباده فبسط لمن شاء، وقدر لمن شاء، وكل ذلك بعدله وحكمته، قال - عز وجل-: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) [الرعد: ٢٦].

وقد ذكر الله - سبحانه- في كتابه الكريم قصة رجل أعطاه الله مالا وافرا، وأسبغ عليه صنوفا من زينة الحياة الدنيا، ولكنه طغى وتكبر، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة، قال الله - عز وجل- عن حاله: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصاص: ٧٦-٨٣].

في هذه الآيات الكريمات مشاهدٌ وعبرٌ متنوعة، نُجمل حياة قارون، وقدر ماله، وذكر حاله، ونصيحة قومه، وعاقبة أمره، ولنا فيها وقفات:

الوقفة الأولى: أن قارون كان ابن عم موسى، وقيل: عم موسى، وكان يسمى المنور، لحسن صوته بالتوراة، قال البغوي - رحمه الله-: "لم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، فأهلكه البغي لكثرة ماله".

وهذه القرابة لا تُعني صاحبها من الله شيئاً، فبيننا - صلى الله عليه وسلم- حين أنزل الله عليه: (وَأَنْذِرْ

عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ) [الشُّعْرَاءُ: ٢١٤]، قال: "يا معشر قريش! اشترُوا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله! سألني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً" (متفق عليه).

فلم تنفع قارونَ قرابته من موسى من عذاب الله، ولم يثنِ موسى -عليه السلام- في الدعوة والبلاغ مع تكبر أقرب الناس لدعوته، فعلينا أن نسأل الله دومًا الثبات على دينه، وكان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم مُصْرِفِ القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك" (رواه مسلم).

الوقفه الثانية: أن قارون بغي على قومه، قيل: بظلمه لهم، أو تسلطه عليهم، وقيل: بغي عليهم بكثرة ماله، وقيل: زاد في طول ثيابه شبرًا، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا ينظر الله يوم القيامة من جر ثوبه خيلاء" (متفق عليه).

وقيل: إنه بغي عليهم باستخفافه بالفقراء، فلم يُعْطهم حَقَّهُم مع كثرة أمواله، وقد نهى الله عن البغي في كتابه الكريم، في قوله -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠]، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الأعراف: ٣٣].

فمن طغا وتجاوز الحد وإنما يذوق وبال أمره، قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) [يونس: ٢٣]، أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم، ولا تضرون به أحدًا غيركم، فكانت نهاية طغيانه وبغيه معجلة له في الدنيا قبل الآخرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم" (رواه أبو داود).

الوقفه الثالثة: أن الله -سبحانه-: (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [البقرة: ٢١٢]، فقد أعطى قارون مالا وفيرا يُضرب به المثل، حتى إن مفاتيح خزائنه يَنْقَلُ حَمْلُهَا على الفئام من الناس، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال"، وقد وصف الله ثقل مفاتيح الخزائن: (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوَأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) [المص: ٧٦].

والمال إذا كان بيد من أحسن العمل به في طاعة الله فهو الصالح، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

"نعم المال الصالح للمرء الصالح" رواه الإمام أحمد، وعندما أتى عثمان بألف دينار في تجهيز جيش العسرة قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما ضر عثماناً ما عمل بعد اليوم -مرتين-" (رواه الترمذي).

الوقفه الرابعة: أن نصيحة أهل العلم واجبة لعموم الناس دلالةً وهدايةً، فقد وعظه الناصحون، وأرشدوه إلى ما فيه صلاح دنياه، وفلاح آخرته، فأول هذه النصائح، قالوا: لا تفرح، أي: لا تفرح فرحاً يوصلك للبطر، فتفخر على غيرك بما وهبك الله من مال.

وأرشدوه إلى أن هذا الفرح مذموم عند الله -تعالى-، لأنه يُميت النفس عن الاهتمام بأمور الصالحات. ويُننوا له أن غاية المال (وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) [القَصَص: ٧٧]، فيكون همك واهتمامك لتحصيل الثواب والنجاة من العقاب، والدار الآخرة هي خير وأبقى.

وأوضحوا أن المال لا يمنع أن يكون في استعمالات مباحة بقولهم: (وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القَصَص: ٧٧]، فتناول مالك ما أحل الله لك بالملاذ الطيبة الحلال، قال الحسن -رحمه الله-: "ما أحل الله لك منها فإن لك فيها غنى وكفاية".

وذكره بالإحسان للخلق كما أحسن إليه الخالق، (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) [القَصَص: ٧٧]، بالصدقة والبذل والعطاء للمحتاجين.

وحذروه من الفساد في الأرض، فالله لا يحب المفسدين، ولا يرضاه لعباده.

فما كان جوابه لهذه النصيحة الفصيحة، إلا أن: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) [القَصَص: ٧٨]، أي: لا أحتاج إلى استماع ما ذكرتم، ولا إلى ما إليه أشركم، فإن الله أعطاني هذا لعلمه أي أستحقه، وأني أهل له، ولولا أنني حبيبٌ إليه لما أعطاني ما أعطاني، ولم يعلم: (أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) [القَصَص: ٧٨].

فالله أهلك من الأمم الماضية بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة، وأكثر مالاً وولداً، فلو كانت مقولةً صحيحةً لم نعاقب أحداً ممن كان أكثر مالاً منه، ولم يكن ماله دليلاً على محبتنا له، قال -تعالى-: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) [سَبَأ: ٣٧].

نسأل الله أن يثبتنا على دينه حتى نلقاه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ذكر الله من حال قارونَ أن خرج على قومه في زينته، وتحمّل عظيم من الملابس والمراكب والخدم، فلما رآه من يعظّم الحياة الدنيا، تَمَنّوا أن لو كانوا مثله، وغبطوه بما وهبه الله، فلما سمع مقالتهم العلماء قالوا لهم: (وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) [القَصَص: ٨٠]، فإن ثواب الله في الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى، (وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) [القَصَص: ٨٠].

فكانت نهاية بغيه وطغيانه أن ذكر الله لنا كيفية هلاك قارون، فقال -عز وجل-: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) [القَصَص: ٨١].

قال ابن عباس -رضي الله عنها-: "لما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة، فجمعهم قارون فقال لهم: جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها، فتحملوا أن تعطوه أموالكم، فقالوا: لا نحتمل أن نعطيها أموالنا فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي بني إسرائيل، فنرسلها إليه، فترميه بأنه أرادها على نفسها.

فدعا موسى عليهم، فأمر الله الأرض أن تطيعه، فقال موسى للأرض: خذتهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى، ثم قال للأرض: خذتهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى، ثم قال للأرض: خذتهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى، فقال للأرض: خذتهم، فأخذتهم فغيبتهم، فأوحى الله إلى موسى: يا موسى! سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم، قال ابن عباس: وذلك قول الله -عز وجل-: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) [القَصَص: ٨١]، خسف به إلى الأرض السفلى" (رواه الحاكم، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين).

بعد إهلاك الله له، قال الله: (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) [القَصَص: ٨١]، ولما حلَّ به ما حلَّ من الخسف والدمار والهلاك، ندم من كان تمنى مثل ما أوتي قارون، وشكر الله -تعالى- الذي يدبر عباده بما شاء من حسن تدبير، ولهذا قالوا: (لَوْلَا أَنَّ مَنْ اللَّهْ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [القَصَص: ٨٢].

ثم أخبر الله -تعالى- أن الدار الآخرة هي دار القرار، وهي الدار التي يُعَبِّط من نالها، ويُعَزَّى من حُرْمها، وهي مُعَدَّة (لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القَصَص: ٨٣].

ثم اعلّموا أن الله ذكر مذمة قارونَ في غير آية من القرآن الكريم، فقال - سبحانه - : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) [غافر: ٢٣-٢٤]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر الصلاة يومًا: "من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا، ولا برهانًا، ولا نجاة، ويأتي يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأبيّ بنِ خلف" (رواه أحمد).

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

يوم عاشوراء

الخطبة الأولى:

ذكر الله في كتابه الكريم جملة من قصص أنبيائه -عليهم السلام-، قال -سبحانه-: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) [غافر: ٧٨].

ومن أكثر قصص القرآن الكريم قصة موسى -عليه السلام-، فقد أرسله الله إلى قومه، قال -سبحانه-: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ) [إبراهيم: ٥].

وأرسله إلى طاغية زمانه فرعون وملائته، قال -تعالى-: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) [هود: ٩٦-٩٧]، فأمن من قومه من آمن، واستكبر فرعون وجنوده عن قبول الحق، وصدوا الناس عن دعوة موسى -عليه السلام-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فرعون من أكفر الخلق بالله؛ بل لم يقص الله في القرآن قصة كافرٍ باسمه الخاصِّ أعظم من قصة فرعون، ولا ذكر عن أحد من الكفار -من كفره وطغيانه وعلوه- أعظم مما ذكر عن فرعون".

فقد نصب فرعون العدا لبيني إسرائيل -وهم خيار أهل الأرض، من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم- بالذبح والاستعباد، وذلك لرؤيا رآها فرعون، أو لما يتدارسونه فيما بينهم مما يؤثر عن إبراهيم -عليه السلام-، أن سقوط ملكه على غلامٍ من بني إسرائيل، فقام بذبح الغلمان واستحياء النساء، قال -تعالى-: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّرُ الْأَبْنَاءَ هُمْ وَيَسْتَخِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٤]، وبعد زمن من صنيع فرعون شكَّت الأقباطُ قلة الولدان عند تفاني الكبار، فأمر بالقتل عامًا وبالعفو عامًا.

ويقدر الله أن يولد موسى -عليه السلام- في العام الذي يقتل فيه فرعونُ الغلمان، فأوحى الله إلى أم موسى (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصص: ٧]، ثم بدأت مرحلة النشأة في دار فرعون حين التقطه آل فرعون (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) [القصص: ٨].

وألقى الله على موسى -عليه السلام- محبة الناس له، قال -تعالى-: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) [طه: ٣٩]، فما أحد رأى موسى إلا أحبه، وشفعت زوجة فرعون لموسى -عليه السلام- فقالت:

(قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [القَصَص: ٩].

وبعد التقاط آل فرعون لموسى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) [القَصَص: ١٠]، أي: من أمور الدنيا إلا من موسى -عليه السلام-، وأوصت ابنتها لتتبع أثره، فجعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده، وحرّم الله المراضع على موسى -عليه السلام-، فقالت أخته: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) [القَصَص: ١٢]، فلما أتوا به إلى أمه أرضعته فارتضع، واجتمع شمله بشملها، وهذا مصداق لقول الله -تعالى-: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) [القَصَص: ١٣].

وبعد أن بلّغ أشده دارت أحداث جعلته يتوجه لتقاء مدين، ثم مكث فيها زمناً، ثم خرج منها، وفي طريق عودته - وكان مسيره في ليلة باردة وتاه مع زوجته الطريق - آنس من جانب الطور ناراً، فقال لأهله: (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) [التَّمَل: ٧]. قال ابن كثير -رحمه الله-: "أتاهم منها بخيرٌ وأيّ خير، ووجد عندها هدى وأيّ هدى، واقتبس منها نوراً وأيّ نور"، وكلمه الله وأراه الله آية عظيمة، وهي (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) [القَصَص: ٣١].

وأمره الله بدعوة فرعون حيث ادعى الربوبية فقال: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) [النَّازِعَات: ٢٤]، وقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [القَصَص: ٣٨]، فدعا موسى -عليه السلام- ربه فقال: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي) [طه: ٢٥-٢٨].

ودارت المحاورة مع فرعون بقوله (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلُهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) [الشُّعْرَاء: ٢٣-٢٨].

وأعطاه الله تسع آيات عظيمة - وهي: العصا، واليد، وأخذهم بالسنين وهي القحط، ونقص من الثمرات، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم - قال - سبحانه -: (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) [الزَّحْرَف: ٤٨].

وظن فرعون أن ما جاء به موسى من قبيل السحر، فقال: (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى

* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنَّ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) [طه: ٥٧-٥٩].

فجمع فرعون السحرة من أنحاء بلاده في يوم عيد، واجتمعوا في أول النهار، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [الأعراف: ١١٣-١١٤].

فوعظهم موسى -عليه السلام- وقال: (وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) [طه: ٦١]، لكن السحرة تواصلوا فيما بينهم: (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) [طه: ٦٣-٦٤].

وبدأوا بتخيير موسى إما أن يلقي وإما أن يلقوا (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) [طه: ٦٦-٦٩]. فانكشفت الغمة (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فغلبوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ) [الأعراف: ١١٨-١١٩]، فعلم السحرة أن هذا الصنيع ليس إلا من الآيات العظيمة التي لا يقدر عليها البشر، (وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) [الأعراف: ١٢٠-١٢٢].

فاشتد غضب فرعون وتوعدهم فقال (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف: ١٢٤]، فلم يستجيبوا لتهديده، بل (قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [طه: ٧٢-٧٣].

وبعد إسلام السحرة قال أهل الرأي والمشورة لفرعون: (أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) [الأعراف: ١٢٧]، فطمأن موسى -عليه السلام- قومه ووعظهم بقوله: (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: ١٢٨].

وأوحى الله إلى موسى وأخيه (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [يونس: ٨٧]، ليكونوا على أهبة الرحيل إذا أمروا، ودعا موسى على فرعون لما تكبر وصد عن سبيل الله (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [يونس: ٨٨-٨٩]

وأوحى الله لموسى -عليه السلام- أن يسري ببني إسرائيل، ولحقهم فرعون بجنده فأدركهم عند شروق الشمس، وتراءى الجمعان، وعان كل من الطرفين صاحبه، فقال أصحاب موسى: (إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) [الشعراء: ٦١]، حيث البحر من جهة، وجند فرعون من جهة، ولم يبق لهم طريق في الخلاص.

فقال موسى -عليه السلام- وهو الواثق بربه (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله لموسى -عليه السلام- (أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ) [الشعراء: ٦٣].

وقال الله لموسى مطمئناً له: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى) [طه: ٧٧]، أي: فلا تخشى من إدراك فرعون لك، ولا من البحر أمامك.

فَعَبَّرَ مُوسَى -عليه السلام- ومن معه البحر، فلما اكتملوا خارجين ولحقهم فرعون وجنوده في البحر متكاملين أطبق الله عليهم البحر، قال -سبحانه-: (وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) [الشعراء: ٦٥-٦٦].

فلما أوشك فرعون على الهلاك، وأيقن الغرق قال: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يونس: ٩٠]، وفي قوله هذا: ثلاث عبارات أقر فيها بأنه لا إله إلا الله، أولها: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، وثانيها: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، وثالثها: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

فلم يُقبل إيمانه حين لا ينفع بمعانيه الموت، لأنها لدفع بلية ولم يكن فيها إخلاص، ولو كان في حال رخاء لُقبلت منه الكلمة الواحدة، ولذا قال الله: (الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ

الْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٩١].

وشكَّ بعض بني إسرائيل في غرق فرعون حتى قال بعضهم: لا يموت! قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "فأمر الله البحر فرفعه على مرتفع، وقيل: على وجه الماء، وقيل: على نجوة من الأرض، وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه، ليتحققوا بذلك من هلاكه، ويعلموا قدرة الله عليه".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والله ثنى قصة فرعون في القرآن في غير موضع؛ لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها، فإنه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والإلهية والعلو ما لم يحصل مثله لأحد من المعطلين، وكانت عاقبته إلى ما ذكر الله -تعالى-".

رزقنا الله وإياكم لزوم صراط الله المستقيم، وثبتنا على الحق حتى نلقاه.

الخطبة الثانية:

في العاشر من شهر الله المحرم، قدَّر الله لطاغية زمانه أن يموت غرقاً في البحر، يراه بنو إسرائيل ترفعه الأمواج، وتخفضه تارة، وكان غرقه بما كان يفتخر به (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) [الزَّحْرُفُ: ٥١]، ونجى الله بدنه ليكون عبرةً لغيره (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً) [يونس: ٩٢].

فكان هلاكه نصراً للحق، ودحرًا للباطل، فصامه موسى شكرًا لله، وكانت العرب قبل الإسلام تصومه أيضًا، قالت عائشة -رضي الله عنها-: وإن قريشًا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بصيامه حتى فُرض رمضان، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من شاء فليصمه، ومن شاء أفطر" (متفق عليه).

ورغَّب النبي -صلى الله عليه وسلم- في صيامه وقال: "إنه يكفر السنة التي قبله" (رواه مسلم)، ويستحب صيام يوم التاسع مع العاشر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لأن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" (رواه مسلم).

وفي صيام شهر الله المحرم مزيةً وفضلًا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم" (رواه مسلم).

فهذا اليوم يوم شكرٍ لله حيث مُكِّن لأهل الحق بالظهور في الأرض، لا يوم أحزان ومصائب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما اتخاذ أمثال أيام المصائب مأتم، فليس من دين الله، بل هو إلى دين الجاهلية أقرب، ثم هم قد فوّتوا بذلك ما في صوم هذا اليوم من الفضل".

فهذا الشهر هو من أشهر الله الحرم، وإضافته إلى الله إضافة تشریف وتعظیم، وفي صيامه فضل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم" (رواه مسلم). أظهر الله فيه موسى ومن معه، وأزهد فيه فرعون وجنوده. عمر الله قلوبنا بالإيمان، وختم لنا بخاتمة الإيمان. هذا وصلوا وسلموا على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وآله وصحبه.

الغزوات

عوامل النصر

الخطبة الأولى:

بعث الله نبيّه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- رحمةً للعالمين، قال -سبحانه-: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، فحالته في السّلم يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي الحرب لا يقاتل إلا من يقاتله.

وحين أرسل عليّ بنَ أبي طالب -رضي الله عنه- إلى خيبر قال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك من حُمُر النّعم" (رواه مسلم).

ولما بعث أبو بكر -رضي الله عنه- جيشاً إلى الشام، خرج يتبع يزيد بن أبي سفيان، وقال له: "إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيّاً، ولا كبيراً هرمّاً، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تحزبنَ عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن" (رواه مالك).

وقد نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قتل النساء والصبيان، فحين وُجدت امرأة مقتولة في بعض المغازي، قال: "ما كانت هذه لتقاتل" (متفق عليه).

وهذه الأمة أمة منصورّة من ربها، موعودةٌ بالتمكين والاستخلاف في الأرض بوعد الحق الذي لا يُخلف في آيات كثيرة من القرآن، قال الله -تعالى-: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الرّوم: ٤٧].

وهناك عوامل للنصر ذكرها الله في كتابه وبيّنها رسوله -صلى الله عليه وسلم- عند ملاقاته الأعداء، قال الله -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: ٤٥-٤٦]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "هذا تعليم من الله -تعالى- لعباده المؤمنين آداب اللقائِ وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء".

أولها: ثبات القلب والبدن وكلاهما متلازمان، قال الله -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا) [الأنفال: ٤٥]، فثبات القلب يكون بما وعد الله به المجاهد في سبيله إما بالنصر أو الشهادة، وثباتُ البدن قال -سبحانه- عنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأُدْبَارَ) [الأنفال: ١٥].

والله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فيدل على ثبات القلب والبدن، قال

شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "والشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قويًّا البدن ضعيفَ القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن، وصنعتِه للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به".

ثانيها: ذكّر الله، ففيه راحة القلب واطمئنانه، قال - تعالى - : (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨]، وفي حال لقاء العدو أمر الله بذكره؛ لأن فيه ثبات القلب على اليقين، قال - سبحانه - : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: ٤٥]، وفيه تقوية للقلوب، ووصول لحصول النصر على العدو المرهوب.

ثالثها: طاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - مقرونة في كثير من الآيات، كقوله - تعالى - : (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [المائدة: ٩٢]، وفي هذا الموضع والحال قال - سبحانه - مُذَكِّرًا عباده بها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [الأنفال: ٤٥ - ٤٦]، فطاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - هي الفوز بخيري الدارين قال - سبحانه - : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [النور: ٥٢].

رابعها: اجتناب النزاع والشقاق، قال الله محذّرًا من ذلك: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [الأنفال: ٤٦]، بل أمر - سبحانه - بالاعتصام بحبله المتين، فقال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران: ١٠٣].

وحذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من الاختلاف والفرقة فقال: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" (رواه أبو داود)، ففي التنازع واختلاف الكلمة يفشل العمل، ويزيد الوهن، ويقوى العدو. خامسها: التوكل على الله هو دأب عباد الله المخلصين، قال - سبحانه - : (إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران: ١٦٠]، وقال: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: ٣]. قال القرطبي - رحمه الله - : "من فوّض إليه أمره كفاه ما أهمّه".

سادسها: الصبر وهو دائم في كل حال، ويتأكد عند نزول المحن والمصائب، قال - سبحانه - : (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: ٤٦]، وأخبر الله أنه معهم بنصره وتأييده، وأن الفئة المؤمنة تغلب مثلها من الكفار إذا كانت صابرة، فقال: (الآن خففَ اللهُ عنكم وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُنْ

مِنْكُمْ مِثَّةً صَابِرَةً يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: ٦٦]، وقد أمر الله بالصبر فقال: (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [آل عمران: ٢٠٠].

قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: "واعلم أن النصر مع الصبر" (رواه الترمذي)، وفي الصحيحين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قام يوم الأحزاب في الناس فقال: "يا أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف".
سابعها: الدعاء، ويتأكد في حياة المسلم دائماً وأبداً في شدته ورحائه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب؛ فليكثر الدعاء في الرخاء" (رواه الترمذي).

وفي بدر دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له أبو بكر -رضي الله عنه-: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله قوله -تعالى-: (أَنِّي مُمِدِّدُكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: ٩]، ومعنى مردفين: أي متتابعين، وقيل: إن وراء كلِّ ملكٍ ملكٌ.

قال الربيع بن أنس: "إن الله أمدهم بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف". وقال أنس -رضي الله عنه- إذا غزا النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل" (رواه أبو داود).

وكان من دعائه -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم" (متفق عليه).

ثامنها: اليقين الكامل بنصر الله، فهو أحد عوامل النصر المهمة، ففي غزوة الأحزاب وقد رمتهم العرب عن قوس واحدة بَشَّرَ النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه بفتح بلاد فارس والروم، كما بشر في حادثة الهجرة بفتح بلاد فارس حين قال لسراقة بن مالك: "كأني بك قد لبست سوارى كسرى"، وكما طمأن صاحبه الصديق -رضي الله عنه- وهما في الغار بقوله: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التوبة: ٤٠].

تاسعها: تقوى الله والإحسان في عبادته؛ لأنه -سبحانه- قد وعد من اتقاه بأن ينصره على عدوه

وينال المعية الخاصة له من الله المقتضية للنصر والتأييد، قال الله: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ٣٦].

وقال - سبحانه -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ١٢٣]، فالمعاصي سبب لخذلان الله للعبد أحوح ما يكون إليه (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) [آل عمران: ١٥٥].

قال ابن كثير - رحمه الله -: "أمر - تعالى - بالثبات عند قتال الأعداء، والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا، ولا ينكأوا، ولا يجبئوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال، ولا ينسوه، بل يستعينوا به، ويتوكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك، فما أمرهم الله - تعالى - به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا، وقد عاب - تعالى - على اليهود تشتت قلوبهم عند القتال في قوله - تعالى -: (نَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) [الحشر: ١٤]، وامتدح المؤمنين في قتالهم بوحدهم (كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ) [الصف: ٤]".

هذه أبرز عوامل النصر، ومتى زالت أو بعضها، زال من النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضًا، وصار لها أثر عظيم في النصر، ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم، وفتحوا الدنيا، ودانت لهم البلاد، ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت، آل الأمر إلى ما آل.

اللهم انصر دينك، وكتابك، وعبادك الصالحين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

معيار نصره الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم - ليست بالكثرة ولا بالعتاد، فحين قالوا يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة أصحاب المسلمون ما أصابهم قال - سبحانه -: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) [التوبة: ٢٥].

فمقياس النصر هو الإيمان والتقوى: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة: ٢٤٩]، كما أن النصر بيد الله - سبحانه -: (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ) [آل عمران: ١٣].

والنصر على الأعداء مربوط بنصرة العباد لدين الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [مَحْمَد: ٧]، وقال أيضاً: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الرُّوم: ٤٧]، وقال عن الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام-: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الصَّافَات: ١٧١-١٧٣].

ونصر الله قريب من عباده المؤمنين، قال -سبحانه-: (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البَقَرَة: ٢١٤]، فمهما حدثت الشدة والأذى إلا أن الله قوي سميع بصير، يورث الأرض لعباده الصالحين: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [الأنبياء: ١٠٥]، وقال عن رُسله -عليهم السلام-: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) [إبراهيم: ١٣-١٤].

فما أحدٌ تمسك بجبل الله إلا عز ونصر، وما من أحد فرط واعتمد على قوته وعتاده إلا ذلَّ.
اللهم انصر عبادك المؤمنين، واجمع كلمتهم على الحق والدين.

غزوة بدر

الخطبة الأولى:

بعد الهجرة النبوية المباركة، نزل قوله -تعالى-: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩]، قال أبو بكر -رضي الله عنه-: "فعرفت أنه سيكون قتال".
وقد كانت قريش آنذاك في تهديد مستمر للمسلمين وهم في المدينة، وتوعدهم بقولهم: "لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم، ونبيد حضرائكم في عقر داركم".
وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- حذرًا فلا ينام إلا بحراسة، قالت عائشة -رضي الله عنه-:
"كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُحرس حتى نزلت هذه الآية (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: ٦٧]، فأخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- رأسه من القبة فقال لهم: "يا أيها الناس: انصرفوا فقد عصمني الله" (رواه الترمذي).

وهذا الخطر ليس خاصًا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، بل لكل الصحابة -رضي الله عنهم-، قال أبي -رضي الله عنه- في وصف حالهم: "إنهم لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يُصّبون إلا عليه".
وكان مما أراه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يكون هناك حصار اقتصادي على قوافل قريش المتجهة للشام، وهي ظاهرة لدى قريش من خلال قول سعد بن معاذ لأبي جهل عندما أراد العمرة: "لئن منعتني من أن أطوف، لأقطعن متجرك بالشام -أي تجارتك-".

وبعد نزول الإذن بالقتال عقد النبي -صلى الله عليه وسلم- مع القبائل المجاورة لطريق تجارة قريش، وبعث بعوثًا وسرايا إلى هذا الطريق، لبسط نفوذ المسلمين عليه، لإظهار قوتهم وحصار تجارة مكة، كل ذلك قبل غزوة بدر الكبرى.

فأرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- أربع سرايا: سيف البحر، وسرية إلى رابغ، والخزّار، وسرية نخلة، وشارك النبي -صلى الله عليه وسلم- بأربع غزوات: غزوة الأبواء، وبواط، وسفوان، وذبي العشيرة، وهي الغزوة التي فيها أموال قريش، ولكن فاتت قبل وصول المسلمين لها بأيام، وهذه العير التي خرج بطلبها النبي -صلى الله عليه وسلم- حين رجعت من الشام، صارت سببًا لغزوة بدر الكبرى.

هذه الغزوات والسرايا لم يكن هناك فيها قتال مباشر، إما أن تنتهي بالتفرق دون قتال، أو بمعاودة بين الطرفين، أو رمي بينهما، أو تكون العير مرّت قبل وصول المسلمين، باستثناء سرية نخلة وكانت مهمة السرية رصد عير قريش وقد قُتل فيها عمرو بن الحضرمي، وأفزح مقتله قريشًا، فعلموا أن المسلمين

يتربون قوافلهم التجارية.

ثم أنزل الله - سبحانه - : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا) [البقرة: ١٩٠]، وأعقبها نزول قول الله - عز وجل - مبيناً طريقة القتل: (إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) [محمد: ٤].

هذه الأحداث السابقة بدأت من رمضان من العام الأول من الهجرة، إلى شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة - أي خلال تسعة أشهر انطلقت ثمانية سرايا أو غزوات، بمعدل غزوة أو سرية في كل شهر، عدا الأشهر الحرم -.

وكان القصد من بعث هذه السرايا والغزوات إرباك قريش، وإظهار قوة المسلمين، ومعرفة بطرق المنطقة، وبعد شهر من آخر سرية - وهي سرية نخلة - أتى الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، فتطلعت معنويات المسلمين لتطهير قبلتهم من رجس المشركين.

وفي شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - بأبي سفيان مقبلاً من الشام بتجارة قريش، وقال هذه غير قريش فيها أموال، فخرجوا إليها لعل الله أن ينقلكموها، وقيل: إن هذه الأموال جزء منها للمهاجرين المسلمين من أهل مكة استولت عليها قريش ظلماً وعدواناً.

خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يستنفر كل الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضراً، ولم يأذن لمن أراد أن يأتي بظهره من علو المدينة، ولذا لم يعاتب النبي - صلى الله عليه وسلم - أحداً تخلف عنها، وكان عددهم يزيد عن الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً بقليل، معهم فرسان، وسبعون بعيراً، يعتقب الرجالن والثلاثة على البعير الواحد.

علم أبو سفيان بالأمر وحول طريقه باتجاه البحر، وأرسل لقريش من يعلمهم بالأمر، فخرجت مكة مسرعةً للقاء المسلمين، بقوة وعتاد بلغ ألف رجل، ومائة فارس، وستمائة درع، وجمالاً كثيرة، خرجوا مفتخرين بعددهم وعتادهم، كما وصفهم الله: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [الأنفال: ٤٧].

وعندما نجت قافلة أبي سفيان، أرسل لأهل مكة يخبرهم بالأمر، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة، فهم الجيش بالرجوع، فقال أبو جهل: "والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم بها ثلاثاً، فنحمر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب مسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا"، إلا أن بني زهرة وطالب بن أبي طالب رجعوا إلى مكة.

بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- خبر القوم ومسيرهم، فاستشار أصحابه الذين لم يتوقعوا أن تكون فيه مواجهة بين الطرفين، ولم يأخذوا الاستعداد الكامل لها، ولا يمكنهم طلب إمدادات من المدينة لبعدها عن بدر، وتضاريس أرض المعركة فيها ليونة ورمال، وهم في أول سنة يفرض عليهم الصيام.

فتكلم المهاجرون، منهم أبو بكر وعمر والمقداد -رضي الله عنهم-، وكان مما قاله المقداد: "يا رسول الله! امض لما أراك الله فنحن معك، لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- أشرق وجهه وسرَّ. يعني: قوله" (رواه البخاري).

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدها: "أشيروا علي أيها الناس؛ لرغبته في سماع رأي الأنصار، لكثرتهم، ولأن بيعة العقبة معهم لم يكن فيها إلا حماية النبي -صلى الله عليه وسلم- في المدينة وليس خارجها، فهَمَّ سعدُ بنُ معاذ -رضي الله عنه حامل لواء الأنصار- مراد النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "والله لكأنك تريدنا يا رسول الله".

قال: "أجل"، قال: فقد آمننا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد".

بعدها قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم"، حينها سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن مكان القوم وعددهم ومن معهم، فلما أخبروه قال: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها".

وقد أنزل الله تفصيل مكان اجتماع الجيشين كما في قوله -تعالى-: (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا) [الأنفال: ٤٢]، -القري من المدينة- (وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى) [الأنفال: ٤٢]، -أي: البعيدة منها- (وَالرُّكْبُ) [الأنفال: ٤٢]، -أي: العير- (أَسْفَلَ مِنْكُمْ) [الأنفال: ٤٢]، مما يلي البحر.

ورأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام قلة عدد جيش المشركين: (إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ) [الأنفال: ٤٣]، أي: أمر القتال (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) [الأنفال: ٤٣]، أي: من الفشل والتنازع.

ومن منن الله في ذلك اليوم قوله -تعالى-: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا) [الأنفال: ٤٣]

[٤٤]، أي: لتتقدموا لقتالهم (وَيُقَلِّلْكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ) [الأنفال: ٤٤]، أي: ليتقدم المشركون لكم، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم رأي العين (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) [الأنفال: ٤٤].

وفي ليلة المعركة أنزل الله مطرًا طهر به المؤمنين، وثبت الأرض تحت أقدامهم، وجعلها وبالاً على المشركين فلم يتقدموا: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) [الأنفال: ١١]، وفي يوم بدر غشيهم النعاس أمانة مما حصل في قلوبهم من الخوف، كما قال -عز وجل- في صدر الآية: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ) [الأنفال: ١١].

في هذه الأثناء وقع خلاف بين المشركين في القتال أو العودة إلى مكة، فقد أتى حكيم بن حزام لعتبة بن ربيعة وقال: إنك كبير قريش، وسيدها، والمطاع فيها، فهل لك إلى خير تُذكر به إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرْجِعْ بالناس، فقام عتبه خطيباً في الناس، يأمرهم بالعودة وحفظ دم الأقباب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن يكن في أحد من القوم خير، فعند صاحب الجمل الأحمر، أن يطيعوه يرشدوا".

وعند التجهيز لمكان الجند، نزل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى رأي الحُباب بن المنذر حين أشار إلى القرب من أدنى ماءٍ من القوم، وعطّلوا ما وراه من القُلب، وبنوا عليه حوضاً من ماء، ليشرب المسلمون منه عند القتال، ولا يشرب منه المشركون، وبُني لرسول الله عريشاً على تلٍّ مرتفع في الشمال الشرقي لميدان القتال لقيادة الجيش، وبات النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة يتضرع إلى الله أن ينصره كما في صحيح مسلم: "اللهم أنجز لي ما وعدتني"، وما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

وفي صبيحة يوم الجمعة، وعندما تراء الجيشان، وقف المسلمون صفوفًا وجَّههم النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض" (رواه مسلم).

بدأت المعركة كعادة القتال بالمبارزة بين الطرفين، واختاروا ثلاثة من الطرفين، فقتل المسلمون مبارزهم من المشركين، وفيهم نزل قول الله: (هَذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) [الحج: ١٩].

وأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- كفًّا من حصى، فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحد منهم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال: ١٧]، نزل المسلمون لساحة القتال بخطى ثابتة وعزيمة وإيمانٍ بالله قوي.

وشارك معهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال علي -رضي الله عنه- "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس بأساً" (رواه أحمد)، وفي رواية مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يتقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه".

بعدها أوحى الله للملائكة الكرام المشاركة في هذه الغزوة: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) [الأنفال: ١٢]، وهذه نعمة خفية أظهرها الله -تعالى- لهم، ليشكروه عليها، وهو أنه -سبحانه- أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا.

وأَنْزَلَ اللَّهُ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ -تعالى-: (إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) [الأنفال: ٩]، ثم أنزل ثلاثة آلاف: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ) [آل عمران: ١٢٤]، ثم أمدهم الله بخمسة آلاف كما قال -سبحانه-: (بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) [آل عمران: ١٢٥]، وفي صحيح البخاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في بدر: "هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب".

نسألك اللهم أن تعز الإسلام وأهله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

التحم الجيشان، وأظهر المسلمون بسالةً وقوةً وصبراً، فقتلوا أشرفاً من المشركين وصناديدهم، فقتل فرعون هذه الأمة -أبو جهل-، وكان قاتله فتيةً حديث السن، وقتل رأس الكفر أمية بن خلف، والعاص بن هشام بن المغيرة، وانجلى المعركة عن نصر كبير، وعز للمسلمين، إذ قتلوا سبعين من المشركين، وأسروا سبعين، ولم يقتل من المسلمين إلا أربعة عشر رجلاً.

فرح المسلمون بهذا النصر الكبير، ودُهِلَ أَهْلُ مَكَّةَ بِخَبْرِ الْهَزِيمَةِ، فذهب الحيسمان بن عبد الله الخزاعي بالخبر، وعد لهم أسماء القتلى من أشرف مكة، كعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبي الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، فلما سمعه صفوان بن أمية شك في عقله، وكان قاعدًا في الحجر، فقال: "إن يعقل هذا فسألوه عني، قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا".

قال أبو طلحة -رضي الله عنه-: "أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتلى المشركين فقتلوا في طوي من أطواء بدر خبيث، وبعد ثلاثة أيام من مكته ببدر، وقبل ارتحاله إلى المدينة، قام على شفة الركبة، فجعل يناديهم بأسمائهم، "يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان: أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله! فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟" فقال عمر يا رسول الله! ما تكلم من أجسادٍ لا أرواح لها؟، فقال: "والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" (رواه البخاري).

جمعت الغنائم، واختلف الصحابة -رضي الله عنهم- في أمر تقسيمها لأنها لم تشرع مصارفها، فأنزل الله في ذلك: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) [الأنفال: ١]، وهي رحمةٌ وتخفيف من الله لهذه الأمة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله أطعمنا الغنائم رحمةً رحمنًا بها، وتخفيفًا خففه عنا، لما علم من ضعفنا" (رواه النسائي).

قال ابن حجر -رحمه الله-: "فيه اختصاص هذه الأمة بجل الغنيمة، وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر، وفيها نزل قوله -تعالى-: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) [الأنفال: ٦٩]، فأحل الله لهم الغنيمة".

ولما ساق النبي -صلى الله عليه وسلم- الأسرى للمدينة، اختلفوا في أمرهم أيضًا، فأنزل الله -تعالى-: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [الأنفال: ٦٧-٦٨]، والكتاب الذي سبق (فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ) [حمم: ٤].

فأخذ أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- منهم الفداء من الدراهم، وقد تباين بحسب مال كل أسير، ومن لم يكن عنده فداء دُفع إليه عشرة غلمانٍ من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة، وإما يَمُنُّ عليهم بمقابل أن يُحَلُّوا رجالاً من المسلمين، ومن الأسرى من أطلقهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بدون فداء، واستوصى بهم خيرًا، فأسلم منهم الكثير.

بعد غزوة بدر أسلم من أسلم، وأظهر النفاق من أظهر، وسمى الله تلك الغزوة بيوم الفرقان، حيث فرق فيها بين الحق والباطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في أمر هذه الغزوة: "وكانت غزوة بدر أول غزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار، وقتل الله أشرفهم، وأسر رؤوسهم، مع قلة المسلمين وضعفهم".

وعن أحداث هذه الغزوة أنزل الله قرآنًا يتلى كما في آياتٍ من سورة آل عمران، وأنزل سورة كاملة

بشأنها وهي سورة الأنفال.

لأهل بدر فضل كبير خصهم الله به، قال رفاعه -رضي الله عنه-: "جاء جبريل لرسول الله فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد من الملائكة" (رواه البخاري)، وعند ابن ماجه "قالوا خيارنا، قال: كذلك هم عندنا خيارنا من الملائكة".

وصنّف الأئمة أبوابًا في مصنفاتهم، كالإمام البخاري أورد بابًا سماه: باب فضل من شهد بدرًا، وكذلك الإمام مسلم: باب من فضائل أهل بدر، وابن ماجه باب فضل أهل بدر، وسبّر أهل السير أسماء من شهد تلك الغزوة كابن إسحاق، وابن هشام، ولم يكن ذلك إلا لعلو مقامهم، وعظم شأنهم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في قصة حاطب كما في الصحيحين "لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد عُفِرَ لكم".

ولأهميتهم، ورفع شأنهم، وسموّ منزلتهم، كان لهم مقام كبير عند سلف الأمة، قال حصين الأسدي -رحمه الله-: "إن أحدكم ليفتي في المسألة لو وردت على عمّر لجمع لها أهل بدر".
ولما قُتل عثمان -رضي الله عنه- قال سعيد بن المسيب: "جاءت الصحابة وغيرهم إلى دار عليّ، فقالوا: نبايعك، فأنت أحق بها، فقال: إنما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضوا به فهو الخليفة، فلم يبق أحد إلا أتى عليًّا".

رضي الله عن صحابة نبينا محمد وأرضاهم، وأعز الله جنده، ونصر حزبه.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

غزوة أحد

الخطبة الأولى:

غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- تختلف من واحدة لأخرى، لتباينها من جهة العدو وعُدته، والمسافة إليه، وزمانها، ومكانها، والظروف التي أدت إليها. وهذه غزوةٌ هي من أشد وأصعب الغزوات، ذكر الله أحداثها في أكثر من ستين آية من كتابه الكريم، وانكشف فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- للعدو وأصابه منهم جراحات، وهي الغزوة الأولى التي يلتقي فيها الجيشان على شبه ميعاد.

إنها غزوة أحد، وقعت في شمال المدينة النبوية، في شهر شوال، من العام الثالث من الهجرة النبوية، وأعظم سبب لتلك الغزوة هو تأثر المشركين لقتلهم الذين قُتلوا في بدر، والذين كانت لهم السيادة والرياسة، والشرف في قريش، ومن أسبابها إعادة هيبته ومكانة قريش لدى العرب بعد أن فقدتها في بدر. استعدت قريشٌ لهذه الغزوة من أرياح قافلة أبي سفيان التي نجت في بدر، وجمعت قريشٌ أحلافًا لها من القبائل، وأوكلت لقيادة هذا الجيش أهل الخبرة في فنون القتال؛ كخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل.

وخرجت النساء كذلك مع الجيش؛ لإثارة روح الحماس، وتخويفهم من العار إذا فروا، رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في منامه ما سيحدث، وذكره لأصحابه قائلاً لهم: "رأيت في رؤياي أنني هزرت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى فعاد كأحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت بقراً -والله خير- فإذا هم المؤمنون يوم أحد" (متفق عليه).

ولما اقترب العدو من المدينة استشار النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه في الخروج إليهم، أو التحصن في المدينة، فرأت طائفة منهم الخروج للعدو، إظهاراً للشجاعة والرغبة في المشاركة، خاصة من فاته الاشتراك في بدر، والنبي -صلى الله عليه وسلم- رأى البقاء في المدينة للاستفادة من تحصنها، حسم النبي -صلى الله عليه وسلم- الموقف بأن يخرج -وقد رغب بعض الصحابة رضي الله عنهم- عدم مخالفة رأيه -عليه السلام- بالخروج وهو لا يبس لأمته وقال: "ما كان لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز" (رواه أحمد).

خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعه ألف من الصحابة -رضي الله عنهم-، وعندما وصلوا إلى

نصف المسافة انسحب المنافق ابنُ سلولٍ بثلاث الجيش، بحجة أنه لن يقع قتالٌ مع المشركين، ورفض القتال خارج المدينة، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أطاع الولدان، ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني علام نقتل أنفسنا؟

وقد أنزل الله في شأنهم: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

وصل المسلمون إلى جبل أحد بعد أن تجاوزوا معسكر المشركين، والبالغ عددهم ثلاثة آلاف، فأصبح المشركون بين المدينة والجيش الإسلامي، وورع النبي -صلى الله عليه وسلم- المهام والقيادات، وانتقى خمسين من الرماة، ووضعهم في تلٍّ عَيْنَيْنِ المقابل لأحد، خشيةً تطويق المشركين للمسلمين، وأوصى الرماة "إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم" (رواه البخاري).

التقى الجيشان بكفةٍ غيرٍ مرجوحة، لأن ميزان القوة هو ميزان الإيمان، قال -سبحانه-: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ٢٤٩]، بدأت المعركة بالمبارزة، وقتل المسلمون جميع من بارزهم، ثم التحم الجيشان، واشتد القتال، واستبسل المسلمون في صد المشركين، وكان أعظمهم أثرًا حمزة بن عبدالمطلب -سيد الشهداء- وأبا دجاجة -رضي الله عنهما-.

دارت رحي الغزوة، وصدق المسلمون في اللقاء، فأوقعوا في المشركين القتل، وفي ذلك قال -سبحانه-: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ) [آل عمران: ١٥٢]، فرَّ المشركون من ميدان المعركة بعد أن أثنى عليهم المسلمون قتلاً، وأكرم الله من أكرم من الصحابة -رضي الله عنهم- بالشهادة.

بعدها أبصر الرماة المشركين فارّين باتجاه مكة، فاجتهدوا في النزول من الجبل لجمع الغنائم، وذكّرهم عبدُ الله بنُ جبيرٍ -رضي الله عنه- بقوله: أنسيتم ما قال لكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟!، وكانت فرصةً مواتيئةً لخالد بن الوليد ليلتف على المسلمين، فراه المشركون، فعادوا إلى ميدان القتال مرة أخرى محيطين بالمسلمين.

وارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يُقدِر أن يميز بعضهم المسلم من الكافر، فابتعد جمعٌ منهم الميدان، وجلس بعضهم بدون قتال، ومنهم من قاتل واستبسل في هذا الوقت الذي رأى فيه ضعف المسلمين -كأنس بن النضر، وزيد بن ثابت، وغيرهما- - وقد نزل فيهم: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحراب: ٢٣].

وكان من أسباب الارتباك وتراجع المسلمين أنه أشيع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قُتل، فوقف من وقف مذهولاً من الخبر، فقال أنس بن النضر لجماعة وقد ألقوا ما بأيديهم: "ما تنتظرون؟ فقالوا قُتل رسول الله، قال: وما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله". وقال ثابت بن الدحداح -رضي الله عنه- لقومه: "يا معشر الأنصار! إن كان محمد قد قُتل، فإن الله حي لا يموت، قاتلوا على دينكم فإن الله مُظْفِرُكُمْ وناصركم".

فأطلع أثناء هذا الوقت العصيب كعب بن مالك -رضي الله عنه- في الجموع، فوجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيًّا لم يُقتل، فبشّر المسلمين، فأسكته النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى لا ينتبه المشركون له، وتمكن بعض المشركين من الوصول للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فتسابق من تسابق لحمايته، فقتل سبعة من الأنصار، وأصيب النبي -صلى الله عليه وسلم- بإصابات كثيرة، "فكُسرَت رِباعِيَّتُهُ، وشُجَّ في وجهه، وسال دمه، فجعل يمسحه وهو يقول: كيف يُفْلِح قومٌ شجوا نبيهم فنزلت: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) [آل عمران: ١٢٨]" (رواه البخاري).

وفي أثناء احتدام الغزوة أيد الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بجند من عنده، قال سعد -رضي الله عنه-: "رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد" (متفق عليه). وفي رواية مسلم -يعني: "جبريل وميكائيل". فثبت المسلمون في هذه الغزوة خير ثبات، رغم الحنة والشدة.

اللهم أعز الإسلام وأهله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

صمد المسلمون في الدفاع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفشل المشركون في اختراق تحصينات المسلمين والوصول للرسول -صلى الله عليه وسلم-.

وأشرف أبو سفيان على المسلمين وقال أفيكم محمد؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا تجيئوه فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيئوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يجزئك، قال

أبو سفيان: اعلُ هُبَل، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أجيبوه**، قالوا: ما نقول؟ قال: **قولوا: الله أعلى وأجلّ**، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أجيبوه**، قالوا: ما نقول؟ قال: **قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**" (رواه البخاري)، وفي رواية المسند "أن عمر قال: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاككم في النار".

انجلت الغزوة عن عدد كبير من الشهداء -وهذا تحقيقٌ لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم- قبل الغزوة، بلغوا سبعين شهيداً، وعلى رأسهم سيد الشهداء عمُّ رسول الله حمزة بن عبدالمطلب؛ قد بُقر بطنه ومُثِّل به، فحزن النبي -صلى الله عليه وسلم- حزناً شديداً.

قام النبي -صلى الله عليه وسلم- بدفن الشهداء، وكان يجمع الرجلين في ثوب واحد ثم يقول: **"أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أُشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد، وقال: "أنا شهيد على هؤلاء"** (رواه البخاري).

وبعد دفنهم دعا لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وبشّر المسلمين بما نال الشهداء من عظيم الأجر، فعندما سمع بكاء فاطمة بنت عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: **"ولم تبكي؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفِعَ"** (متفق عليه)، ونزل في شهداء أحد: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)** [آل عمران: ١٦٩].

هذه الغزوة الثانية التي التقى فيها الجيشان بعد انتصارهم في بدر، وقد ظهرت سنن الله في رسله -عليهم السلام-، ففي سؤال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال سجال، يُدال علينا المرة ونُدال عليه الأخرى، قال: كذلك الرسل، تبتلئ ثم تكون لهم العاقبة" (رواه البخاري).

رزقنا الله اتباع هدي رسوله، واقتفاء أثره، وحشرنا في زمرة. وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

غزوة الأحزاب

الخطبة الأولى:

في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقائع وأحداث، غيّرت مجرى التاريخ، بدءاً من بعثته، فهجرته، فغزواته، لذا تجد أن كل حدث منها يُعتبر بداية تحوُّل، ونقطة انطلاق لبروغ فجر جديد.

ومن أعظم تلك الوقائع غزوة الأحزاب، والتي سُمي الله بها سورةً من سور القرآن الكريم، ذكر - سبحانه - ما دار فيها من أحداث، وكأنك تعيش لحظاتها، ذُكرت فيها أحوال العدو الخارجي والداخلي، وثبات المؤمنين، وإرجاف المنافقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "غزوة الأحزاب التي أنزل الله فيها سورة الأحزاب، وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزوة، التي نصر الله فيها عبده - صلى الله عليه وسلم -، وأعزَّ فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم".

وقد حدثت هذه الغزوة بعد أن أذاق المسلمون كفار قريش خسائر كبيرة في بدر وأحد، فأراد المشركون أن يُنهبوا هذا الصراع، ويجمعوا أكبر قدر ممكن من المعادين لدعوة الإسلام، فوجدوا مطلبهم في بني النضير، الذين أُجّلوا من المدينة، أو بإغراء بعض من القبائل - كغطفان - أو من كان حليفًا لقريش بإعطائهم نصف ثمار خيبر.

سار جيش المشركين بعدةٍ قدرها عشرة آلاف مقاتل، مقابل ثلاثة آلاف مقاتلٍ من المسلمين، فاستشار الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصحابة - رضي الله عنهم - في الأمر، فأشار عليه سلمان - رضي الله عنه - بحفر الخندق في المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، أما باقي الجهات الأخرى فهي كالحصن لتشابك الأبنية وأشجار النخيل والحرات التي يصعب دخول المشركين منها. وفي هذه الغزوة وقفات:

أولها: شارك الجميع في حفر الخندق، بروح الرجل الواحد، فلا فرق بين غني وفقير، يتقدمهم سيد ولد آدم - صلى الله عليه وسلم -، قال البراء - رضي الله عنه - كما في الصحيحين -: "رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول: "اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزل السكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا".

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري - إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: "اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة"، فقالوا مجيبين له: "نحن الذين بايعوا محمدًا، على الجهاد ما بقينا أبدًا".

وفي تحصنهم هذا فعلٌ للأسباب، وتهيئ للقتال، فجموع الأحزاب قدموا من خارج المدينة، ويهود بني قريظة في داخلها، وبينهم وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - عهد في صد أيّ عدوٍ يقدم للمدينة، إلا

أنهم نقضوا العهد، قال -تعالى- فيهم: (الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) [الأنفال: ٥٦].

ثاني هذه الوقفات: من خصال النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يعجبه الفأل، فعندما عرضت صخرة عند حفر الخندق، ضربها الرسول -صلى الله عليه وسلم- عدة ضربات، وفي كل ضربة يُبشِّر أصحابه بإعطائه مفاتيح الشام، وفارس، والمدائن، واليمن.

فكانت منه -صلى الله عليه وسلم- مبشرات أن هذه البلاد سيفتحها المسلمون مستقبلاً، وقد كان موقف الصحابة -رضي الله عنهم-: (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) [الأحزاب: ٢٢]، وأما أهل النفاق فقالوا: (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) [الأحزاب: ١٢].

ثالث هذه الوقفات: ثبات موقف أهل الإيمان في الشدة والرخاء، رغم كثرة الأعداء وتنوعهم، (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: ١٧٣]، مع أن يهود بني قريظة نقضوا العهد، وقد وصف الله حالهم بقوله -عز وجل-: (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) [الأحزاب: ١٠-١١].

الوقفة الرابعة: أن مناخ تلك الغزوة متغير وصعب، فالليالي باردة ومظلمة، وذات ریح شديدة، قال حذيفة -رضي الله عنه- في وصفها: "ما أتت علينا قطُّ أشدُّ ظلمة، ولا أشدُّ ريحًا، في أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبغه"، بل قال قائل من المنافقين: إن محمدًا يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقیصر، وإن أحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط.

استمر الحال على هذا الحصار مدة أربعة وعشرين يومًا، والرمي بالنبل لا ينقطع، فقام نعيم بن مسعود -رضي الله عنه- حين أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلمًا مُخْفِيًا إسلامه، وعرض عليه أن يأمره بما يشاء، وكان يأمنه الفريقان جميعًا، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إنما أنت رجلٌ واحد فينا، ولكن خذلنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، فقام بتشكيك يهود قريظة بالمشركين، وأخذ كل واحد منهم يتهم الآخر بالخيانة.

الوقفة الخامسة: دُعاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتضرعه لربه، فكان من دعائه: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم" (متفق عليه).

والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان كثير الصلاة في تلك الأيام، فكان إذا حزبه، أو كربه أمر، فزع إلى

الصلاة - كما في قصة عودة حذيفة رضي الله عنه - حين أتى بخبر القوم، فوجد رسول الله يصلي، فاستجاب الله دعاء رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فهبت ريحٌ شديدةٌ أكفأت قدورَ المشركين، واقتلعت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، ودفنت رحالهم، وكان من قوة هذه الرياح أنها جعلتهم لا يوقد لهم نار، ولا يقرُّ لهم قرار، حتى ارتدوا على أعقابهم بخيبة وخسارة.

بعث الله عليهم صبا باردةً في ليلة شاتية، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور" (متفق عليه).

والدبور هي الرياح الغربية، والصبا الرياح الشرقية. فأحصرتهم - أي أهلكتهم بالبرد - وسقت التراب في وجوههم، وقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت الخيل بعضها في بعض، وقذف في قلوبهم الرعب والخوف، فكان كل رئيس قبيلة يقول: "يا بني فلان! إليّ، فيجتمعون إليه، فيقول: النجاء النجاء".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

أحداث تلك الغزوة عديدة، فقد تضمنت مبشرات بفتح الأقاليم، وانطلاقةً لغزو قريشٍ بدل قدومهم من مكة، كما في بدرٍ وأحد، وهذه بداية زوال قوة قريش لهم، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "الآن نغزوهم، ولا يغزوننا" (رواه البخاري)، فكان - صلى الله عليه وسلم - يغزوهم حتى فتح الله لهم مكة.

كما أن بعد هذه الغزوة أجلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يهود بني قريظة من المدينة لما نقضوا الصلح، قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لنا لما رجع من الأحزاب: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة" (رواه البخاري).

ومن الدروس أيضاً: أن قوة الله لا تُغلب، ولا يعلم جنود ربك إلا هو (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) [الأحزاب: ٩].

فأرسل الله عليهم ريح الصبا، فلا يقرُّ لهم قرار، ولا يثبت لهم إناء، ولا توقد لهم نار، وهم في أمس الحاجة لها، قال ابن كثير - رحمه الله -: "لولا أن الله جعل رسوله - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين، لكانت هذه الرياح عليهم أشد من الرياح العقيم التي أرسلها الله على قوم عاد".

فكفى الله المؤمنين القتال وحده، ونصر عبده، وأعز جنده، ولهذا يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -:

"لا إله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده" (متفق عليه).

الأحداث والوقائع في هذه الغزوة كثيرة وعديدة، منها: وليمة جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن الطعام لا يكفي إلا لرجل أو رجلين، فدعا النبي -صلى الله عليه وسلم- من كان حاضرًا، وعددهم ألف، لكنَّ الله بارك في الطعام، فأكلوا منه كلُّهم حتى شَبِعُوا، وتركوا الكثير، وأكل منه جابرٌ وأهله وأهدوا منه أيضًا.

وقصة أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- لحذيفة -رضي الله عنه- ومجيئه بخبر القوم.

ومن الأحداث التي حصلت للمسلمين قوَّةُ مناوشاتِ العدو، والرميُّ بالنَّبَلِ مدَّةَ الحصار دون انقطاع، وهذه شغلت المسلمين عن أداء صلاة العصر، فصلوها بعد المغرب، قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الخندق فقال: "مألاً الله قبورهم وبيوتهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس" (متفق عليه).

والأحداث عديدة لأن أيام الغزوة طويلةً قاربت أربعة وعشرين يومًا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

فاللهم أحيينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

فتح مكة

الخطبة الأولى:

غزا النبي -صلى الله عليه وسلم- غزوةً هي من أهم الغزوات زماناً ومكاناً، حيث دكّت معقلَ المشركين وزلزلت عروشهم، ولأهميتها فإنه لم يتخلف عنها أحدٌ من المهاجرين أو الأنصار، وفضلها أنزل الله فيها أكثر من سورة في القرآن الكريم.

إنها غزوة فتح مكة، قال ابن القيم -رحمه الله- عن هذا الفتح: "أعز الله به دينه ورسوله وجنّده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطنابُ عزّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأشرقت به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا".

وكان سبب فتح مكة نقضُ بني بكر -حليفة قريش- للمعاهدة وإغارتهم على خزاعة - حليفة النبي -صلى الله عليه وسلم- وإمدادُ قريشٍ لبني بكر بالسلاح والرجال، مستغلين ظلمة الليل، وامتد القتال إلى الحرم ولم ينتهوا، فأسرع عمرو بنُ سالم الخزاعي إلى رسول الله، وأنشد أبياتًا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدها: "نصرت يا عمرو بنُ سالم" (رواه البيهقي).

علمت قريشُ شرَّ صنيعها حيث نقضت بذلك العهد، فأرسلت أبا سفيان للمدينة لتجديده مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا أن زيارته لم تفلح مع أيٍّ من الصحابة أو النبي -صلى الله عليه وسلم-. تجهز النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمر الناس بالتجهز، ولم يُسمَّ الجهة، ثم أعلمهم أنه سائر إلى مكة، استنشرت القبائلُ حول المدينة، حتى بلغ قوامُ الجيش عشرة آلاف مقاتل.

وعندما تهيأ الجيش أرسل حاطبُ بنُ أبي بلتعة -رضي الله عنه- كتابًا مع امرأةٍ إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله، فأرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- على إثرها عليًّا والزبيرَ والمقدادَ -رضي الله عنهم-، فأخرجته، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لحاطب: "يا حاطبُ ما هذا؟" فذكر عذرًا له، فعذره النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي قصته ظهر فيها فضلُ أهل بدر -والقصة بتمامها في الصحيحين-.

خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- في شهر رمضان، من السنة الثامنة من الهجرة، ووصل مكة بعد تسع ليالٍ، وقبل وصوله لها أتاه رجل من ألد خصوم أهل الإسلام على مدى عقدين من الزمان، إنه أخُ رسول الله من الرضاة وابنُ عمه، أبو سفيان بنُ الحارث بن عبدالمطلب، وابنُ عمّة رسول الله عبْد

الله بنُ أبي أمية بن المغيرة، فأعرض عنهما النبي -صلى الله عليه وسلم- من شدة الأذى، فقالت أم سلمة -رضي الله عنها-: "لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك".

قال ابن القيم -رحمه الله-: "حسن إسلام أبي سفيان ويقال: ما رفع رأسه إلى رسول الله حياءً منه، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحبه، وشهد له بالجنة، وقال: "أرجو أن يكون خَلْفًا من حمزة"، ولما حضرت أبا سفيان الوفاة قال: لا تبكوا عليّ فوالله ما تنظفت بخطيئة منذ أسلمت".

أوصى به النبي -صلى الله عليه وسلم- خيرًا، قال العباس: "يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئًا، فقال: "من دخل دار أبا سفيان فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن" (رواه مسلم).

وأسلم في هذه الأثناء عمُّ النبي -صلى الله عليه وسلم- العباس -رضي الله عنه-، وأمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجلس أبا سفيان عند مضيق الجبل حتى تمر به الجند، فلما رأى كتيبة خضراء فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- والمهاجرون والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبلاً ولا طاقة، ثم قال: والله لقد أصبح مُلك ابن أخيك اليوم عظيمًا، فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: نعم إذًا.

وعندما وصل النبي -صلى الله عليه وسلم- والجيش إلى ممر الظهران، عيّن القادة، وقسم الجيش، وكانت قريشُ جمعت قبائلَ لحرب المسلمين، فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم، وسار الجيش حتى وصل الصفا، ودخل النبي -صلى الله عليه وسلم- من أعلاها من جهة كداء خاشعًا: "يقرأ سورة الفتح، ويُرجع في قراءتها وهو على راحلته" (متفق عليه).

وأمر بقتل أربعة من الرجال وامرأتين لما لهم من أذى وتنكيلٍ بالمسلمين، فقتل منهم من قتل، وهرب منهم من استأمن وأسلم.

أحلَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- الخزاعة أن تتأر من بني بكر في اليوم الأول من الفتح حتى العصر، وبعدها أمر بكفّ السلاح وبينَّ للمسلمين حرمة مكة، وأنها لا تُغزى بعد الفتح، وأعلى من مكانة قريش كما في حديثه "لا يُقتل قرشيٌّ صبرًا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة" (رواه مسلم).

قال النووي -رحمه الله-: "هذا فيه إعلامٌ بأن قريشًا يُسلمون كلُّهم، ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده -عليه السلام- ممن حورب وقتل صبرًا".

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

نزل النبي -صلى الله عليه وسلم- بالحجون وضربت له قبة، وأمر بتطهير البيت الحرام بإزالة الأصنام، وشارك بيده في تكسيها وهو يقرأ: (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) [سَبَأ: ٤٩]، وكذلك قوله -سبحانه-: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء: ٨١].

وكان عددها ستين وثلاثمائة، وبداخل الكعبة صورٌ لإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحق، وهم يستقسمون بالأزلام، ولـطَّخت بالزَّعفران، ولم يدخل الكعبة إلا بعد إخراجها منها، وقال: "قاتلهم الله! ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام" (رواه ابن أبي شيبة).

وعندما طُهرت الكعبة، دخلها وصلى بها ركعتين، ثم خرج، وأعطى مفتاح الكعبة لعثمانَ بن طلحة -رضي الله عنه- وقال له: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليومَ يومَ بَرٍّ ووفاء"، وأبقى الحِجَابَ في أيدي بني شيبة كما كانت في الجاهلية.

طاف النبي -صلى الله عليه وسلم- بالكعبة مستلمًا الحجر الأسود، وطاف بالبيت بدون إحرام، وكان على رأسه المِغْفَرُ يومَ دخل مكة، ثم لبس عمامةً سوداء، وأمر بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة. أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدها بعوثًا إلى المناطق المختلفة، لإزالة أكبر الأصنام التي بها -كالعزى، ومناة، وسواع - وهي التي ذكرها الله في قوله: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) [النجم: ١٩]، اجتمع الناس لمبايعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما فرغ من بيعة الرجال، بايع النساء، وكان يبايعهن بالكلام، وما مست يده يد امرأة أجنبية - كما في الصحيحين -.

ثم أتت القبائل مبادرين بالإسلام، لأنهم ينتظرون ماذا يؤول الأمر إليه، هل لمحمد أو لقريش، بعدها دخل الناس في دين الله أفواجًا، وأقام النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة تسعة عشر يومًا، خُطب بها خُطبًا بين فيها أحكامًا وأمورًا، وألغى ثارات الجاهلية، وبَيَّن حرمة مكة، وحرمة الصيد فيها، وخلاها، وشجرها، ولُقِطَها، وتحريم القتال فيها، - كما في الصحيحين -، فأصبحت مكة دارَ إيمان، لا هجرة منها بعد الفتح.

قال ابن حجر -رحمه الله-: "وهذه بشارة من النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن مكة دارُ إسلام". فاعرفوا لنيبكم قدره، ولصحابته فضلهم، وملكة منزلتها. وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأخلاق والرفائق

بر الوالدين

الخطبة الأولى:

أمر الله بعبادته وتوحيده، وَقَرَنَ بِذَلِكَ الْأَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدِينَ؛ فقال - سبحانه وتعالى -: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء: ٣٦]، مما يدل على تأكيد وجوب بر الوالدين، وَقَرَنَ شُكْرَهُ بِشُكْرِهِمَا: (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان: ١٤].

بل وصى الله الابن بوالديه (حُسْنًا) [العنكبوت: ٨]، و(إِحْسَانًا) [النساء: ٣٦]، قال ابن كثير - رحمه الله -: "أي أمرناه بالإحسان إليهما، والحنو عليهما".

وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام، كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - سئل النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أي العمل أحب عند الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله" (متفق عليه).

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: "بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمألوا إلى غارٍ في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله سالحة، فادعوا الله بها لعله يَفْرُجَهَا، فقال، أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبيةٌ صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رُحْتُ عليهم فحلِبْتُ، بدأت بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناءَ بي الشجر، فما أتيتُ حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقممت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبيبة قبلهما، والصبيبة يتضاغون - أي يصيحون ويستغيثون من شدة الجوع - عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فرجة حتى يرون منها السماء"، ثم ذكر الآخرا ن عملهما، ففرج الله عنهم جميعاً حتى خرجوا (رواه البخاري).

وجاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يبأيه على الهجرة وغلظ عليه، فقال: ما جئتك حتى أبكيتهما - يعني: والديه - قال: "ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما" (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه).

وأقبل رجل إلى نبي الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أبايعك على الحجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما، قال: فبتبغى الأجر من الله؟، قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما" (رواه مسلم).

وجاء معاوية بن جهممة السلمي -رضي الله عنه- إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله! أردت الغزو، وجئتك أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم، فقال: الزمها فإن الجنة عند رجلها" (رواه ابن ماجه والنسائي).

وعند أحمد: "ثم الثانية، ثم الثالثة، في مقاعد شتى كمثل هذا القول"، ومعنى في الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى: أي يريد أنه كرر على النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا القول في مواضع متعددة أنه أتاه من جانب فذكر له قصته، ثم أتاه من الجانب الآخر، ثم أتاه من أمامه، وفي كل مرة يقول مثل القول الأول.

وقد وردت آثار في فضل برّ الوالدين، منها ما قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-: "إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدين"، وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- "برّ الوالدين كفارة الكبائر". ومهما بلغ الابن من البر والإحسان لوالديه فلن يجازي عملهما وتربيتهما.

لقي عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- رجلاً من الأعراب بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على جمار كان يزكبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه؛ فقال ابن دينار فقلنا له: أضلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان واداً لعمربن الخطاب -رضي الله عنه-، وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أبر البر صلة الولد أهل وُدّ أبيه" (رواه مسلم)، فكيف بابن عمر لو وجد أب هذا الأعرابي؟ وكيف به مع أبيه عمر بن الخطاب؟!

وشهد ابن عمر رجلاً يميناً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بغيرها المذل *** إن أدعرت ركابها لم أدعر

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزئتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة" (رواه البخاري في الأدب المفرد).

وكان أبو هريرة -رضي الله عنه- إذا أراد أن يخرج وأمه في بيت آخر، وقف على بابها وقال: السلام عليكم يا أمه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليكم السلام يا بُني ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً.

وليسعد البارّ بالديه في الدنيا ببرّ أولاده به، وهو دين عاجل الوفاء، فبروا بوالديكم أحياء وأمواتاً، قال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ أَنِّي هَذَا؟ فَيَقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدَكَ لَكَ" (رواه ابن ماجه).

وأخبر - صلى الله عليه وسلم- أَنَّ مِنَ الْبِرِّ الْإِحْسَانَ لِهَمَا، وَأَنْ لَا يَقُولَ لِهَمَا مَا يَكُونُ فِيهِ أَدْنَى تَبَرُّمٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ مَعَ أَبِيهِ فِي غَايَةِ الْأَدَبِ فِي أَقْوَالِهِ، وَسُكُنَاتِهِ، وَنَظْرَاتِهِ، وَلَا يُجِدُّ إِلَيْهِمَا بَصَرَهُ، فَإِنَّ تِلْكَ نَظْرَةُ الْغَاضِبِ، وَلَا يَدْعُوهُمَا بِاسْمِهِمَا، بَلْ يَتَلَطَّفُ لِهَمَا بِأَجْمَلِ عِبَارَةٍ، وَأَعَذِبَ كَلِمَةً، وَأَلَيْنِ خَطَابًا. وَمَنِ الْبِرُّ بَعْدَ مَوْتِهِمَا: التَّرْحُّمُ عَلَيْهِمَا، وَصِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا، وَإِنْفَازُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوَصَّلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

كما أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، فَقَدْ نَهَى عَنِ عَقُوقِهِمَا بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ أَوْ بِهِمَا، قَالَ -سبحانه-: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) [الإسراء: ٢٣].

وجاء أعرابي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ عَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْيَمِينُ الْغَمُوسُ" (رواه البخاري).

وفي رواية: "الكبائر: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ"، وجاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله! شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليتُ الخمس، وأديتُ زكاةَ مالي، وصممتُ شهرَ رمضان، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا - ونصب أصبعيه - ما لم يَعُقَّ والديه" (رواه أحمد).

وقد حث الإسلام على بر الوالدين حتى مع اختلاف دين الوالدين، قال -سبحانه-: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) [لقمان: ١٥]، قيل: إنها نزلت في سعد بن مالك، قالت أم سعد: "أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر" (رواه الترمذي).

ومن صور العقوق، إهمال رعايتهما، وتقديم رغبات النفس أو الزوجة أو الصديق على حق الوالدين، ومن صور العقوق ما فعله إخوة يوسف - عليه السلام- به، وما أصاب والده نبي الله يعقوب - عليه

السلام- من الهمّ والحزن والبكاء حتى ابيضت عيناه.

ومنه فعلُ ابنِ نوحٍ -عليه السلام- حين لم يُؤمن بدعوة أبيه، فلمَّا حلَّ عذابُ الله بهم، وركب نوحٌ ومن معه السفينة قال نوحٌ -عليه السلام-: (يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ) [هُود: ٤٢-٤٣].

وقد يمتد العقوق إلى غير الوالدين، بل إلى الأمة كلها، ابتلي أبو الفرج ابنُ الجوزي -رحمه الله، وهو الشيخ الإمام، العلامة الحافظ، المفسر شيخ الإسلام- بعقوق ولده له وهو الذي أخذ مُصنَّفاتِ والده وباعها يبيع العبيد، ولمن يزيد، ولمَّا حُسِنَ والده في واسطٍ تحيّل على الكتب بالليل وأخذ منها ما أراد، وباعها ولا بثمن المداد، ولما امتحن والده بدأ ابنه يؤلّب الخصوم على والده.

رنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

صلة الرحم

الخطبة الأولى:

جاء الإسلام حافظاً لحق القريب والبعيد، فيه الخير والفلاح، والتكاتف والنجاح، والألفة والمحبة، فما من فرد فيه إلا وله حق في حياته وبعد مماته. ومن أعظم ما أوصى الله به عباده صلة الأرحام، وهم الأقارب الذين بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا.

وقد أمر الله بصلة الرحم في ثالث الحقوق العشرة بعد الإحسان للوالدين فقال - سبحانه -: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) [النساء: ٣٦]. قال البغوي - رحمه الله - في قوله: (وَبِذِي الْقُرْبَىٰ) [النساء: ٣٦]، أي: "أحسنوا لذي القربى".

وهي من الأخلاق والمكارم التي دعا لها النبي - صلى الله عليه وسلم -، ففي حديث أبي سفيان صحري بن حرب - رضي الله عنه - في حديثه الطويل في قصة هرقل، أن هرقل قال لأبي سفيان: "فماذا يأمركم به؟ - يعني النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة" (متفق عليه).

وصلة الرحم سبب لدخول الجنة، كما في حديث خالد بن زيد الأنصاري - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: "يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم" (متفق عليه).

وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقة السر تطفى غضب الرب، بل أمر الله الموسرين بتفقد المحتاجين من قرابتهم والإحسان إليهم بقوله - عز وجل -: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [التحل: ٩٠].

(وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ) [التحل: ٩٠]، أي: إعطاء القرابة ما تدعو إليه حاجتهم، وخص ذوي القربى لأن حقهم أكد، ورغب النبي - صلى الله عليه وسلم - في البذل والصدقة لهم فقال: "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة" (رواه ابن ماجه).

قال النووي -رحمه الله-: "صلة الرحم: هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، والسلام، وغير ذلك".

ومن بركة صلة الرحم في الدنيا ما قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه" (متفق عليه). ومعنى "يُنسأ له في أثره": أي: يُؤخَّر له في أجله وعمره.

قال ابن حجر -رحمه الله-: "إن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقتها بما ينفعه في الآخرة، وصيانتُه عن تضييعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصله: أن صلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت - إلى أن قال -: أو أن الزيادة على حقيقتها".

وهي من نبل أخلاق المتحلي بها ومن كمال إيمانه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (متفق عليه).

ومما يدل على أهمية الرحم أن أول ما نزل في الدعوة تخصيصُ الأقارب بالتبليغ، كما في قوله -تعالى-: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [الشُّعْرَاءُ: ٢١٤].

وقفنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

في صلة الرحم ألفةٌ ومحبة واجتماع، وفي قطيعتها بُغْضٌ وتفرُّق واختلاف، لذا أمر الله بالصلة ونهى عن القطيعة، فقال - سبحانه -: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) [مَحَمَّد: ٢٢]، وقال -تعالى-: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) [الرَّعد: ٢٥].

وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله" (رواه مسلم)، وفي الحديث: "إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائد من القطيعة، قال: نعم أما

ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب، قال: هو لك، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاقروا إن شئتم: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) [مَحْمَد: ٢٢]، (متفق عليه، واللفظ للبخاري).

وفي السنن مرفوعًا: "أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي"، قال ابن حجر -رحمه الله-: "إنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله".

وفي حديث جبير بن مطعم -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يدخل الجنة قاطع" (متفق عليه)، أي: لا يدخلها قبل أن يحاسب على قطيعته.

فعلى المسلم أن يجتهد في الصلة حتى ولو لقي جفاءً وبُعدًا، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمته وصلها" (رواه البخاري).

وعلى المسلم أن يحرص على لقاء الأقارب القريين والبعيدين، وأن يتلمس حاجاتهم، وأن يبذل ما أمكن لهم، قال ابن أبي جمرة: "تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدهاء، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة".

وفقنا الله للصلة، وجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسباب السعادة

الخطبة الأولى:

الغاية المنشودة، والأمنية المطلوبة التي يسعى المرء في تحصيلها، ويفني عمره في طلبها، والتي يبحث عنها الصغير والكبير، والصحيح والمريض، والمسلم والكافر، والذكر والأنثى، والغني والفقير، هي السعادة حيث الأنس، والبهجة، والسرور، وانسراح الصدر.

وقد صنّف الناس السعادة على حسب مشاربهم، فالفقير يرى أن السعادة في الغنى، والمريض يرى أن السعادة في الشفاء، والسجين يرى أن السعادة في الحرية، وأجملت في قول الحطيئة العبسي:

ولست أرى السعادة جمع مال *** ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا *** وعند الله للأتقى مزيد

فالمال مثلاً قد يكون وسيلة للسعادة لا لغايتها، وإذا لم يوجّه المال في الخير فسيكون وبالاً على صاحبه، والغني سعيد بما في قلبه من إيمان، وطمأنينة، وإنفاق، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

"نعم المال الصالح للمرء الصالح" (رواه أحمد).

وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أسباباً عديدة للسعادة، يسعد بها المرء في الدنيا والآخرة.

أولها وأهمها: الدخول في الإسلام، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قد أفلح من أسلم" (رواه مسلم)، و"طوبى لمن هدى إلى الإسلام" (رواه الترمذي).

فلا سعادة مرجوة إلا بالإسلام، فكيف يسعد من لم يتذوق حلاوة التوحيد، ومناجاة رب العالمين، بل كيف تزول حيرته وهو لم يؤمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً، والمسلم الحق من وُحِد الخالق، ونَبَذ عبادة الخلائق.

ثانيها: الإيمان بالله إيماناً كاملاً بالقول والعمل والاعتقاد، بإفراده بالربوبية والألوهية، وإثبات الأسماء والصفات له على ما جاءت به النصوص، قال -سبحانه-: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً) [النحل: ٩٧]، أي: حياة سعيدة.

فإذا آمن العبد بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، اطمأن قلبه، وطابت نفسه، وعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، وإن اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

ويؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأمر المؤمن كله خير، إن إصابته

ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.

ثالث أسباب السعادة: العمل الصالح، ومن أهمها أداء الصلوات، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وجعلت قرّة عيني في الصلاة" (رواه النسائي)، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لبلال: "أرحنا بالصلاة يا بلال" (رواه أحمد).

وقال -صلى الله عليه وسلم- في فضل صلاة الفجر: "يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله -تعالى- انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عقدة، وإذا صلى انحلت عُقْدُهُ كُلُّهَا، وأصبح نسيطاً، طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس، كسلان" (متفق عليه).

فإن المسلم إذا صلى، انشرح قلبه، واطمأنت نفسه في الرخاء، وزالت عنه الشدة في الضراء، قال -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا من التكميل ظاهراً وباطناً، فما استُدْفَعَتْ شرور الدنيا والآخرة، ولا استُجْلِبَتْ مصالحهما بمثل الصلاة، وسر ذلك: أن الصلاة صلة بالله -عز وجل-، وعلى قدر صلة العبد بربه -عز وجل- تُفْتَحُ عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه موادُّ التوفيق من ربه -عز وجل-، والعافية والصحة والغنيمة، والغنى والراحة والنعيم، والأفراح والمسرات كلها مُحَضَّرَةٌ لديه، ومسارعةٌ إليه".

ومن الأسباب: ذكّر الله -تعالى-، فإنه مفتاح كلِّ همٍّ، وجلاء كلِّ غمٍّ، قال -عز وجل-: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨]، وقال عن نبيه -صلى الله عليه وسلم-: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) [الحجر: ٩٧-٩٨].

وأفضل الذكر تلاوة كلام الله، فالقرآن هدى وبهجة وسرور، قال الطحاوي -رحمه الله-: "فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كلُّ يؤهل للاستشفاء به".

ومن الأسباب: البذل والمعروف والجود والإحسان، فمن جاد على عباد الله، جاد الله عليه، (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: ٩]، قال التستري -رحمه الله-: "فأولئك هم الباقون مع الله حياةً طيبةً بحياة طيبة".

قال ابن القيم -رحمه الله- في فضل الصدقة: "إن لها تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء -ولو كانت من

فاجر، أو من ظالم، بل من كافر-، فإن الله -تعالى- يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس، خاصيتهم، وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقَرَّبُونَ به؛ لأنهم جرَّبُوهُ".

ومن الأسباب أيضًا: تفرج الكربات، ففي الصحيحين: "وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، فمن فرج كربة فقد أحسن للمكروب وأسعده، والله يجازي عباده بمثل ما عملوا وأكثر (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرَّحْمَنُ: ٦٠].

فاللهم إنا نسألك السعادة في الدنيا وفي الآخرة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من أسباب السعادة أيضًا: تَدَكُّرُ نِعْمِ اللَّهِ، قال -سبحانه-: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) [إبراهيم: ٣٤]، فنظر المسلم إلى من هو أسفل منه في أمور الدنيا، يورث في القلب القناعة بما أعطاه الله من نعم، فيسعد قلبه، وتنعم حاله، وتطمئن نفسه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم" (رواه مسلم).

فإذا نظر المسلم إلى أهل المصائب عرف نعمة الله عليه، وإذا رأى أحوال الزهاد والعباد زادت همته، وقويت عزيمته.

ومن الأسباب: مصاحبة الأخيار، فهي من أسباب السعادة والفلاح؛ فإن الأخيار أدلاء على الخير والصلاح، وحماة للمسلم من الشر والفساد، وفي صحيح مسلم ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- فضل حلق الذكر وفيه: "قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتمهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خَطَّاءٌ، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".

وضده بضده، ففي يوم القيامة (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا) [الفرقان: ٢٧-٢٩].

ومن أسباب السعادة: المرأة الصالحة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة"، قال القرطبي -رحمه الله-: "فُسِّرَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ فِي الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: الَّتِي إِذَا نَظَرَ

إليها سرّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله".
ومن الأسباب: ما قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من سعادة المرء: الجارُ الصالح،
والمركبُ الهنيء، والمسكنُ الواسع" (رواه أحمد).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار
الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء،
والمسكن الضيق" (رواه الحاكم).

ومن أسباب السعادة: قصرُ الأمل، وعدمُ التعلق بالدنيا، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:
"الحياة قصيرة، فلا تُقصِّرْها بالهمِّ والأكدار"، ثم لا تحزن على ما فاتك من أمور الدنيا، بل اسعِ وتَمَرَّ
فيما بقي من حياتك.

ومن الأسباب: زيارة أخ في الله، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من عاد مريضاً، أو زار أخاً
له في الله، ناداه منادٍ بأن طُبت وطاب ممشاك، وتبوأ من الجنة منزلاً" (رواه الترمذي)، فينال
طيبَ العيش في الدنيا وكذلك الآخرة.

والسلامة من الدَّينِ وغلبة الرجال سببٌ للسعادة وزوال الهمِّ وانجلاء الغم، وقد استعاذ النبي -صلى الله
عليه وسلم- منها.

وكما أن للمسلم سعادةً في الدنيا، فإن له أيضاً سعادةً دائمة في الآخرة يطلبها ويدعو الله بها، قال الله
-تعالى-: (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ
رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ) [هُود: ١٠٨].

أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من أهل السعادة في الدارين.

الوفاء

الخطبة الأولى:

الله - سبحانه وتعالى - يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها، وقد بعثَ نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - بمكارم الأخلاق، فقال عن نفسه - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتُمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"، (رواه البخاري في الأدب المفرد).

ومن جملة الأخلاق الحميدة التي وصى بها الإسلام الوفاء، فالله - سبحانه - أهلُ الوفاء، وقال - تعالى - عن نفسه: (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) [التوبة: ١١١].

لذا لما أمر عباده بطاعته جازاهم بجنته، قال - عز وجل - : (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) [النساء: ١٧٣]، قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الوفاء بالأجور -: "بأنه في الدنيا يكون لهم النصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات".

وذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - صفة وفاء الله في دعائه على من مات من أصحابه، كما في حديث واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رجل من المسلمين فسمعتة يقول: "اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك، وحبل جوارك، فقيه من فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، اللهم اغفر له وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم" (رواه أبو داود وابن ماجه).

والوفاء في البشر من خصال الكرام، ومن شيم الرجال التي قلَّ فاعلوها، قال - سبحانه وتعالى - عن الأمم السابقة: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) [الأعراف: ١٠٢].

وفي الحديث الصحيح أنَّ ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، رفع الله ما بهم من بلاء وأسبغ عليهم النعماء، ثم بعث ملكًا على صورة ابن السبيل يطلب زادًا، فاعتذر الأبرص، والأقرع بأنَّ الحُفُوقَ كثيرة، وأنَّ المال ورثه كابر عن كابر، فلم يثبت منهم إلا الأعمى قال: "قَدْ كُنْتُ أَعْمَى، فَردَّ اللهُ بَصْرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَالله لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلَيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَيَّ صَاحِبِيكَ".

وأعظم من أوفى بالعهد وأدى الحقوق أنبياء الله ورسله - عليهم السلام -، قال - سبحانه وتعالى -: عن إبراهيم - عليه السلام -: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) [النجم: ٣٧]، أي: أطاع مولاه وبلغ الرسالة إلى خلقه.

أَمَّا نَبِينَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَكْفِيهِ تَرْكِيَةُ مَوْلَاهُ حِينَ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤]، فَكَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنَاوَانًا لِلْوَفَاءِ، فَلَمْ يَنْقُضْ عَهْدًا مَعَ أَحَدٍ سِلْمًا وَلَا حَرْبًا، جِلًّا أَوْ تَرْحَالًا، حَتَّى وَصَفَهُ أَبُو سَفْيَانَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ لِهَرْقَلِ بَأَنَّ مِنْ صِفَاتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

فَأَيُّ وِفَاءٍ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَبْدَأُ؟ أَمَعَ الْأَقْرَابِ، أَمْ الْأَبَاعِدِ، مَعَ الْأَحْيَاءِ، أَمْ الْأَمْوَاتِ، مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَمْ الْكُفْرَانَ؟

فَإِذَا تَأَمَّلْنَا حَالَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- بَعْدَ أَنْ وَارَاهَا الثَّرَى، وَطَوَّعَهَا الْأَيَّامَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْسَ حَقَّهَا، فَقَدْ حَفِظَ وُدَّهَا، وَكَرَّرَ ذِكْرَهَا حَتَّى غَارَتْ مِنْهَا عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، فَقَدْ كَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْبُحُ الشَّاةَ، وَيَهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا -أَيَّ: إِلَى صَدِيقَاتِهَا-، وَكَانَ يَكْرُرُ ذِكْرَهَا، وَيَقُولُ: "كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ" (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

أَمَّا مَعَ صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فَقَدْ وَفَّى النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِصَاحِبِ الْمَوَاقِفِ الْحَرَجَةِ، وَرَجُلِ الْبَطُولَاتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَفَى لَهُ جَمِيلَ صَنْعِهِ حَتَّى قَالَ عَنْهُ: "إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ" (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

وَأَمَّا وَفَاؤُهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَعَ صَحَابَتِهِ الْأَمْوَاتِ؛ فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ أَظْنَهُ عَلَيْهِ الدَّيْنِ فَيَسْأَلُ: "هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاءٍ؟" فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً صَلَّى عَلَيْهِ، وَإِلَّا قَالَ: صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفَتْوحَ قَالَ: "أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوَفِّي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَلَيْ قَضَاؤِهِ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

وَوَفَاءُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأُمَّتِهِ لَا يَنْقُضِي، فَقَدْ دَعَا لِأَهْلِ الْبَقِيعِ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِقَلِيلٍ، وَلَمْ يَنْسَ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يُشْرِكَهُمْ مَعَهُ فِي أَضْحِيَّتِهِ، فَقَدْ دَعَا بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ وَقَالَ: "بِسْمِ اللهِ وَاللهِ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ عَنِّي، وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي" (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ).

وَوَفَاؤُهُ مَعَ الْكُفْرَانِ ظَاهِرٌ فِي قَوْلِهِ لِحَدِيفَةَ وَأَبِي حُسَيْلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي بَدْرٍ، حَيْثُ أَخَذَ كِفَارًا قَرِيشَ مِنْهُمَا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ بَعْدَ الْقِتَالِ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ لِهَمَا رَسُولِ اللهِ: "انصرفا، نَفِي لِهِمْ بَعْدَهُمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهُ عَلَيْهِمْ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

وشفاعته لأهل المحشر ولأُمَّتِهِ في عرصات القيامة، كلُّ هذا وفاءٌ مِنْهُ -صلى الله عليه وسلم-.
وقد جعلَ الله الوفاءَ بالعهود والنذور من صفات عباده الأبرار، كما قال -سبحانه وتعالى-: (يُوفُونَ
بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان: ٧]، وكقولهِ -سبحانه وتعالى-: (وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المؤمنون: ٨].

فتأسوا بنبيكم -صلى الله عليه وسلم- في خُلُقهِ ومعاملاتِهِ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

هناك أمور عظيمة يجب الوفاء بها:

أولها: توحيدُ الله وعدم الإِشْرَاقِ به، كما قال -سبحانه وتعالى-: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ
ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا
كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٧٢].

ثانيها: أداءُ الصلاةِ جماعةً في المسجدِ، قال عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه
وسلم- يَقُولُ: "خمسُ صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيعَ منهن شيئاً
استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله
عهد، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة" (رواه أبو داود).

وقال رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا تُخْفَرُوا ذِمَّةَ
اللَّهِ -عز وجل-، وَلَا يَطْلُبْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذِمَّتِهِ" (رواه أحمد).

ثالثها: حفظ ميثاق الزوجية، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "إِنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوفَى بِهَا، مَا
اسْتَحْلَمْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ" (رواه البخاري).

رابعها: من أعظم الوفاء بُرِّ الوالدين، وأوفى الأوفياء الذي لا يَنْسَى والديه بعد وفاهما بدعوةٍ سالحةٍ، أو
إحسانٍ، أو صدقةٍ، أو صلةٍ، فَإِنَّ المِيتَ مَرْتَهْنٌ بِعَمَلِهِ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو ولدٍ
صالحٍ يدعو له.

خامسها: من الوفاء أن يقفَ المرءُ مع صاحبه في الحقِّ أيًّا مَنْ كَانَ، فقد وقفَ أبو بكرٍ -رضي الله
عنه- مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته كُلِّهَا، وفي تصديقه بخبر الإسراء والمعراج، ووقف
بجسده، وولده في الغار، وطريق الهجرة، ووقف بماله في جميع لحظات حياته، فكان -رضي الله عنه-

نعمَ الصاحبُ.

سادساً: الوفاء بالعقود، لعموم قوله الله -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة: ١]، فيلزم الوفاء بها، وعدمُ نكثها والإخلالِ بمقتضاها، على اختلاف أمرها في المال والنسب والبدن واللسان وغيرها.

سابعها: ومن الوفاء أن يؤدي كلُّ من ائتمنَ على أمانة، أن يؤديها خيرَ أداء، في التعليم والصناعة والتجارة، وكذا كلُّ صاحبِ عملٍ في عمله.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

عيادة المريض

الخطبة الأولى:

بُعث النبي -صلى الله عليه وسلم- ليتمم مكارم الأخلاق، فشارك -عليه السلام- الصحابة -رضي الله عنهم- أفراحهم، فكان قدوةً لمن بعده في إجابة الداعي، وإكرام الضيف، وإبرار المُقسِم. ولم يغفل عن مشاركتهم في أتراحهم، باتباع الجنائز، أو تخفيفِ المصاب كعيادة المريض.

بل جعل عيادة المريض حقًا من حقوق المسلم على أخيه المسلم؛ كَرَدَّ السلام، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس. وقد حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على عيادة المريض وأمر بها بقوله: "أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني" (رواه البخاري).

وقد عَرَفَ الأئمةُ قَدْرَ هذه الشعيرة، فبَوَّبَ الإمام البخاريُّ -رحمه الله- بابًا في صحيحه سماه: "باب وجوب عيادة المريض"، وكذلك الإمام مسلم -رحمه الله- وضع بابًا في صحيحه سماه: "باب فضل عيادة المريض".

ويكفي في فضل عيادة المريض أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة يا ابن آدم: مرضت فلم تعدني، قال يا رب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم: استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه أستطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم: استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي" (رواه مسلم).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير قوله -تعالى-: (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) [الْجُمُعَة: ١٠]: "إنما هي عيادة المريض، وحضورُ الجنائز، وزيارة أخ في الله".

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في فضلها: "من عاد مريضًا لم يزل في خُرْفَةِ الجنة"، قيل: يا رسول الله! وما خُرْفَةُ الجنة؟ قال: "جناها" (رواه مسلم).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "من أتى أخاه المسلم عائدًا، مشى في خُرْفَةِ الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غَمَّرَتْهُ الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح" (رواه ابن ماجه).

بل إن عيادة المريض سبب من أسباب دخول الجنة، كما في سؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابة -رضي الله عنهم- بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ فقال أبو بكر: أنا، فقال: من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: من عاد منكم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة" (رواه مسلم).

عيادة المريض هي من أعظم الأعمال أجرًا؛ لأن فيها أنواعًا من الفوائد، فنوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على الزائر، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة. وهو عنوان تكاتف بين المسلمين دينيًا واجتماعيًا.

فاللهم إنا نسألك العفو والعافية، وامتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا أبدًا ما أبقيتنا. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

هناك آداب ينبغي للزائر أن يتحلى بها عند عيادة المريض:

أولها: الإخلاص لله في أداء هذه الشعيرة، واستصحاب ما يكون فيها من أجور للزائر، ونفع للمزور، حتى ولو كان المريض لا يُدرك من زاره، قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: مرضت مرضًا، فأتاني النبي -صلى الله عليه وسلم- يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فوجداني أُغمي عليّ، فتوضأ النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم صبَّ وضوءه عليّ فأفقت" (رواه البخاري).

ثانيها: الدعاء للمريض بالدعاء النبوي فيقول: "لا بأس طهور إن شاء الله" (رواه البخاري)، أو كدعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا" (رواه مسلم).

ومن الأدعية المشروعة: "اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا" (متفق عليه).

ومنها: "أعيذك بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة" (رواه البخاري). أو يُذكر المريض بالدعاء، كما أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فقال: "ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله -ثلاثًا- وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" (رواه مسلم).

ثالثها: سؤال المريض أو أهله عن حاله، كما سأل الصحابة -رضي الله عنهم- عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه- عن حال النبي -صلى الله عليه وسلم- في وجعه الذي تُوفِّي فيه؛ فقال: "أصبح بحمد الله بارئاً" (رواه البخاري).

رابعها: أن تكون الزيارة في أول المرض، إذا لم يكن على المريض مشقة كما في الحديث: "إذا مرض فعده" (متفق عليه)، ولما فيها من استباقٍ للخيرات، والأثر النفسي على المريض.

وإذا صاحب الزيارة دعوةً وتوجيهً فإن الأجر مضاعف، كما في زيارة النبي -صلى الله عليه وسلم- للغلام اليهودي الذي يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- فمرض، فعاده النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقعده عند رأسه فقال له: "أسلم"، فنظر الصبي إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار" (رواه البخاري).

كما ينبغي للزائر أن يتحرّى الوقت المناسب للزيارة، ويتحلّى بتخفيف السلام، وتقليل الكلام، وتعجيل القيام إن كان ذلك يشق عليه.

وهي تُذكّر المرءَ بنعمة الصحة والعافية، حيث وهبك الله صحةً في بدنك، وسلامةً في عقلك، فاحفظها من الزوال بشكر المنعم -سبحانه-، وبملازمة الدعاء، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يسأل ربه العفو والعافية.

فاللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكرم

الخطبة الأولى:

من أسماء الله "الكريم" وصفته الكرم، يَرزق مَنْ يشاء بغير حساب، ويجازي العملَ القليلَ بالكثير: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [الأنعام: ١٦٠]، وهو -عز وجل- يُجَازي مَنْ أطاعه في سنين الدنيا القليلة بالنعيم المقيم.

ومن كرمه -عز وجل- أنه إذا وَعَدَ وُفِّيَ، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يضِرُّه كم أعطى، ولمن أعطى، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى.

ومن كرمه: أنه يجيب دعوة الداعين، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنْ رَبَّكُمْ حَيِّي كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيُرِدَّهُمَا صَفْرًا -أَوْ قَالَ- خَائِبَتَيْنِ" (رواه ابن ماجه).

فالله -عز وجل- يحب الكرم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- كَرِيمٌ، يَحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا" (رواه البيهقي).

والكرم من شيم الرجال، ومن خصال الأبرار، فإن الكريم هو الذي يهب المال لا لغرض جلب منفعة، أو تخليص من مذمة، فالكريم من يوصل النفع بلا عوض.

وقد كانت العرب مشتهرةً بالكرم أيام الجاهلية، فَجَدَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- عبدُ المطلب، واسمه شيبه، ويقال له: شيبه الحمد لجوده، وجماعُ أمرِ قريشٍ إليه، وكان رجلاً كريماً، ووالدُ عبدِ المطلب -أي: جد والد النبي صلى الله عليه وسلم- هاشم، واسمه عمرو، وسمي هاشمًا لهشمه الشديد مع اللحم لقومه في أعوام الجوع، والجد الخامس للنبي -صلى الله عليه وسلم- اسمه قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَرَضَ عَلَى قَرِيشٍ خَرْجًا سَنَوِيًّا يُؤَدُّونَهُ إِلَيْهِ لِيَنْفِقَ مِنْهُ عَلَى إِطْعَامِ فَقَرَاءِ الْحَجَّاجِ.

والذي يَلْتُمُ السَّوِيْقَ لِلْحَجَّاجِ -أي: يصنع لهم طعامًا- كانت عبادة المشركين له لأجل عمله الصالح الذي كان يعملُه، وهو إكرام حاج بيت الله.

وَأَكْرَمُ الْبَشَرِ هُمُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ -عليهم السلام-، فهذا إبراهيم حين جاءته الملائكة بالبشرى - قيل: بإسحاق، وقيل: بعذاب قوم لوط -عليه السلام- جاء بِعَجَلٍ حَنِيدٍ، فأحسن إكرامهم، وأسرع في إطعامهم دون تأخير، كما وصف الله ذلك (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ) [هود: ٦٩]؛ فذبح لهم عجلًا، وشواه على الحجارة الميخمة، ثم قرَّبه إليهم.

وَأَكْرَمُ مِنْ وَطِئِ الثَّرَى هُوَ مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم-، كان أجودَ الناس، كما ذكر واصفوه ابنُ

عباسٍ وأنسٍ -رضي الله عنهم- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أحسنُ الناس، وكان أجودَ الناس، وذكر عليٌّ -رضي الله عنه- أن النبي كان أجودَ الناس كفاءَةً، وأوسعَ الناسِ صدرًا، وأصدقَ الناسِ لهجةً.

والدنيا في عين النبي -صلى الله عليه وسلم- صغيرة، تأتيه الغنائم والعطايا ثم يوزعها على الناس، بل قال لهم يوم حنين "لو كان عدد هذه العضاة نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا" (رواه البخاري).

وقال -صلى الله عليه وسلم- في صحيح البخاري: "لو أن لي مثل أحد ذهبًا ما يسرني أن يأتي عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء، إلا شيء أرصده لدين"، "وهُدَى له شملةٌ منسوجةٌ فيها حاشيتها وهو محتاج لها، ثم يعطيها لغيره في نفس مجلسه" (رواه البخاري).

"ولما أُتِيَ له بمالٍ عظيمٍ من البحرين، قال: انثروه في المسجد، فكان أكثرَ مالٍ أُتِيَ به لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، إني فاديت نفسي وفاديت عقيلًا، قال: خذ، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقْلُهُ فلم يستطع، فقال يا رسول الله: مر بعضهم يرفعه لي، قال: لا، قال: فارفعه أنت عليّ، قال: لا، فثر منه، ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق، فما زال يُتْبِعُهُ بصره حتى خفي علينا، عجبًا من حرصه، فما قام رسول الله، وثَمَّ منها درهم" (رواه البخاري).

ولما خرج إلى الصلاة -في وقت توزيع مال البحرين- مرَّ بالمال ولم يلتفت إليه، بل كان -صلى الله عليه وسلم- من كرمه أن يَعِدَ الناسَ بالمال قبل أن يأتيه، كما في حديث جابر -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لو قد جاء مال البحرين، لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثًا" (رواه البخاري).

قال ابن رجب -رحمه الله-: في وصف كرم النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنه يعطي عطاءً يعجز عنه الملوك، مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع".

وققنا الله للبدل والعطاء في وجه المشروع.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

أكرم الناس بعد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- صحابته -رضي الله عنهم-، فقد ربّاهم رسول الله

على البذل والعطاء، فقدّموا أنفسهم ومُهَجِّهم، وأرواحهم وأموالهم، وأولادهم في سبيل الله. وقد ذكر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- منافسته لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: "أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً أن نتصدّق، فوافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر -رضي الله عنه- بكل ما عنده، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قال عمر: قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً" (رواه أبو داود والترمذي).

وذكر ابن عمر -رضي الله عنهما- انه أهدي لرجل رأس شاةٍ فقال: إن أخي في الإسلام وعباله أحوجٌ منّا إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى آخر حتى رجعت إلى الأول بعد سبعة. ولما كان الكرم من أنواعه بذل المال للغير، أراد الشارع الحكيم أن يكون هذا البذل والعطاء لله، لا لثناء الناس عليه، ولذا قال -صلى الله عليه وسلم-: "أول الناس يُقضى لهم يوم القيامة ثلاثة، وذكر منهم: ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلّ، فأتى به فعرفه نعمةً فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار" (رواه مسلم).

فعلى المسلم أن يتحلّى بصفات الأبرار كما وصفهم الله: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) [الإنسان: ٨-٩]، والكرم لا يكون ببذل المال فقط بل بالأفعال أيضاً، وأكرم الأفعال ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرفها ما يقصد به وجهه الله -تعالى-، ويحصل ذلك من المتقي، قال -تعالى-: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: ١٣]، قال عمر -رضي الله عنه-: "كرم المؤمن تقواه".

ولذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في يوسف -عليه السلام- إنه "الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم"، فوصف كلّ واحد منهم بالكرم، لما كانوا عليه من التقوى. فكن كريماً ببذل مالك في أوجه الخير في حياتك، وفي وصيتك بعد مماتك. ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الصلاح

الخطبة الأولى:

الصالح والإصلاح سمة رسل الله -عليهم السلام-، قال الله في معرض ذكر أنبيائه -عليه السلام-: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ) [الأنعام: ٨٥]، وقال عن إبراهيم -عليه السلام-: (وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) [النحل: ١٢٢]، وقال عن عيسى -عليه السلام-: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران: ٤٦].

وقد أمرهم الله - سبحانه وتعالى -: بأداء العمل الصالح فقال: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) [المؤمنون: ٥١]، ولذا قال سليمان -عليه السلام-: (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النمل: ١٩]. قال ابن كثير -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (صَالِحًا تَرْضَاهُ) [النمل: ١٩]: "أي عملاً تحبه وترضاه".

وامتدح الله أهل الصلاح فجعلهم مع أرفع خلقه منزلة، فقال - سبحانه -: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) [النساء: ٦٩]، بل إن صلاح العباد يكون فيه النجاة من المهالك في الدنيا، قال - سبحانه -: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) [هود: ١١٧].

ومن صلحت نفسه سعدت وأسعدت ذريته من بعده، قال - سبحانه -: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) [الكهف: ٨٢]، وهذا الأب هو الأب السابغ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا، وَلَمْ يَذْكَرْ لِهَمَّا صَالِحًا".

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية: "فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحْفَظُ في ذريته، وتشملهم بركة عبادته في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفَع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة، لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة".

والله - سبحانه - يتولى أمر الصالحين، قال - سبحانه -: (إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) [الأعراف: ١٩٦]، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "هذا التولي لهم جزاء صلاحهم وتقواهم". قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله"، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: "يؤفقه لعمل صالح قبل الموت" (رواه الترمذي).

والعبد الصالح عند وفاته يُحْسِنُ الظن بمولاه، ويُوفَّقُ لحسن الخاتمة، وتُخْرَجُ روحه سهلة من جسده، وجنازة العبد الصالح تختلف عن غيرها، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنَّ

تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ" (رواه أبو داود).
وإذا وضع في القبر، ورجع المأل والولد، وبقي العمل، فإن الميت لا ينتفع إلا من ثلاث، وكلها أعمال
صالحة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا
من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (رواه مسلم).

ثم بعد ذلك يهناً بالجزاء العظيم، كما وردت به الآيات والسنة، كما في حديث أبي هريرة -رضي الله
عنه-: "أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ،
مُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ) [السَّجْدَةَ: ١٧]" (متفق عليه).

وقال -سبحانه- في ثواب من آمن وصلح عمله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) [المائدة: ٩]، وقال أيضاً: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ
الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) [الكهف: ١٠٧].

وفقنا الله لعمل الصالحات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحياة السعيدة مصدرها صلاح العمل الموافق للشرع، الذي عمله المؤمن أو المؤمنة، قال الله -سبحانه-
: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ) [التَّحَلُّ: ٩٧].

وإذا أدى العبد العمل الصالح، فإنه الذي سيحني ثمره عمله، قال -سبحانه-: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [فُصِّلَتْ: ٤٦].

فالعمل الصالح يلحق العبد في حياة المؤمن بركةً وتوفيقاً في عمره، وعمله، وماله، وولده، ويكون سالماً
بإذن الله من الشرور، ومن أدى العمل بإخلاص لله ومتابعة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ظفر
بمحبة الله، ومحبة ملائكته، وأهل الأرض، قال -تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ
لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا) [مريم: ٩٦]، قال مجاهد -رحمه الله-: "أي: محبة الناس في الدنيا"، وقال ابن حيان
-رحمه الله-: "ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم

ورحمتهم".

والمسلم لا يستصغر أداء العمل الصالح مهما كان، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس" (رواه مسلم).
ولذا يحرص المسلم على أداء الأعمال الصالحة؛ كالمحافظة على الجُمع والجماعات، وتلاوة كتاب الله الكريم، وأداء الحج والعمرة ومتابعتها قدر الإمكان، وبذل الصدقة والإحسان، وملازمة مجالس العلماء، وحلق الذكر، والاقتران بالمرأة الصالحة فإنها خير متاع الدنيا، ويكثر من الدعاء بأن يوفقه للعمل الصالح المتقبل كدعوة سليمان -عليه السلام-: (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النمل: ١٩]، أو بدعوة يوسف -عليه السلام- (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف: ١٠١].

أسأل الله -عز وجل- أن تكون أعمالنا صالحةً وخالصةً لوجهه الكريم.
ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

البخل

الخطبة الأولى:

خلق الله الخلق، وفاوت بين خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ، مع أن أصل خِلْقَتِهِمْ من تراب ومن أب واحد وهو آدم، فظهر التفاوت في جميع صنوف الحياة، فتراهم متفاوتين في إمساك المال أو بذله، ففيهم المنيق والممسك، وفيهم الكريم والبخل، فالبازل لماله في وجهه المشروع هو من أَحَبَّ الناس، وأما الممسك ماله في الوجه المشروع أو الواجب فهو من أَبْغَضِ الناس، ويزيد قبْحُهُ إذا زاد ماله.

وقد ورد في كتاب الله ذمٌّ مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ، قال - سبحانه -: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [آل عمران: ١٨٠].

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ من خمس فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر" (رواه البخاري).

بل إن الملكين يدعوان كلَّ صبيحةٍ يوم لكل من أنفق، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا" (متفق عليه).

قال ابن تيمية - رحمه الله -: "جميع بني آدم يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما يمدح به الشعراء في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل والجبن"، وقال أيضًا: "ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بين - سبحانه - أن من تولى عن الجهاد بنفسه، أبدل الله به من يقوم بذلك، وكذلك في الإنفاق قال - تعالى -: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد: ٣٨]".

والبخل درجات، وأشد درجاته أن يبخل الإنسان على نفسه مع حاجته، فكم من بخيل يُمسك المال ويمرض فلا يتداوى!، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل!، فكم بين مَنْ بَخِلَ على نفسه مع الحاجة، وبين مَنْ يُؤثر على نفسه مع الحاجة!، فالأخلاق عطايا يضعها الله - عز وجل - حيث يشاء.

والبخل نوعان: معنوي وحسي، فأما المعنوي فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "البخيل الذي

من ذُكِرَتْ عنده فلم يُصلِّ عليَّ" (رواه الترمذي والنسائي).

وأما الحسي فهو ضربان: بُخِلَ الإنسان بمقتنياته، وبُخِلَ بمقتنيات غيره، وهو أكثرها ذمًّا بدليل قوله - تعالى -: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [النساء: ٣٧].

وقد كانت سيرته النبي -صلى الله عليه وسلم- مفعمةً بالكرم والسخاء، منتفياً عنها البخل والشح، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- من جملة ما ذكره للناس في حين يوم أن قسم الغنائم: "لو كان لي عددُ هذه العضاه نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا" (رواه البخاري).
"وكان -صلى الله عليه وسلم- أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان" (متفق عليه)، وقد عُرفت سيرته -صلى الله عليه وسلم- حتى قبل البعثة، قالت خديجة -رضي الله عنها-: "والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق" (متفق عليه).

وتعوذ النبي -صلى الله عليه وسلم- من البخل بقوله: "اللهم إني أعوذ بك من البخل" (رواه البخاري).

وهكذا ورثة الأنبياء -عليهم السلام- الدنيا في أعينهم حقيرة، فتراهم ضربوا أروع الأمثلة في البذل والإحسان، فهذا أبو بكرٍ يأتي بماله كله في سبيل الله، وهذا عمرُ يأتي بنصف ماله، وعثمانُ يُجهز جيش العسرة -رضي الله عنهم-.

قال حُبَيْشُ بْنُ مُبَشَّرٍ -رحمه الله-: "قعدت مع أحمدَ بنِ حنبلٍ ويحيى بنِ معينٍ -رحمهما الله- والناس متوافرون، فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجالًا صالحًا بخيلًا".

وفي تعديل الرجال وجرحهم قال أبو حنيفة -رحمه الله-: "لا أرى أن أُعدَّلَ بخيلًا؛ لأن البخل لا يحملة على الاستقصاء، فيأخذ فوق حقه خيفةً من أن يُعَبَّنَ، فمن كان هكذا لا يكون مأمونًا الأمانة".

فاللهم إنا نعوذ بك من البخل والجبن.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

في سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة للأمة كلها، فقد كان يُقسِمُ الغنائم بين الناس، ثم بعد زمن يَرِبُطُ على بطنه الحجارة من شدة الجوع، فكان -صلى الله عليه وسلم- باذلاً للمعروف

داعيًا له، مؤثرًا على نفسه مع الحاجة إليه.

والمحروم من حُرْم الصدقة والإحسان للخلق، قال الضحاك -رحمه الله- في تفسير قوله -تعالى-: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ) [يس: ٨]، قال: "البخل، أمسك الله أيديهم عن النفقة في سبيل الله، فهم لا يبصرون الهدى".

والمحروم أيضًا من حَرَمِ نَفْسِهِ صدقةً جارية، يوصي بها من ماله بعد وفاته، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علّمه ونشّره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورّته، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته" (رواه ابن ماجه).

فطُرق الوقفِ متنوعَةٌ بحسب قدرة الإنسان واستطاعته، وقد قام عثمان -رضي الله عنه- بتسبيل بئر رومة، وحبس خالد بن الوليد -رضي الله عنه- أدْرَعَهُ وأعتاده في سبيل الله. فاجعل يدك للخير باذلة في حياتك وبما توصي به بعد مماتك، فهو عنوان الجود والبذل. فاللهم إنا نسألك صلاح القول والعمل.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرفق

الخطبة الأولى:

أمر الإسلام بحسن المعاملة مع الآخرين، وحثَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الرفق، وغرس ذلك في قلوب دعاة دينه، فقال لعليّ وأبي موسى -رضي الله عنهما-: "يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا" (متفق عليه).

ووضع أساسًا للنجاح بعد توفيق الله، فقال: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه" (رواه مسلم)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ" (رواه مسلم). قال الشيخ السَّعْدِيُّ -رحمه الله-: "من أسماء الله الرفيق في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق، وشرع الأحكام شيئًا بعد شيء، وجريانها على وجه السداد واليسر، ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة، إذ خلق الخلق أطوارًا، ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم وأسرارٍ لا تحيط بها العقول، وهو -تعالى- يجب من عباده الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقًا في أموره متأنياً".

والرفق هو مبدأ دعوة الرسل -عليهم السلام-، قال الله عن موسى وهارون -عليهما السلام-: (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) [طه: ٤٣-٤٤]، ومن تأمل حال النبي -صلى الله عليه وسلم- في أيامه ولياليه وجد الرفق شعاره، بل إن الله -عز وجل- قال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩].

وذكر مالك بن الحويرث -رضي الله عنه- خلق النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهلنا قال: "ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكبركم" (رواه البخاري).

وكان يُعلم زوجاته -رضي الله عنهن- الرفق، فقال لعائشة -رضي الله عنها-: "ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق" (رواه أحمد)، وفي رواية له: "إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق".

وعندما أخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقول عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: "لأقومن الليل، ولأصومن النهار ما عشت، قال: أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له: قد قلته

يا رسول الله، فقال: "فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر" (متفق عليه).

وقصة بول الأعرابي في المسجد دليل أن الرفق أساس قبول الأمر، فحين ثار الناس إليه ليقعوا به قال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماء، أو سَجَلًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين" (رواه البخاري).

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- رفيقًا بالناس حتى بالمشركين، فحينما عاد من ثقيف إلى مكة - وهو مهموم، لم يناصروه، ولم يكتموا أمره، بل أوصوا الصبيان والمجانين أن يؤذوه؛ فأتاه جبريل -عليه السلام- ومَلَكُ الجبال، فسَلَّم عليه وقال: "إن شئت أن أطبق عليه الأخشيين" -وهما جبلان عظيمان يحيطان بمكة- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله" (متفق عليه).

فخرج من أصلابهم من فتحوا البلاد، ونفعوا العباد، ونشروا الإسلام في أنحاء المعمورة. وفقنا الله لسلك هدي رسوله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

كما أن الرفق يكون مع الناس، فإنه يكون مع النفس أيضًا، رأى النبي رجلاً قد ظلَّ عليه، فقال ما له؟ قال: رجل صائم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ليس من البر أن تصوموا في السفر" (متفق عليه).

ورأى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلاً يهادى بين ابنيه قال: "ما بال هذا؟"، قالوا: نذر أن يمشي، قال: "إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب" (متفق عليه).

ودخل النبي -صلى الله عليه وسلم- على عائشة -رضي الله عنها- وعندها امرأة، فقال: "من هذه؟" قالت فلانة تذكر من صلاتها قال: "مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه" (متفق عليه).

وإذا كان المسلم يستطيع أداء العبادة على وجهها الشرعي دون مشقة عليه، فهذا باب خير خصَّه الله به، فليحرص عليه، وليداوم على فعله.

والرفق باب واسع، يشمل الأب والمعلم والتاجر والمسؤول، وكلُّ على قَدْر عمله.

رزقنا الله الرفق في القول والعمل.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الغضب

الخطبة الأولى:

خلق الله الخلق، وقَسَمَ أخلاقهم كما قسم أرزاقهم، فأوجد فيهم الحكيم والسفيه، والرحيم والغليظ، والكريم والبخيل، والحليم والغضوب.

والغضب من الصفات المذمومة التي نهى الشارع عنها، فقد جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال يا رسول الله: "أوصني، فقال: لا تغضب، فردد مرارًا، فقال: "لا تغضب" (متفق عليه).

قال ابن حجر -رحمه الله-: "هذا الرجل شديد الغضب، فأوصاه النبي -صلى الله عليه وسلم- بما يناسبه"، قال الرجل: "ففكرت حين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله"، لأن الغضب مفتاح كل شر، وهو عبارة عن فوران دم القلب إرادة الانتقام.

بل الغضب سبب لدخول النار، قال ابن القيم -رحمه الله-: "دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكًا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه".

وسبب الغضب غالبًا: إما أن يكون في قلب المرء زهو وإعجاب، وهزل ومماراة، أو حمية عمياء. والغضب منه ما يكون محمودًا ومذمومًا، فالمحمود ما كان في جنب الدين والحق، والمذموم ما كان في غير الحق.

والله -سبحانه- يغضب وغضبه محمود، ومن ذلك غضبه على أعدائه من اليهود، كما ذكر ذلك -سبحانه-: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٦٠].

وغضب أيضاً على المنافقين والمشركين الظانين بالله ظن السوء: (وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَاتُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [الفتح: ٦].

وكذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يغضب في بعض الأحيان لله -عز وجل- ولدينه لا لنفسه -عليه السلام- كما في حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: "رخص رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أمر، فتنزه عنه ناس من الناس، فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-، فغضب حتى بان الغضب في وجهه، ثم قال: "ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه" (رواه مسلم).

ودخل على عائشة -رضي الله عنها- وهي مستترة بقرام فيه صورة، فتلّون وجهه، ثم تناول السّتر فهتكه، ثم قال: "إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ" (رواه مسلم).
وغضب يونس -عليه السلام- حين ذهب مغاضبًا، قال القرطبي -رحمه الله-: "خرج مغاضبًا من أجل ربه".

وغضب موسى -عليه السلام- على قومه حين بدلوا عبادة الله بعبادة العجل، كما ذكر المولى حالم في قوله: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) [الأعراف: ١٥٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم.

الخطبة الثانية:

لما كان العلم بالتّعلم، والحلم بالتّحلم، جاءت الشريعة الإسلامية بأدوية حسية ومعنوية لتخفيف الغضب أو رفعه، منها:

ذكر الله -تعالى-، فَإِنَّ ذِكْرَهُ -سبحانه- يدعو إلى الخوف منه، ويقوده ذلك إلى طاعة مولاه، قال - عز وجل-: (وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) [الكهف: ٢٤]، قال عكرمة -رحمه الله-: "يعني: إذا غضبت".

وأن يتذكر الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ والحلم، فيمنعه ذلك من التشنفي والانتقام، وينطفئ غيظه، ففي الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من كتم غيظًا وهو قادر على أن يُنفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يُخيّره أي الحور شاء" (رواه ابن ماجه).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (متفق عليه).

وداء الغضب ما ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" (رواه أبو داود).

أو بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ففي حديث سليمان بن صُرْدٍ -رضي الله عنه- قال: "استبّ رجلان عند النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبّ صاحبه مغضبًا قد احمرّ وجهه، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (رواه البخاري).

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرفها عنا سيئها

إلا أنت.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلّوا عليه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين.

داء الحسد

الخطبة الأولى:

دعا الله عباده المؤمنين إلى كريم الأخلاق، وحذّره من رديئها، فمن الناس من زانه خُلُقُه، ومنهم من شانته صفةٌ من الصفات المذمومة، ومن الصفات التي يُذم صاحبُها وَيَنْقُرُ منه فاعلُها داءُ الحسد، فإن أولَ معصية عُصي الله بها في السماء حسدُ إبليس لآدم -عليه السلام- على ما آتاه الله من الكرامات -مِنْ خَلَقَهُ بيديه، وأمر الملائكة بالسجود له- وما وقع في الأرض من حسد قبايل وهاويل.

والحامل على التحاسد إما ازدراءُ المحسود، وإما إعجاب الحاسد بنفسه، كما قال إبليس معللاً لامتناعه من السجود: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [الأعراف: ١٢]، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟!، فإنه لما رآه قد فُضِّلَ عليه وُزِعَ فوقه، غَصَّ بريقه، واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة".

وقد حسد المشركون رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- على نعمة الوحي؛ فقالوا: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف: ٣١].

ولما حسد أهل الكتاب المسلمين على نعمة الإسلام أنزل الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الحديد: ٢٨-٢٩].

ومن خصال اليهود الحسد، قال -سبحانه وتعالى-: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) [البقرة: ١٠٩]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهذا الحسد حملهم على الجحود برسالة الإسلام".

وقيل: إن المعوذات في قوله: (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) [الفلق: ٥]، نزلت بسبب حسد اليهود للنبي -صلى الله عليه وسلم- حتى سحره -سحره لبيد بن الأعصم اليهودي- كما حسد اليهود طالوت بقولهم: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) [البقرة: ٢٤٧].

فالحاسد يرى أن المحسود قد فُضِّلَ عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه، بل يتمنى زوالَ نعمةٍ من مستحق لها، وربما سعى في إزالتها، قال معاوية -رضي الله عنه-

وكان معروفًا بدهائه مع رعيته - : "كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسدَ نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زواؤها".

وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحسد في أحاديث كثيرة، لأنه بوابة للتباغض والتدابير وضعف قوة المسلمين وشتاتهم، قال - صلى الله عليه وسلم - : "لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخواناً" (رواه مسلم).

وقال - صلى الله عليه وسلم - : "سيصيب أمتي داء الأمم، قالوا: يا نبي الله! وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا، والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج - أي القتل -" (رواه ابن ماجه).

وعند الترمذي: "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ"، وقال - صلى الله عليه وسلم - : "لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا" (رواه الطبراني).

وَقَلْبُ الْحَاسِدِ قَلْبٌ مَرِيضٌ، فَلَا مَحَبَّةَ لِنِعْمَةٍ قَدَّرَهَا اللَّهُ لِلْمَحْسُودِ، بَلْ كُرَّةٌ وَبَغْضٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَلِذَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ" (رواه النسائي).

قلب الحاسد قلب ضعيف متسخط من الأقدار، فلا قبول ولا تسليم لحكمة الله في عباده، بل تجده يلهث خلف ما أنعم الله به على عباده من نعم الدنيا، فأصبحت الدنيا شغله، غافلاً عن الآخرة، ولذا قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - : "ما أكثرَ عبدٌ ذَكَرَ الموتَ، إلا قل فرحه، وقل حسده".

الحاسد يقتله الحسد قبل أن يصل إلى الحسود، ويكفيك من الحاسد أن يغتم في وقت سرور المحسود، بل قد يكون نفع المحسود على يد الحاسد.

وإذا أراد الله نشر فضيلة*** طويت أتاح لها لسان حسود

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

أثنى الله - تعالى - على الأنصار لما لم يكن الحسد في قلوبهم تجاه ما أتى إخوانهم المهاجرين، قال - سبحانه وتعالى - : (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: ٩].

وخطر الحاسد ليس على نفسه فحسب، بل قد يتعدى للمحسود، قال عمر بن الخطاب - رضي الله

عنه:- "ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجَّه لها حاسداً".

فعلى المسلم اللبيب أن يسعى جاهداً لدفع شر الحاسد، بالتعوذ بالله من شره، والتحصن بالأدعية والأوراد الشرعية في صباح كلِّ يوم ومساءه، والصبر على الحاسد وما يفعله، ولذا قيل:

اصبر على حسد الحسود *** فإنَّ صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها *** إن لم تجد ما تأكله

وأن يُقبل على الله بتوبة نصوح، فقد يكون قد تُسلط عليه بسبب ذنب أصابه، قال -سبحانه-: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: ٣٠]، وعليه أن يكثر من الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، والعين، وشر الحسد، ومن غلب نفسه، وقابل الحاسد بالإحسان إليه، فهو الموفق لتخفيف حسد الحاسدين.

ثم اعلّموا أن التنافس في أعمال الخير والمسارة إليها لا يكون من باب الحسد، كما في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها" (متفق عليه).

والحسد في الحديث هو الحسد الممود أو الممدوخ، لأنه حسد على فعل الخير، بتمني المماثلة في أداء الخير، لا بتمني سلب الخير عن الغير، كأن يقول: لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين، حيث لا شيء أرفع من هاتين الحاليتين، وقد بَوَّب الإمام البخاري -رحمه الله-: باب اغتباط صاحب القرآن، ودُكر الحديث بلفظ: "لا حسد إلا على اثنتين، رجل آتاه الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار".

والغبطة تفتح باب التنافس بين المسلمين وفيه (فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) [المطففين: ٢٦]، وأما الحسد المذموم فإن الضرر يعود إليه، إذ (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر: ٤٣].

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفأل

الخطبة الأولى:

الحياة بعد أن أهبط الله آدم - عليه السلام - إلى الأرض حياة فيها نصبت وشدة، قال - سبحانه -:
(فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) [طه: ١١٧].

وخلق الله الإنسان في كبدٍ وشدةٍ وطلبٍ معيشة، والمرء في هذه الحياة يعتره أفرح، وأتراخ، وسعادة،
وئوس، وئوسر، وئوسر، والمخفف لها ولا ملامها، هدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حُسن التعامل
معها، فقد لاقى شدة، وأذى، وتسلطاً من الأعداء.

وكان من هديه مع ذلك كله الفأل؛ لأنه حسنٌ ظنٌّ بالله، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا
عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة" (رواه مسلم).

والتفاؤل نابع من إيمان، ويقين، لأن مُصَرَّفَ الأمور هو الله اللطيفُ بعباده، يُصَرِّفُها كيف شاء بعلمه
وحكمته، وييسرها بإرادته ومشئته، فيجعل بعد الخوف أمناً، وبعد العسر يسراً، وبعد الضيق فرجاً،
وبعد المرض عافية، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس
ذاك إلا للمؤمن" (رواه مسلم).

فخليل الرحمن صار شيخاً كبيراً ولم يُرزق بولد، فدفعه حسنُ ظنه بربه أن يدعو: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ
الصَّالِحِينَ) [الصافات: ١٠٠]، فوهب الله له إسماعيل وإسحاق، وجعل في ذريته النبوة والكتاب،
ويعقوب - عليه السلام - فقد يوسف ثم ابنه الآخر فقال: (فَصَبَّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
جَمِيعًا) [يوسف: ٨٣]، وأوصى أبناءه (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ
رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: ٨٧].

وأمثله الفأل في حياة رسول الله عديداً، منها:

ما قاله لخباب بن الأرت - رضي الله عنه - وهو في أوج الشدة التي يلقاها من المشركين: "وليتمن الله
هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على
غنمه" (رواه البخاري).

وفي غزوة الأحزاب يظهر الفأل جلياً، ففي وقتٍ شديدٍ عصيب، وصفه الله بقوله: (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ
فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا *
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا) [الأحزاب: ١٠-١١].

ومع ذلك يُبَشِّرُ النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه بفتح المدائن، فحين اعترضت صخرة أثناء الحفر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحُمْر الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء" (رواه ابن أبي شيبة)، وقد ذكر الله مقولة المنافقين حينها (مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) [الأحزاب: ١٢].

بل كان متفائلاً يرسل المشركين، فلما أرسلت قريش سهيل بن عمرو إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- عام الحديبية، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما رآه: "سهل أمركم". وروى الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، أن "أباه جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال ما اسمك؟ قال حزن، قال: أنت سهل، قال: لا أغير اسمًا سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد" (رواه البخاري).

قال ابن القيم -رحمه الله-: "قد جعل في غرائز الناس الإعجابُ بسماع الاسم الحسن، ومحبة، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح، والاستبشار، والسرور، باسم السلام، والفلاح، والنجاح، والتهنئة، والبشرى، والفوز، والظفر، والعُثم، والريح، والطيب، ونيل الأمنية، والفرح، والغوث، والعز، والغنى، وأمثالها، فإذا قرعت هذه الأسماءُ الأسماعُ استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب، وإذا سمعت أصدادها، أوجب لها ضد هذا الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفًا، وطيرة، وانكماشًا، وانقباضًا عما قُصِدَتْ له، وعزمت عليه، فأورث لها ذلك ضررًا في الدين ونقصًا في الإيمان". شرح الله صدورنا ويسر أمورنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

التفاؤل من هدي سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم- وهو ثقة وقضاءُ برب العالمين، يولد العزيمة والنشاط، ويجلب السعادة للنفس، ويُفرح قلب المؤمن، ويدخل السرور فيه، وفيه تقوية للعزائم، وباعثٌ للعمل، وهو حسن ظنٌّ بمولاه، وقد ورد في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي" (متفق عليه)، وفي رواية أحمد: "فليظن بي ما شاء".

والمتفائل يعلم أن بعد كل عسر يسرًا، وبعد كل شدة فرجًا، وبعد كل مرض عافية، فينعم بحياته، فإن

تحققت وإلا لم يهتم ويغتم.

والعالم بحال الحياة يعلم أنها قصيرة، فلا تُقصرها بالهموم والغموم، والتشاؤم والطيرة، فإنَّ مَنْ أُنْصِرَ الحياة بالتشاؤم لن يصنع مجداً، ولن يبني داراً، والمؤمن الحق من يعمل بجد وإخلاص، وعزيمة وإصرار؛ وتفاؤل وتوكل، (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آلِ عِمْرَانَ: ١٥٩].
وَقَنَّا اللَّهُ حُسْنَ الظن به.
وصلوا وسلّموا.

متفرقات

كمال الخالق وأفضل الخلائق

الخطبة الأولى:

يبحث المرء في هذه الدنيا عن الكمال والتمام، ويسعى في تحصيله، ويُفني عمره في إيجاده، وبعد البعثة النبوية المباركة تجلت صنوف الكمال والجلال في كتاب الله وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم-

والله -سبحانه- لا أكمل ولا أجل ولا أعظم منه: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء: ٢٢]، فهو -سبحانه-: (يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) [المؤمنون: ٨٨]، وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له الخلق والأمر، ولا مُعَقَّب لحكمه، لا يُمَانَع ولا يُخَالَف، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي خلق فسوّى، وأعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى.

وقد ذكر الله وصف المشركين: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) [يس: ٧٤-٧٥]، أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل، وأحقر وأذل، بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل، وأجملت قواعد صفات الله -عز وجل- في قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١].

ومقام الرسالة والنبوة أعلى المراتب وأجلها، وأهلها هم صفوة الخلق، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فضّل الله النبيين بعضهم على بعض، وفضّل الرسل على غيرهم، وأولو العزم أفضل من سائر الرسل".
ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- هو أفضلهم، قال -صلى الله عليه وسلم-: "أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع" (رواه أبو داود)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" (رواه مسلم).

قال البيهقي -رحمه الله- في معرض ذكر فضل النبي -صلى الله عليه وسلم-: "منها شرف أصله، وطهارته مولده، ومنها إشادة الله -تعالى- بذكره قبل أن يخلقه حتى عرفه الأنبياء -صلوات الله عليهم- وأممهم قبل أن يعرّف نفسه وتعرفه أمته، ومنها حُسن خلقه وخلقه، وهو صاحب اللواء المحمود، وصاحب الحوض المورود، وأقسم الله بحياته، ولم يخاطبه باسمه في القرآن ولا كنيته، بل دعاه باسم النبوة والرسالة".

بل فضّله الله على بقية إخوانه الأنبياءِ بخصالٍ قارت ستين خصلة كما قاله أبو سعيد التيسابوري - رحمه الله - .

ومكانة الدين الإسلامي عظمة، فهو الدين الذي ارتضاه الله - عز وجل - لنا، قال - سبحانه -: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣]، فلا يقبل الله من أحد دينًا سواه (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران: ٨٥].

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يهودي ولا نصراني - ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار" (رواه مسلم). وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "طوبى لمن هدى للإسلام" (رواه الترمذي).

وأفضل القرون قرنُ الصحابة - رضي الله عنهم -، ثم القرون الثلاثة التي تليه، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "خير القرون القرن الذي بُعثتُ فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" (متفق عليه).

قال ابن تيمية - رحمه الله -: "إنهم أفضل الأمة عقلاً، وعلمًا، وفقهاً، ودينًا"، وقد أحسن الشافعي - رحمه الله - في قوله: "هم فوقنا في كلِّ فقهٍ وعلم، ودين وهدى، وفي كل سبب ينال به علم وهدى، ورأيهم لنا خيرٌ من رأينا لأنفسنا".

قال ابن تيمية - رحمه الله -: "فضّل الله السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على غيرهم، وكلّهم أولياء الله، وكلّهم في الجنة، وقد رفع الله درجاتٍ بعضهم على بعض".

وصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أفضلهم أبو بكر - رضي الله عنه - فهو أفضل الصحابة على الإطلاق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليُّ بنُ أبي طالب، ثم العشرة المبشرون بالجنة.

واتفق أهلُ السنة والجماعة على تفضيل المهاجرين على الأنصار، وأهل بدرٍ على غيرهم، ومن بايع تحت الشجرة ممن لم يحضر البيعة، فهم أعلام الهدى، ومصايح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وليس هذا التفضيل يؤدي إلى استنقاص أحدٍ منهم، بل لكلّ منهم منزلةٌ وفضلٌ (وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) [الحديد: ١٠].

وأما الملائكة: فأفضلهم جبريل - عليه السلام - لشرف عمله، فهو مُوكَّلٌ بالوحي من الله - تعالى - إلى رسل الله - عليهم السلام -، قال - سبحانه -: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) [الشُّعْرَاء: ١٩٣].

وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته، وخصه الله بالذكر في سورة القدر: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) [القدر: ٤]؛ للدلالة على شرفه وعلوّ فضله عليهم، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه

وسلم- في صلاة الليل يقول: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل"، وهؤلاء الثلاثة المذكورون هم أفضل الملائكة.

وأفضل الكتب المنزلة القرآن العظيم، قال الله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) [الكهف: ١-٢]، ومعنى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) على ما قبله من الكتب السماوية، أي مهمتها عليها، ويبين هذا التفسير قوله -تعالى-: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) [المائدة: ٤٨]، ولأجل هيمنته على ما قبله من الكتب قال -تعالى-: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [النمل: ٧٦].

وقد اجتمعت هذه الفضائل العظيمة في هذا القرآن الكريم، فهو أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، في أفضل شهر، وأعظم ليلة، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأشملها بيانًا، وهو: اللسان العربي.

وأفضل الأمم: أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال -تعالى-: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران: ١١٠]، وهذه الأمة لها منزلة كبرى، ومِنَّةٌ عظيمة، قال -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده! إنني أرجو أن تكونوا رُبْعَ أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود" (متفق عليه).

وهذه الأمة المباركة تشهد على باقي الأمم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يجيء نوح وأمه، فيقول الله -تعالى-: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمه: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) [البقرة: ١٤٣]" (رواه البخاري).

وأما أفضل أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله فمكة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن مكة: "والله إنك لخَيْرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت" (حديث صحيح على شرط الشيخين)، وهي أيضًا أحب أرض الله إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما

في قوله "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، والله لولا أنني أخرجت منك ما خرجت" (رواه الترمذي والنسائي).

ثم بعد مكة في الفضل المدينة النبوية، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم -عليه السلام- لمكة" (متفق عليه)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حُمّاهَا، فاجعلها بالجحفة" (متفق عليه).

وأفضل الشهور شهر رمضان، وأما الأيام فأفضلها عشر ذي الحجة، وأفضل الليالي ليلة القدر. وأعدل الأحكام حُكْمُ الله، ومن أصل إيمان المؤمن الحكم والتحاكم بشريعة الله لا غيرها، قال -سبحانه-: (أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة: ٥٠]، قال ابن القيم -رحمه الله-: "فأخبر -سبحانه وتعالى-: أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى، الذي يضل عن سبيله، وليس وراء حُكْمِهِ إلا حكمُ الجاهلية".

وقال ابن كثير -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة: ٥٠]: "أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لمن عَقَلَ عن الله شرعَه، وآمن به، وأيقن وعَلِمَ أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه -تعالى- هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء".

وقفنا الله لطاعته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين درجات، وأصحابها يتفاوتون في منازلها على قدر أعمالهم، وأفضلها الفردوس الأعلى، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تُفجر أنهار الجنة" (رواه البخاري).

وَألذُّ النظر هو النظر إلى وجه الله الكريم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا دخل أهل الجنة

الجنة يقول الله -تبارك وتعالى-: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم -عز وجل- " (رواه مسلم).

والدنيا متاع، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة" (رواه مسلم)، قال القرطبي فسَّرت في الحديث بقوله: "التي إذا نظر إليها سرتة، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله".

قال المناوي -رحمه الله- في قوله -تعالى-: "(زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ)" [آل عمران: ١٤]، الآية، : "وتلك السبعة هي ملاذُّها وغايَةُ آمالِ طُلَّابِها، وأعمها زينةٌ وأعظمها شهوةُ النساء، لأنها تحفظ زوجها عن الحرام، وتُعينه على القيام بالأمر الدنيوية والدينية، والمراد بالصالحة النقية المصلحة لحال زوجها في بيته، المطيعة لأمره".

وقفنا الله لهداه، وجعل عملنا في رضاه.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفتن

الخطبة الأولى:

كانت العرب تعيش قبل البعثة فتنًا وبلايا، وقتلاً ورزايا، فلما أتت رسالة الإسلام جمعت القلوب، ووحدت الصفوف، فأصبح الناس يعيشون في أمن وأمان وإيمان، وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه في آخر الزمان: "يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله أيم هو؟ قال: القتل القتل" (رواه البخاري)، والمراد من ظهور الفتن: كثرتها وانتشارها. ولما كانت الفتن تَحير القلوب، وتُفرق الجموع، وتُضعف القوى، وتُسَلط الأعداء، استعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بالله منها في صلواته، ودعواته، بل كان يُعلم الصحابة -رضي الله عنهم- الاستعاذة بقوله: "اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ونعوذ بك من عذاب القبر، ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات" (رواه أبو داود).

والفتنة لا تعرف زمانًا، ولا سنًّا، ولا جنسًا، ولا قُطرًا، وهي تُعرض على قلوب العباد، كعرض الحصير عودًا عودًا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأى قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخرُ أسودُ مَرَبادًا كالكوز مجحجًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه" (رواه مسلم).

والفتن كثيرة ومتعددة، منها شبهات، وشهوات، وفيها صغار، وكبار، بل وصف ابن عمر -رضي الله عنهما- أن من الفتن ما تموج كما يموج البحر، وقال حذيفة -رضي الله عنه-: "الفتن منهن ثلاث: لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار".

ووصف النبي -صلى الله عليه وسلم- تنوع الفتن بقوله: "كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا" (رواه مسلم)، قال الإمام النووي -رحمه الله-: "هذا لعظم الفتن، ينقلب الانسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب".

وقد تأتي الفتن بمهلكة الإنسان، وقد تتدرج به، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تجئ فتنة فيرقق بعضها بعضًا، تجئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه" (رواه مسلم).

وأول هذه الفتن الظاهرة للأمة مقتل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، عن حذيفة -رضي الله عنه-:

"أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ قال: أيكم يحفظ قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال، قال: هات، إنك لجريء.

قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر، قال يا أمير المؤمنين! لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر، قال: ذاك أحرى أن لا يُغلق.

قلنا علم الباب؟ قال نعم، كما أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسرورًا فسأله، فقال من الباب؟ قال: عمر" (رواه البخاري).

وآخر الفتن فتنة الدجال، وإذا ظهرت الفتنة عمّت وطمّت إلا من رحم الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "والذى نفسى بيده! ليأتين على الناس زمان لا يدرى القاتل في أي شيء قتل، ولا يدرى المقتول على أي شيء قتل" (رواه مسلم).

ومن الفتن المكانية فتنة المشرق، قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "الفتنة من ها هنا، وأشار إلى المشرق" (رواه البخاري)، وعند مسلم: أن ابن عمر سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو مستقبل المشرق يقول: "ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان".

والفتن متنوعة، فتنة المال، والولد، والزوجة، قال -تعالى-: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [الأنفال: ٢٨]، فالأموال والأولاد فتنة يُختبر الناس بها، هل يكون المال والولد سببًا للوقوع فيما لا يرضى الله أم لا؟

والفتن تصفّل معدن الرجال، فيعلم الصادق من الكاذب، قال راهبٌ لسعيد بن جبير -رحمه الله-: "يا سعيد! في الفتنة يتبين من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت".

وأتى رجلان لابن عمر -رضي الله عنهما- في فتنة ابن الزبير فقالا: "إن الناس صنعوا ما ترى، وأنت ابنُ عمر صاحبُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم علي دم أخي المسلم، فقالا: ألم يقل الله -تعالى-: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) [البقرة: ١٩٣]، قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله".

ولما كانت الفتنة بهذه الخطورة على المسلم في دينه، وضررها على المسلمين عظيم، ذكر العلماء أسبابًا للوقاية من الفتنة على اختلافها:

أولها: الحصن الحصين، كلام رب العالمين، فهو الدواء الناجح للوقاية من الفتنة، فَمَنْ عَمَرَ وَقْتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَفِظَ مِنَ الْفِتَنِ، قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ" (رواه مسلم).

وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب الناس في حجة الوداع فقال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسُّسُ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ، وَلَكِنْ رَضِي أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ، مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" (رواه الحاكم).

ووصى النبي -صلى الله عليه وسلم- حذيفة -رضي الله عنه- بكتاب الله قال حذيفة -رضي الله عنه-: "قلت يا رسول الله! هل بعد هذا الشر خير؟ قال: يا حذيفة! تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ، ثَلَاثَ مَرَارٍ" (رواه أبو داود).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ، قَالَ -سُبْحَانَهُ-: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) [طه: ١٢٣]".

ثاني هذه الأسباب: ملازمة العلماء العاملين، والنهْلُ من علمهم، والتخلُّقُ بأخلاقهم، والتأدبُ بآدابهم، فهم ورثة الأنبياء، يُبَيِّنُونَ الشَّرِيعَةَ، وَيُوضِحُونَ الْأَحْكَامَ، وَيُحَذِرُونَ مِنَ الشَّرِّ، قَالَ الْحَسَنُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "الْفِتْنَةُ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أُدْبِرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ"، وَلِذَا أَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، لِأَنَّ زَمَانَ الْفِتَنِ يَكْثُرُ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَالْبَعْدُ عَنِ الصَّوَابِ، قَالَ -سُبْحَانَهُ-: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [ص: ٢٦].

فإذا قلَّ العلم ظهرت الفتنة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنْ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرَجُ، وَالْهَرَجُ: الْقَتْلُ" (متفق عليه).

وعند البخاري: "إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شَرْبُ الْخَمْرِ، وَيَقْتُلَ الرَّجَالُ، وَيَكْثُرُ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ".

وبذهاب العلماء يظهر الأئمة المضلون، وفي الصحيحين: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهَالًا،

فَسُئِلُوا فَأَفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا".

وفي البخاري: "فيبقى ناس جهال يُسْتَفْتُونَ، فيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فيَضِلُّونَ ويُضِلُّونَ"، ولذا خاف النبي - صلى الله عليه وسلم - على أُمَّته منهم: "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" (رواه أبو داود).
فاللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
الخطبة الثانية:

السبب الثالث من الأسباب الواقية - بإذن الله - من الفتن: التعوذ بالله من الفتن، في الصلوات أو في الدعوات عموماً، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ بالله دبر الصلاة بقوله: "اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر" (رواه البخاري).

ويتعوذ النبي - صلى الله عليه وسلم - تعوذاً عاماً من الفتن، كقوله - صلى الله عليه وسلم -: "تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال" (رواه مسلم).

ورابع هذه الأسباب: الدعاء، قال أنس - رضي الله عنه -: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا نبي الله! آمنة بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء" (رواه الترمذي وابن ماجه).

وعند أبي داود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر الغنى والفقر"، فالدعاء سببٌ في دفع البلاء والفتن، وسببٌ في العصمة من الضلال.

وخامس هذه الأسباب: الحرص على أداء العبادات، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا" (رواه مسلم).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "العبادة في الهرج كهجرة إلي" (رواه مسلم)، قال النووي -رحمه الله- : "سبب كثرة فضل العبادة في الهرج، أن الناس يغفلون ويشغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد". وقال القرطبي -رحمه الله-: "التمسك في ذلك الوقت، والمنقطع إليها، المنعزل عن الناس، أجره كأجر المهاجر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه ناسبه من حيث أن المهاجر فرَّ بدينه ممن يصدده عنه للاعتصام بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذا هذا المنقطع للعبادة، فرَّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو في الحقيقة قد هاجر إلى ربه، وفرَّ من جميع خلقه".

وسادس هذه الأسباب: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، قال حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: "كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم؟ قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" (رواه البخاري ومسلم).

وسابع أسباب الوقاية من الفتن: الصبر عند تغيير الأحوال، فقد صبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وصابر في مكة، وفي المدينة، وفي غزواته، وعلى أذى المنافقين، وجفاء الاعراب، لذا أعد الله للصابرين أجرًا عظيمًا بقوله: (إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الرُّم: ١٠].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (رواه ابن ماجه)، والصبر على أذى الناس وتحملهم من الواجبات التي لا بد للعالم أن يوطن نفسه عليها، ويميز الله بها الصابرين الصادق. وقد خالط النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس وقال الله له: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩]، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "خالطوا الناس وزايلوهم في الأعمال"، وعن عمر مثله وزاد: "وانظروا ألا تكلموا دينكم".

وثامن وسائل الوقاية من الفتن: اعتزال الناس، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يوشك أن

يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن" (رواه البخاري).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "من سمع بالدجال فليأمنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات" (رواه أبو داود).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تكون فتنة على أبوابها دعاة إلى النار، فأن تموت وأنت عاضاً على جذع شجرة خير لك من أن تتبع أحداً منهم" (رواه ابن ماجه).

وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- حال الناس في الفتن فقال: "ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاداً فليعد به" (متفق عليه).

قال ابن حجر -رحمه الله-: "في الحديث التحذير من الفتنة، والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها، وحال الصحابة عند ظهور الفتن هو أبلغ فعل عند الاختلاف، فمنهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين كابن عمر -رضي الله عنهما- ومن كان على شاكلته، وقد لزم منهم طائفة البيوت، وارتحلت طائفة عن بلد الفتنة".

وروى ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ويل للعرب من شر قد اقترب، أفلح من كف يده" (رواه أبو داود).

حفظنا الله والمسلمين من الفتن.

عداوة الشيطان

الخطبة الأولى:

ذكر الله عداوة مخلوقٍ من مخلوقاته، شديد العداوة، لا يكلّ ولا يملّ، عادى الخلائق، وعصى الخالق - سبحانه وتعالى -، إنه إبليس اللعين، قال - سبحانه وتعالى -: (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) [مريم: ٤٤]، له صولةٌ وجولةٌ في إضلال عباد الله، وله ولأتباعه شأنٌ في استراق السمع.

قال - تعالى -: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ) [الحجر: ١٦-١٨]، فالشياطين يركب بعضهم على بعض إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة، فيؤمنون بالكواكب فلا تخطئ أبدًا.

وإبليس له مع أبي البشر آدم - عليه السلام - خطبٌ وخطاب، حتى أخرجته من دار النعيم، قال ابن كثير - رحمه الله -: "أباح الله لآدم - عليه السلام - ولزوجته حواء الجنة، أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرةً واحدة، فعند ذلك حسدهما الشيطان، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة ليسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن، وقال كذبًا وافتراءً: ما نهاكما ربكما عن أكل هذه الشجرة إلا لتكونا ملكين أي: لثلا تكونا ملكين، أو خالدين هاهنا، ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما، (وَقَاسَمَهُمَا) [الأعراف: ٢١]، أي: حلف لهما بالله: (إِنِّي لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ) [الأعراف: ٢١]، فإني من قبلكما هاهنا وأعلم بهذا المكان، حتى خدعهما".

وعداوة الشيطان ليس مع آدم - عليه السلام - فحسب، بل هو مع جميع الأنبياء - عليهم السلام -، قال - سبحانه وتعالى -: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) [الأنعام: ١١٢]. وله مع نبينا - صلى الله عليه وسلم - كذلك كما قال: "ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن. قالوا: وإياك؟ يا رسول الله، قال: وإيائي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير" (رواه مسلم).

وأما عداوته لعموم الأمة فقد بينها الله بقوله - سبحانه -: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) [الأعراف: ٢٧].

وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - وصف صنيعه مع جنده فقال: "يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه

منه، ويقول: نَعَمْ أَنْتِ، قال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه" - أي يضمه إلى نفسه ويعانقه - (رواه مسلم).

وعداوته لا يسلم منها أحد حتى الكفار، قال - سبحانه - : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) [مريم: ٨٣]، أي: تغويهم إغواءً إلى فعل المعاصي.

فعداوته أزلية قوية من عهد آدم إلى يوم القيامة، ومن مَوْلِد الإنسان إلى وفاته، كما بينها - سبحانه - : (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص: ٨٢-٨٣].

وعداوته لا يسلم منها عالمٌ ولا عابد، ولا رجل ولا امرأة، ولا حتى الصبيُّ حال ولادته، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها" (رواه البخاري).

قال القرطبي: "هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط"، والشيطان: (عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) [المصص: ١٥]، وهو: يبلغ من الإنسان مبلغ الدم كما في الحديث المتفق عليه، والسبل التي يسلكها الشيطان مع عباد الله كثيرة، وعديدة، وخطيرة.

وقد التزم الشيطان - لعنه الله - في عداوته للناس في قوله - تعالى - : (وَلَا ضَلَّ اللَّهُ سَبِيلًا وَلَا مَنِيعًا) [الأعراف: ١١٩].

وذكر أنه سيذل جهده في إضلال بني آدم حتى يُضِلَّ أكثرهم، قال - تعالى - إخباراً عنه: (لَا فَعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [الأعراف: ١٦]، وعند عدم طاعته ووصوله إلى مبتغاه فإنه يسلك ما يمكن أن يفعل، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" (رواه مسلم)، والتحريش بينهم يكون: بالخصومات، والحروب، والفتن، وغيرها.

وأما خاتمة الشيطان مع أتباعه فهي عجيبة، تدل على مكره بهم، ففي الدنيا كما في غزوة بدر، قال - تعالى - : (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الأنفال: ٤٨].

فقد رأى الملائكة الكرام، وهي لا تنزل إلا بالنصر لمن تناصره، والشيطان خذول بطبعه للإنسان خذول عند نزول العذاب والبلاء، قال ابن كثير - رحمه الله - في خذلان الشيطان للإنسان -: "يخذله عن

الحق، ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل، ويدعوه إليه".

وفي الآخرة قال -تعالى-: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) [إبراهيم: ٢٢]، عندما دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واجتمعوا عليه قال: (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [إبراهيم: ٢٢].

وَأَجْمَلَ اللهُ مَصِيرَ مَنْ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا) [النساء: ١١٩]، وتلك خسارة لا جبر لها، ولا استدراك لفائتها؛ لأن النار مصيره، قال - سبحانه-: (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) [الحج: ٤].

والله - سبحانه- يُفَرِّعُ الكفرة الذين أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن في قوله -تعالى-: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يس: ٦٠]، ولهذا قال -تعالى-: (وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) [يس: ٦١].

وقفنا الله لطريقه المستقيم، والبعد عن طريق الشيطان الرحيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

مع هذا العداوة والقوة والتسلط الشيطاني للإنسان، إلا أن الله وصف كيد الشيطان ومكره بالضعف والهوان، في قوله -تعالى-: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) [النساء: ٧٦].

والله أمر بمعاداة الشيطان في قوله -تعالى-: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) [فاطر: ٦]، ومعاداته تكون بطاعة الله.

وحذر الله عباده المؤمنين فيما يُرِيْن لهم الشيطان ويملي لهم، قال - سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) [النور: ٢١]، وبين أن غايته ومبتغاه هو أنه (يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [النور: ٢١].

وأعظم ما يُصْرَف به كيد الشيطان توحيد الله وإخلاص العباد له، قال الله -تعالى-: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) [التحل: ٩٩-١٠٠].

ومما ينصرف به الشيطان سماع النداء بالصلاة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء" (رواه مسلم)، والروحاء: تبعد عن المدينة ستة وثلاثين ميلاً.

ومما يعصم المسلم من الشيطان الرجيم: المحافظة على الصلوات، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان" (رواه البخاري).

وكذلك السجود للتلاوة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله -وفي رواية: يا ويلي- أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار" (رواه مسلم).

ولما للصلاة من مزية، فهي ناهية عن الفحشاء والمنكر، وورد في فضلها وقوة حفظ العبد بها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله، فلا يطلبتك الله بدمته من شيء، فإنه من أخفر الله في ذمته كبه الله على وجهه في النار" (رواه مسلم).

ومما يدفع به المسلم كيد الشيطان الاستعاذة بالله العظيم، قال الله -تعالى-: (وَإِذَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزِعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأعراف: ٢٠٠].

وعندما استتبَّ رجلان عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، فجعل أحدهما تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (متفق عليه).

ومما يدفع به شرُّ الشيطان الرجيم: الإكثار من قراءة القرآن الكريم، وكلما أكثر العبد من التلاوة حصّن نفسه من الشيطان الرجيم، ومنه سورة البقرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة" (رواه مسلم)، والبطلة: السحرة.

ومما يدفع به شرُّ الشيطان قراءة آية الكرسي، ولها مزية على غيرها كما في قصة الشيطان مع أبي هريرة -رضي الله عنه- حين قال له إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: ٢٥٥]، وقال له: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح" (رواه البخاري).

وكذلك قراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين، ويقول عند دخول المسجد كما في الحديث: "بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال الشيطان: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ" (رواه أبو داود).

ومما يدفع كيدَ الشيطان عمومُ ذكر الله، فالشيطان يَخْنَسُ إذا سمع ذكر الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا قال المؤمن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة في أول يومه، كان ذلك حرزًا له من الشيطان في يومه، وكانت كعتق عشر رقاب، وكتب الله له مائة حسنة" (متفق عليه).

وذكرُ الله عند دخول المنزل حافظ لأهله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء" (رواه مسلم).

وذكرُ الله عندما يأتي الرجل أهله حافظ للذرية، فإذا قال: "بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولدًا لم يضره الشيطان" (رواه البخاري)، وفي مسلم: "فإنه إن يُقَدَّرَ بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبدًا".

ولأهمية ذكر الله في حفظ العبد، سأل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "يا رسول الله! مُرِنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه" قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ" (رواه أبو داود).

والدعاء سبب لطرده الشيطان، قال -سبحانه-: (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) [المؤمنون: ٩٧]، أي: نخسائهم لبني آدم، لِيَحْتُومَ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي، (وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُونِ) [المؤمنون: ٩٨]، أي: أعوذ بك أن يحضرنى الشيطان في أي أمر من أموري، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال -تعالى-: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [النحل: ٩٨]، أو عند حضور الأجل، أو في أي شأن من شؤون حياتي.

ومما يدفع الله به شرَّ الشيطان شهوؤُ مجالس الخير والعلم، فهي مجالسُ مباركةٌ، تنزل فيها السكينة،
وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة.

فاحرص على تحصين نفسك، وتعليم أهلك بما يكون فيه حفظٌ لهم في دينهم، وديناهم، والفوزُ بنعيم
الآخرة.

فاللهم احفظنا بحفظك من الشياطين، وهمزاته، واتباع خطواته، واجعلنا من حزبك المفلحين، ومن
عبادك المخلصين.

وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسباب تفريج الكربات

الخطبة الأولى:

لما أهبط آدم -عليه السلام- إلى الأرض لقي مُعاناةَ الحياةِ وشِدَّتَها، بعد نعيم الجنة وراحتهَا، فأصبح الإنسان يعيش في هذه الدنيا مكابداً، قال -سبحانه وتعالى-: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) [البَلَد: ٤]، فتارة يسعد، وتارة يحزن، وتارة يرتفع، وتارة يضع، والدنيا لا تصفو لأحد في تقلباتها.

وتفريج الهموم، وتنفيس الكروب بيدِ علاّم الغيوب -سبحانه-، فقد نجّا نوحًا -عليه السلام- ومن آمن معه من عذاب عظيم لم يشهد التاريخ له مثيلاً، قال -سبحانه-: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) [الأنبياء: ٧٦]، وكذا موسى -عليه السلام-: (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) [الصافات: ١١٤-١١٥].

ونجّا خليلَ الله إبراهيم -عليه السلام- من النار حين ألقى فيها، فقال: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، فجعلها الله بردًا وسلامًا عليه، ونبئنا محمد -صلى الله عليه وسلم- لاقى شدايدَ وصعابًا عديدة، في مكة وعند الهجرة وبعدها.

وتفريج الكروب التي يُعَدِّدُ عليها البشر من شيم الرجال الأوفياء، كما وصفت خديجة -رضي الله عنها- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين نزل الوحي عليه أول مرة فقالت له: "كلا، والله، لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، إلى أن قالت: وتعين على نوائب الحق" (متفق عليه)، وهذه من صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أمته في حياته.

وقد دل القرآن الكريم، والسنة النبوية على أسبابٍ تعين على تفريج الكروب -بعد إذن الله بها-: أولها وأهمها: توحيد الله، وتعلق القلب به في الشدة والرخاء، لذا صيغ الدعوات ودكر الله هي صيغ توحيدٍ لله -عز وجل-، قال -سبحانه- عن نوح: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) [الصافات: ٧٥]، وقال -سبحانه- خطابًا لأهل مكة: (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) [الأنعام: ٦٤]، والله -عز وجل- اختص بذلك وحده: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) [النمل: ٦٢].

وقد وقع كثير من المشركين في سؤال الأموات، وهم رميم، قد أكل الدود لحومهم، وأصبحت عظامهم نخرةً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الاستغاثة في تفريج الكربة لا تجوز ذلك من ميت، ولا غائب، ولا من حي حاضر إلا فيما يقدر عليه خاصة".

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "التوحيد مفرغ أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كُرب الدنيا وشدائدها (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّكَ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت: ٦٥]."

وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونسُ فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباعُ الرسل فَنَجَّوْا بِهِ مِمَّا عُدُّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا فَرَّعَ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْهَلَاكِ وَإِدْرَاكِ الْغَرَقِ لَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ لَا يُقْبَلُ، هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

فَمَا دُفِعَتْ شِدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ، وَلِذَلِكَ كَانَ دَعَاءُ الْكُرْبِ بِالتَّوْحِيدِ، وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ، فَلَا يُقْبَلُ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ إِلَّا الشَّرْكَ، وَلَا يَنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ، فَهُوَ مَفْرَغُ الْخَلِيقَةِ وَمَلَجُؤُهَا، وَحَصْنُهَا وَغِيَاثُهَا".

ثانيتها: أداء الصلاة، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ -أَي: أَهْمَةٌ- صَلَّى" (رواه أبو داود)، فالصلاة مزيله للهموم والغموم، وقد وصى المولى بها، قال -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣].

وفي حديث خسوف الشمس قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يَرِيهِمَا عِبَادُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ" (رواه البخاري).

السبب الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره، حُلُوهُ وَمُرُّهُ، فَاَلْمُؤْمِنُ يَتَلَقَى الْأَلَامَ وَالْأَوْجَاعَ بِثَبَاتِ قَلْبٍ، وَصَبْرِ جَمِيلٍ، مُحْتَسِبًا الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ، عَمَلًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" (رواه مسلم).

السبب الرابع: المداومة على ذكر الله -عز وجل-، قال -سبحانه- لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: (وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْتَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) [الحجر: ٩٧-٩٨]؛ لِمَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ مِنْ طَمَآنِينَةٍ لِلْقَلْبِ، وَرَاحَةٍ لِلنَّفْسِ، (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨].

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر قال: "لا إله إلا الله رب العرش الكريم" (رواه مسلم)، ويقول: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" (رواه الترمذي)، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم" (متفق عليه).

السبب الخامس: دعاء الله والتضرع إليه، فالكرب الذي لاقاه نوح -عليه السلام- هو الخوف الحاصل من الغرق، أو أنه تكذيب قومهم وأذاهم، وكانت نجاته ومن معه بدعاء ربه حين دعا فقال: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) [الصافات: ٧٥-٧٦]، وكانت نجاته ومن معه بدعاء ربه حين دعا فقال: (أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) [القمر: ١٠-١١].

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو عند الكرب يقول: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم" (رواه البخاري).

وفي قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة تَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي الدُّعَاءِ، فقال بعضهم لبعض: "انظروا أعمالاً عملتموها صالحةً لله، فادعوا الله -تعالى- بها، لعل الله يفرجها عنكم" (رواه البخاري)، فاستجاب الله لهم، ونجَّاهم من كربتهم. اللهم اشرح صدورنا، ويسر أمورنا، وفرج همومنا، ونفس كربنا. الخطبة الثانية:

من أسباب تفرج الكربات: السعي في مصالح المسلمين وتفرج كرباتهم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة" (أخرجه مسلم).

وورد عند أحمد: "مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، قال ابن رجب -رحمه الله-: "الكربة: هي الشدة العظيمة التي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْكَرْبِ، وَتَنْفِيسُهَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهَا مِنْهَا، مَأْخُودٌ مِنْ تَنْفُسِ الْخِنَاقِ، كَأَنَّهُ يُرْخِي لَهُ الْخِنَاقَ حَتَّى يَأْخُذَ نَفْسًا، وَالتَّفْرِيجُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَزِيلَ عَنْهُ الْكَرْبَةَ، فَتَفْرَجَ عَنْهُ كَرْبَتَهُ، وَيَزُولَ هَمُّهُ وَغَمُّهُ، فَجَزَاءُ التَّنْفِيسِ التَّنْفِيسُ، وَجَزَاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ".

وتفريج الكربة تارة ببذل المال إن كانت كربيته من حاجة، أو بذل جاهه في طلبه له من غيره، أو قرضه، وإن كانت كربيته من ظلم ظالم له فرجها بالسعي في رفعها عنه أو تخفيفها، وإن كانت كربة مرض أصابه أعانه على الدواء إن كان لديه أو طبيب ينفعه، وبالجملة فتفريج الكرب باب واسع، فإنه يشمل إزالة كل ما ينزل بالعبد أو تخفيفه.

ويدخل فيها أيضًا ما ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيَنْفَسْ عَنْ مَعْسَرٍ، أَوْ يَضَعْ لَهُ" (رواه مسلم).

فالصدقة والبر والإحسان سبب في تفريج الكربات، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه. فرج الله همَّ المهمومين، ونفّس كرب المكروبين، ورزقهم الصبر، وأعظم لهم الأجر.

الرؤى والأحلام

الخطبة الأولى:

الرؤيا مبدأ الوحي، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً، وعند اقتراب الزمان لا تكاد تكذب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن" (رواه البخاري)، وذلك لبعده العهد عن النبوة وآثارها، فيتعوض بالرؤيا، و"لم يبق من النبوة إلا المبشرات" (رواه البخاري). وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه -بشأن ليلة القدر-: "أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان متحريها، فليتحريها في العشر الأواخر من رمضان" (رواه البخاري).

ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، ولذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل -عليهما السلام- بالرؤيا، قال -تعالى-: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) [الصافات: ١٠٢].

والرؤيا يراها الأنبياء -عليهم السلام- وغيرهم، فقد رأى يوسف -عليه السلام- رؤياه، كما ذكرها الله: (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) [يوسف: ٤]. ونبينا -صلى الله عليه وسلم- رأى رؤى عديدة في الهجرة وبدراً وغيرهما، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هزرت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقرًا والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر" (متفق عليه).

وقد قال -سبحانه- في بدر: (إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) [الأنفال: ٤٣].

ولأهمية الرؤى، فقد أفردها المصنفون في مصنفاتهم، كما في صحيح البخاري "كتاب التعبير"، ومسلم "كتاب الرؤيا"، بل إن الإمام البخاري -رحمه الله- من أسباب جمعه الأحاديث المسندة الصحيحة، أنه رأى في المنام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان البخاري واقف بين يديه، وبیده مڑوچه يذبُ

بها عنه، فظهر من تعبيره أنه يُدبُّ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الكذب. ولأهمية الرؤيا في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول لأصحابه -رضي الله عنهم-، "من رأى منكم رؤيا فليقصها أُعبرها له" (رواه البخاري)، وإذا صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الصبح أُقبلَ على الصحابة -رضي الله عنهم- فقال: "هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟" (رواه مسلم).
 وجميع أوقات النوم زمن للرؤيا، قال ابن حجر -رحمه الله-: "إن رؤيا النهار مثلُ الليل"، وقد بوب البخاري -رحمه الله- بابًا لذلك، وساق ابن حجر -رحمه الله- قولَ القيرواني -رحمه الله-: "إنه لا فرق في حُكم العبارة بين رؤيا الليل والنهار، وكذا رؤيا النساء والرجال".

والرؤى والأحلام لا تُحدّ بسنّ ولا دين، وقد بوب الإمام البخاري بابًا سماه: "باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك"، وأورد قصة يوسف مع السجناء ورؤاهم: (وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [يُوسُف: ٣٦].

ثم اعلّموا أن من الرؤى ما هي منبهة، ودافعة للمرء على أداء العبادة، كما في حديث ابن عمر -رضي الله عنه- انه رأى رؤيا فقصها لحفصة -رضي الله عنها-، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "نعم العبد عبد الله، لو كان يصلي من الليل"، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً (متفق عليه).

وقد تكون منبهةً لأهل بلد معين، كما في رؤيا عزيز مصر حين قال: (إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ) [يُوسُف: ٤٣]، فأعلمهم يوسف -عليه السلام- بأنهم سيمرون على مرحلة رخاءٍ ورغد عيش، ثم تأتي سنينٌ عجافٌ، ثم يعود الخير مرة أخرى. وأما تحقق الرؤيا فقد تكون قريبة، وقد تكون بعد أمد، قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير رؤيا يوسف -عليه السلام-: "إنها تحققت بعد أربعين سنة، وقيل: ثمانين".

ورؤيا النبي -صلى الله عليه وسلم- دخوله مكة في قوله: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) [الْفَتْح: ٢٧].

فذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمون فضدُّوا عن البيت، فقال عمر -رضي الله عنه-: أوليس كنت تُحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكَ أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا،

قال: فإنك آتية ومطوف به" (رواه البخاري)، وتحققت هذه الرؤيا بعد نزول الآية بعشرة أشهر. وفقنا الله لطاعته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

قسّمت السنة المطهرة المناماتِ إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: رؤيا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الرؤيا من الله" (متفق عليه)، وفي رواية البخاري: "الرؤيا الصادقة من الله"، وفي رواية مسلم: "الرؤيا الصالحة من الله".

وإذا رأى أحد رؤيا فليحدث بها من يحب قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب" (رواه مسلم)، وليحمد الله عليها قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فإذا رأى أحدكم ما يحب فليحمد الله، ولا يحدث بها إلا من يحب" (رواه الدارمي).

قال ابن حجر -رحمه الله-: "والحكمة في ذلك، أنه إذا حدّث بالرؤيا الحسنة من لا يحب، قد يفسرها له بما لا يحب، إما بغضًا وإما حسدًا، فقد تقع عن تلك الصفة، أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنًا ونكدًا".

والثاني: حديث النفس، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الرؤيا على ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والشيء يُحدّث به الإنسان فيراه في منامه" (رواه النسائي).

والثالث: الأحلام، وهي تحزين وتخويف من الشيطان، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه، فليصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره" (رواه البخاري).

وعند مسلم قال: "إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصق عن يساره ثلاثًا، وليستعد بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه"، وفي رواية عند مسلم أيضًا: "فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقم، فليصل، ولا يُحدّث بها الناس"، وحقيقة هذه الأحلام ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "إنها أهوايلٌ من الشيطان، ليحزن ابن آدم".

وجاء أعرابي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله! إني حلمت أن رأسي قُطع فأنا اتبعه، فزجره النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: "لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام" (رواه مسلم).

ولا تقص الرؤى على أي أحد إلا من عُرف بالديانة والأمانة، قال ابن حجر -رحمه الله-: "ولا يحدث بها إلا لبيباً، أو حبيباً، ولا يقصها إلا على عالم، أو ناصح".

ولا تقص الرؤيا إلا على من تحب، وهي على رجلٍ طائرٍ ما لم تُعبر، فإذا عُبرت وَقَعَت. وعلى المعبر أن يتقى الله فيمن أهدته رؤيا، أو أحزنه حلم، ولا يكون همه الظهور، أو جلب المال، بل يعبرها كما كان يعبرها عمر -رضي الله عنه- إذا قُصت عليه رؤيا قال: "اللهم إن كان خيراً فلنا، وإن كان شراً فلعدونا".

قال ابن القيم -رحمه الله-: "المفتي والمعبر والطبيب، يطلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا فيما يطلع عليه غيرهم، فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره".

ثم اعلّموا أن التحصن بالأوراد الشرعية في الصباح والمساء، والمحافظة على أداء الصلوات، وذكر الله، والنوم على طهارة، وقراءة آية الكرسي، أسباب مهمة في بُعد الشيطان عن العبد في منامه، فتصرف عنه تلك الأحلام، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ آية الكرسي لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح" (رواه البخاري).

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أنواع العلاج

الخطبة الأولى:

الدنيا مليئة بالأفراح والأتراح، والآمال والآلام، وأعظم من صبر وصابر على شدتها ولأوائها هم رسل الله -عليهم السلام-، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل" (رواه أحمد).

وفي حديث آخر: "يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقةٌ خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة" (رواه أحمد).

ولما كانت الصحة والعافية مَعْنَمًا للإنسان، وأن حياته قد يعترها أمراضٌ وأسقام أمرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن نغتنم خمسًا قبل خمس وذكر منها: "صحتك قبل سقمك" (رواه أحمد).

فالأمرض التي تعترى الإنسان نوعان: أمراض قلوب، وأمراض أبدان، ومرض القلب أشد من مرض البدن، قال الله عن حال المنافقين: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) [البقرة: ١٠]، وشفاء مرض القلب بالتوحيد والإيمان، قال -سبحانه-: (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) [الأنعام: ١٢٢]، قال ابن القيم -رحمه الله-: "والقلب ربما يصدأ، وربما يموت وصاحبه حي".

وأما مرض البدن فيعترى كل إنسان، فقد يكون ملازمًا لصاحبه دهرًا من الزمن، كما وقع لنبي الله أيوب -عليه السلام- فقد ابتلاه الله سنين عديدة، قيل: ثلاث سنين، وقيل: سبع سنين، وقيل: أكثر، وقد يتعاهد المريض صاحبه بين زمن وآخر.

كما وقع لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- حين أكل من الشاة المسمومة عام خير، في بداية السنة السابعة من الهجرة، ولما حضرته الوفاة في السنة الحادية عشرة قال لعائشة -رضي الله عنها-: "يا عائشة! ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخير، فهذا أوان وجدتُ انقطاعَ أبهري من ذلك السُّمِّ" (رواه البخاري)، وقد يتلى المرء بالمرض، ثم يُشفى وهو الأغلب.

وقد أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى جملة من الأدوية تطرد الداء بإذن الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء" (رواه البخاري).

وقد عكف المصنّفون على تقصي هذه الأدوية النبوية، وأفردوها في مصنّفاتٍ خاصة، أو تبوياتٍ في

مصنفاًهم، وأثبتت التجارب الحديثة قوة أثر هذه الأدوية النبوية.

فمن هذه الأدوية: وهو الأصل الأصيل، والحبل المتين، كلام رب العالمين، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا وَهُدِيَ، وَشُفِيَ وَكُفِيَ بِإِذْنِ اللَّهِ، قَالَ -سبحانه وتعالى-: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [الإسراء: ٨٢].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بالشفائين: القرآن والعسل" (رواه الحاكم)، وعندما رُقي سيدُ القوم بفاتحة الكتاب من أثر لدغة شفاه الله، كما في الصحيح من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: "فكأنما نَشِط من عقال، فانطلق يمشي، فلما أخبر رسول الله قال: "وما يدريك أنها رقية".

ثاني هذه الأدوية: العسل، فقد أخبر المولى -سبحانه- بأنه شفاء، فقال -عز وجل-: (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) [النحل: ٦٩]، وقد استُطلق بطُنُ رجل في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال لأخيه: "اسقه عسلاً"، وفي كل مرة يعاود النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- له: "صدق الله، وكذب بطن أخيك" (رواه مسلم).

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور"، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الشفاء في ثلاثة: شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهي أمتي عن الكي" (رواه البخاري).

ثالث هذه الأدوية: ماء زمزم، وهو ماء مبارك، عُسل به جوفُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو طعام طعم، وشفاء سُقم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه: "ماء زمزم لما شرب له" (رواه ابن ماجه)، وكان ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول إذا شربه: اللهم إني أسالك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء".

رابع هذه الأدوية: زيت الزيتون، وهو من شجرة مباركة، وثمرها مبارك، قال -سبحانه-: (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) [النور: ٣٥]. ومن الأدوية أيضاً: الحبة السوداء: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "في الحبة السوداء، شفاء من كل داء، إلا السام" يريد الموت. (متفق عليه).

والأدوية متعددة، كالحجامه، وتمر عجوة العالية، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن في عجوة العالية شفاء، أو إنها ترياق أول البكرة" (رواه مسلم).

وكذلك ألبان وأبوال الإبل، كما في الحديث وفيه: "قدم أناس من عُكَلٍ، أو عرينة، فاجتووا المدينة،

فأمرهم النبي بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا فلما صحوا" (رواه البخاري). وكذلك بذل الصدقة والمعروف له أثرٌ في دفع البلاء، كما في حال الكسوف، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فإذا رأيتم ذلك، فادعوا الله، وكبروا، وصلوا، وتصدقوا" (متفق عليه). قال ابن دقيق العيد -رحمه الله-: "في الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف، لاستدفاع البلاء المحذور".

كتب الله الشفاء لمرضانا، والعافية لمبتلانا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

من أركان الإيمان، الإيمان بالقضاء والقدر، والناس في ذلك متفاوتون بين صابر وجازع، وشاكرٍ وراضٍ، وأثنى الله على أيوب -عليه السلام- في صبره وتحمله فقال: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [ص: ٤٤]، ومع ذلك كان متأدبًا في دعائه حين قال: (مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأنبياء: ٨٣]، مع أن ابتلاءه كان كبيرًا، وزمنه طويلًا.

وخليل الرحمن إبراهيم -عليه السلام- أسند المرض إلى نفسه تأدبًا مع الله، حيث قال: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [الشعراء: ٨٠]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أسند المرض إلى نفسه وإن كان على قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه تأدبًا".

ولم يُعرف عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنه اشتكى مرضًا، أو علة، إلا على سبيل الإخبار، قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا هو يوعك، فمسستته، فقلت يا رسول الله: إنك لتوعك وعكًا شديدًا، قال: أجل، إني أوعك كما يوعك رجال منكم" (متفق عليه).

وليعلم المسلم أن المرض إما كفارةٌ للسيئات، أو رفعةٌ للدرجات، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، إلا كفر الله بها من خطاياها" (رواه البخاري)، وقال في حديث آخر "ما من مسلم يصيبه أذى، مرضٌ فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها" (متفق عليه).

والمرأة التي تُصرع حينما شكت للنبي -صلى الله عليه وسلم- حالها قال: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: اصبري، قالت: فاني أتكشف، فادع الله لي أن لا

أتكشف، فدعا لها" (رواه البخاري).
والدعاء سببٌ رئيسٌ بإذن الله في رفع البلاء، وسرعة الشفاء، فأيوب ويونس وزكريا -عليهم السلام-
دعوا الله فاستجاب لهم.
فَعَلَّقْ قَلْبَكَ بِاللَّهِ، فَهُوَ الشَّافِي الْمَعَانِي.
عجل الله بالشفاء لمرضانا ومرضى المسلمين.
وصلوا وسلموا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحقوق والواجبات

الخطبة الأولى:

الحقوق والواجبات تحت المرء على العمل، وتنظم الحياة، وتحفظ الممتلكات، وتطمئن النفوس، وترتب الأولويات، ويعلم العامل ثواب عمله، وتحذر العاصي من شؤم صنيعه.

وأعظم الحقوق: حق الله -تعالى-، وهو الاعتقاد بأنه الواحد الصمد، لا شريك له في أفعاله من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة وغيرها، ولا شريك له في ألوهيته، ونصفه بما وصف به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ونزهه عما نزه عنه نفسه ونزهه عنه رسوله، ونعلم أنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]، فهو المتوحد بصفات الكمال، وغاية الجلال والجمال، لا نحصى أبداً ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وقد أمر الله عباده بأعظم الحقوق، قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ٢١]، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، قال -سبحانه-: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء: ٣٦].

وفي الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- "يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فقلت يا رسول الله: أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا" (متفق عليه).

فمن وحّد الله وأدى الطاعات ولم يشرك به شيئاً استوجب دخول الجنة، ونجى من النار، ففي قصة أبي ذر قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ذاك جبريل، أتاني فأخبرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: يا رسول الله، وإن زنى، وإن سرق، قال: وإن زنى، وإن سرق" (متفق عليه). وهذا يدل على أهمية توحيد الله قولاً وعملاً واعتقاداً.

والحق الثاني: حق النبي -صلى الله عليه وسلم-، فحقه عظيم، فهو المبلغ عن رب العالمين، قرّن الله طاعته بطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فقال -سبحانه-: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [النساء: ٨٠]، وقال -سبحانه-: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [النور: ٥٢]، فجعل الطاعة لله وللرسول -صلى الله عليه وسلم-، وجعل الخشية والتقوى لله وحده، وأخبر الله أن معصية الرسول -صلى الله عليه وسلم- معصية له (وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ

لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) [الجن: ٢٣].

فالواجب: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهي وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فقد بين الله في كتابه حقوق الرسول: من الطاعة له، ومحبتة، وتعزيره، وتوقيره، ونصّره، وتحكيمه، والرضى بحكمه، والتسليم له، واتباعه، والصلاة والتسليم عليه، وتقديمه على النفس والأهل والمال، وردّ ما يُتنازع فيه إليه، وغير ذلك من الحقوق".

وكما شرف الله رسوله الكريم فجعل حقه أعظم الحقوق، كذلك شرف زوجات الرسول -صلى الله عليه وسلم- فجعلهن أمهات للمؤمنين، فأوجب احترامهن وتعظيمهن، وحرّم نكاحهن على الرجال، إكراماً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وحفظاً لحرمة في حياته وبعد وفاته، قال -سبحانه-: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الأحراب: ٦].

وحق الصحابة على الأمة كبير، فهم خير الخلق بعد الأنبياء -عليهم السلام-، لا كان ولا يكون مثلهم، فنزلهم منزلتهم، ونظّم محبتهم، والشأن عليهم، والترضي عنهم، والذّب عنهم، ونعرف أخبارهم، وأحوالهم، ونمسك عما شجر بينهم، فكل مؤمن آمن بالله فللصحابة -رضي الله عنهم- الفضل إلى يوم القيامة، بلّغوا الدين، وجاهدوا في سبيل رب العالمين.

والمؤمن من قرابة الرسول -صلى الله عليه وسلم- له حق المحبة وفضل القرابة، وصّى بهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" (رواه مسلم).

وأعظم حق بعد حق الله -تعالى- حق الوالدين، فقد أمر الله بعبادته وتوحيده، وقرّن بذلك الأمر بالإحسان إلى الوالدين، قال -تعالى-: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: ٢٣].

وأجمل الله معاملة الوالدين حال قوتهم وضعفهم فقال: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وأقبل رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما، قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم،

قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما" (رواه مسلم).

وفي حديثٍ قال الرجل ما جئتك حتى أبكيتهما، يعني والديه فقال النبي: "ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما"، وجاء معاوية بن جهممة السلمي -رضي الله عنه- إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله! أردت الغزو، وجئتك أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم، فقال: الزمها فإن الجنة عند رجلها" (رواه ابن ماجه).

وحق القرابة وصى به الله في ثالث الحقوق العشر، فقال -سبحانه-: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى) [النساء: ٣٦]، قال ابن كثير -رحمه الله- في قوله: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى): "يعني الذي بينك وبينه قرابة"، ومعناه: الأمر بالإحسان لذي القربى، وإيتائهم حقوقهم من البر والصلة، قال -سبحانه-: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) [الإسراء: ٢٦]، ويفضل المعروف لهم عن غيرهم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي القرابة اثنتان: صلة، وصدقة" (رواه أحمد).

والحق الخامس: هم اليتامى الذين فقدوا آباءهم وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، بكفالتهم وبرهم، وملاطفتهم في القول والعمل، وجبر خواتمهم، وإحسان تربيتهم، وتأديبهم على أكمل وجه، والحرص عليهم في مصالح دينهم ودنياهم، سواء كانوا أقارب أو غيرهم، قال -سبحانه-: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى) [النساء: ٣٦].

ورتب النبي -صلى الله عليه وسلم- لكافل اليتيم أجرًا وافرًا فقال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعه السبابة والوسطى" (رواه البخاري). قال المناوي -رحمه الله-: "أي الكافل في الجنة مع النبي لا أنه في درجته، أو المراد في سرعة الدخول، أو هو إشارة إلى الانضمام والاقتراب".

ونهى الله عن أكل أموال اليتامى بغير وجه حق، فقال -سبحانه-: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [الإسراء: ٣٤]، وتوعد الله من أكل ماله بغير وجه حق في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) [النساء: ١٠].

ومن الحقوق حق المساكين، أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية من يعولون، فأمر الله -تعالى- بالإحسان إليهم، بدفع فاقتهم، والقيام بما يسد حاجتهم من الصدقة أو الزكاة، فهم أهل لها، قال -سبحانه-: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

وَفِي الرَّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التَّوْبَةُ: ٦٠].

ورعّب النبي -صلى الله عليه وسلم- في السعي في مصلحة المسكين فقال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل والصائم النهار" (رواه البخاري)، وفي مسلم "كالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر".

ومن الحقوق: حق الجوار، بدأ الله بالجوار الذي بينك وبينه قرابة، فقال -سبحانه-: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى) [النِّسَاء: ٣٦]، فله على جاره حق وإحسان، والثاني: الجار الذي لا تربطك به قرابة وهو (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) [النِّسَاء: ٣٦].

والجار له حق مؤكد وصّى به جبريل -عليه السلام- النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه ليورثه" (متفق عليه)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي ذر: "يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك" (رواه مسلم).

ونهى الإسلام عن أذية الجار بقول أو فعل، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "لا يمنع جارٌ جاره أن يغرّز خشبه في جداره" (متفق عليه)، وكلما كان الجار أقرب مكاناً كان حقه أكد، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية، والصدقة إن كان أهلاً لها، ودعوته لأفراحه، والنصح له بأجمل عبارة وألطف كلمة.

ومن الحقوق التي أمر الإسلام بها: حق الصاحب بالجنب، قال -سبحانه-: (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) [النِّسَاء: ٣٦]، قيل: هو الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل: الصاحب مطلقاً، فيشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة.

فكل صاحب على صاحبه حق في أمور دينه ودنياه، من النصح له، وبذل المشورة، والوفاء معه في الشدة والرخاء، وأن يُحبَّ له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

ومن الحقوق التي ذكرها الله -عز وجل- حق ابن السبيل كما قال: (وَابْنِ السَّبِيلِ) [الأنفال: ٤١]، وهو: المسافر الغريب الذي تقطعت به السبل، فليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده، وإن كان له مالٌ فحقه على المسلمين حق البذل والعطاء.

وقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن منع ابن السبيل حاجته، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، رجل

على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل" (رواه مسلم).

أما مانع الماء من ابن السبيل فلأنه مَنَعَهُ حَقَّهُ، وَعَرَّضَهُ لِلْهَلَاكِ ولذا استحق الوعيد، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك" (رواه البخاري).

ومن الحقوق أيضاً: ملك اليمين، كما في قوله -تعالى-: (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) [النساء: ٣٦]، والمقصود بهم العبيد والأرقاء، ونَسَبَ الْمَلِكُ إِلَى الْيَمِينِ؛ لأنها جارحة البطش والتغلب والتملك. وصى الله بهم لضعف حيلتهم، وأسْرَهُمْ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَحَقُّهُمْ إِعَانَتَهُمْ عَلَى مَا يَتَحْمَلُونَ، وَعَدَمُ تَحْمِيلِهِمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَعَدَمُ أَذِيَّتِهِمْ بِقَوْلٍ أَوْ بِفِعْلٍ، وَيَكُونُ تَأْذِيَّتَهُمْ لِمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ تَحْرِيرَهُمْ مِنَ الرِّقِّ بِعَتَقِهِمْ، وَحَسْنُ مَعَامَلَتِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ، وَالْقِيَامُ بِكِفَايَتِهِمْ.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إخوانكم خولكم -أي خدمكم-، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم" (متفق عليه). وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- أيضاً: "للمملوك طعامه، وكسوته، ولا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ" (رواه مسلم).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

الإسلام بتشريعاته السمحة، الحقوق فيه متنوعة، فالحقوق تتنوع بين الراعي والرعية، وبين أفراد الأسرة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته" (رواه البخاري).

ومن الحقوق: حق الزوج على زوجته من المعاشرة بالمعروف، وأن تطيعه في غير معصية، وأن تحفظه في نفسها وماله، قال شيخ الإسلام: "وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج".

ولعظم حق الزوج قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدي المرأة حقَّ الله -عز وجل- عليها كلَّه حتى تؤدي حق زوجها عليها كلَّه، حتى لو سألتها نفسها -أي الوطاء- وهي على ظهر قَتَبٍ -أي بغير- لأعطته

إياها" (رواه أحمد).

وإذا التزمت بحق الله، فأدت الفرائض، وصامت رمضان، وأطاعت زوجها في معروف، فلها ثواب عظيم، واجر كبير.

وحق الزوجة على زوجها: أن يعاشرها بالمعروف سأل رجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما حق المرأة على الزوج؟ فقال: أن يطعمها إذا طعم، وأن يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّح، ولا يهجر إلا في البيت -أي المضجع-" (رواه ابن ماجه)، وإن كان مُعَدِّدًا فليعدل في المبيت والنفقة.

والحقوق تتنوع بين القريب والبعيد، فحق الولد على والده حسن التسمية، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن" (رواه مسلم)، ويحْتَنَبُ الأَسْمَاءَ القَبِيحَةَ والمذمومة، وأن يراعي فيهم حقَّ الله، من حسن التربية، وكريم الملاطفة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار" (رواه البخاري).

وأن يأمرهم بأوجب الأعمال بعد الشهادتين وهي الصلاة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع" (رواه أبو داود).

ومن الحقوق: حق ولي الأمر، وهو السمع والطاعة في المعروف، والنصح، والدعاء له، قال عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-: "بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة، في المنشط والمكروه وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم" (رواه البخاري).

وحق الأجراء: حق متفق عليه، لا يجوز الإخلال به بين صاحب العمل والعامل.

الحقوق كثيرة بين المسلمين، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه" (رواه مسلم).

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

العوامل الموجبة لمحبة الله

الخطبة الأولى:

الله - عز وجل - يُحِبُّ وَيُحِبُّ، قال - سبحانه - : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [المائدة: ٥٤]، فهو يحب عباده المؤمنين وهم يحبونه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة أن الله نفسه يُحِبُّ وَيُحِبُّ".

ومحبته - سبحانه - لمن شاء من عباده موافقة لأمره ونهيه، فيحب من شاء من عباده ممن اتصفوا بصفات جليلة وأعمال حميدة:

فالله - سبحانه - (يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [المائدة: ٩٣]، و (يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الحجرات: ٩]، و (يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ٧٦]، و (يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢]، و (يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْضُوصًا) [الصَّف: ٤]

والمؤمنون يحبون الله حبًّا شديدًا أشدَّ من محبة المشركين لأهتهم قال - تعالى - : (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة: ١٦٥].

وأهم ما يتوصل به المرء إلى محبة الله هي محبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) [آل عمران: ٣١]، ومحبته - صلى الله عليه وسلم - بلزوم هديه واتباع سنته، ويقدم أوامر الله وأوامر رسوله - صلى الله عليه وسلم - على هوى نفسه وعلى أمر غيره وعلى نهي غيره كائنًا من كان، من نفسه وأهله ووالده، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "والذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" (متفق عليه).

وقال عمر - رضي الله عنه - : "يا رسول الله! لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : الآن يا عمر" (رواه البخاري).

ومن كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما سينعم بحلاوة الإيمان، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" (متفق عليه).

وحلاوة الإيمان هي التلذذ بالطاعة، وطمأنينة القلب، وانسراح الصدر. ومحبة الله متنوعة للأماكن،

والأشخاص، والفئات من الناس.

فيحب الله مكة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت" (رواه الترمذي). ويجب الله المساجد، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها" (رواه مسلم)، قال القاضي عياض -رحمه الله- في سبب المحبة: "لأنها بيوت حُصت بالذكر، وبتُع أسست للتقوى والعمل الصالح".

ويحب الله أشخاصًا بعينهم كعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم خيبر: "لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح على يديه يحب الله ورسولَهُ، ويحبه الله ورسولُهُ، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلُّهم يرجوه، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به" (رواه البخاري).

وبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: أخبروه أن الله يحبه" (متفق عليه).

قال ابن دقيق العيد -رحمه الله-: "يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه؛ لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده".

وأحب الأديان إلى الله الحنيفية، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "أحب الأديان إلى الله الحنيفية" (رواه أحمد)، قال ابن حجر -رحمه الله-: "والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ، والحنيفية: ملة إبراهيم، والحنيف، في اللغة: من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفاً لميله عن الباطل إلى الحق، لأن أصل الحنف الميل".

ومن أحب الأنصار أحبه الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" (رواه مسلم)، قال النووي -رحمه الله- عن محبة المرء للأنصار: "من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله -سبحانه وتعالى-، ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومن أبغضهم كان بضد ذلك".

ويحب الله من الأسماء "عبدالله وعبد الرحمن" (رواه مسلم)، لتضمنهما لوصف المولى بالإلهية والرحمة،

ووصف الإنسان بالعبودية والافتقار، ولم يقع في القرآن عبدٌ إلى اسم من أسمائه -تعالى- غيرهما، قال عيسى -عليه السلام-: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) [مريم: ٣٠]، وقال في وصف عباده المؤمنين (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) [الفرقان: ٦٣]، وهما أيضًا أصول الأسماء الحسنى.

وأهم عمل يوجب محبة الله أداء الفرائض، قال الله -تعالى- في الحديث القدسي: "وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه" (رواه البخاري).

وأداء النوافل سبب لمحبة الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا" (رواه البخاري).

وزيارة المسلم لأخيه المسلم في الله سبب لمحبة الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، قال: فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، فقال له: هل له عليك من نعمة ترُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحبه في الله، قال: فإني رسول الله إليك أن الله -جل وعلا- قد أحبك كما أحببته فيه" (رواه مسلم).

ويجب الله من يصلي الفريضة في وقتها، ومن يبرُّ بوالديه، ومن يجاهد في سبيله، سأل ابن مسعود النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أي العمل أحب إلى الله -عز وجل-؟ قال: "الصلاة لوقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، ثم قلت أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله" (متفق عليه).

وكلما كثر المصلون كان ذلك أحبَّ إلى الله -تعالى-، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلته مع الرجل، وما كثر فهو أحب إلى الله -تعالى-" (رواه أبو داود).

ويجب الله من الذكر أربعًا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت" (رواه مسلم)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان

الله العظيم" (متفق عليه).

ودوام العمل الصالح أحب الأعمال إلى الله وإن قل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل" (رواه البخاري).

وأداء العمل الصالح في عشر ذي الحجة أحب إليه -سبحانه- من غيره، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام -يعني أيام العشر- قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء" (رواه أبو داود).

وأحب المكاسب ما كان من عمل اليد، لتُعْفَ به النفس عن السؤال، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما أكل أحد منكم طعامًا أحبَّ إلى الله -عز وجل- من عمل يديه" (رواه أحمد). وخير المكاسب ما كان من عمل اليد، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن خير ما أكل المرء من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده".

وقد كان أنبياء الله -عليهم السلام- يعملون بأيديهم، فداود -عليه السلام- كان يصنع الدروع، قال -سبحانه-: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) [الأنبياء: ٨٠]، وزكريا -عليه السلام- نجارًا - كما في صحيح مسلم -، وما من نبي إلا ورعى الغنم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ قال: نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة" (رواه البخاري).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ثمرة محبة الله للعبد يجدها في الدنيا قبل ثواب الآخرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا أحب الله عبدًا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه أهل السماء قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض" (رواه مسلم).

ولأهمية محبة العبد لربه عليه أن يسأل الله ذلك، قال ابن القيم -رحمه الله-: "ومن أفضل ما سئل الله -

عز وجل - حَبَّه، وحبَّ من يجبه، وحبَّ عملٍ يقرب إلى حبه".

وإذا أحب الله العبد أدخله الجنة، فقد كان رجل من الأنصار يؤم الناس في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورةً يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص: ١]، حتى يفرغ منه، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فلما أتاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبروه الخبر، فقال: "يا فلان! ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟"، فقال: إني أحبها، فقال: حبك إياها أدخلك الجنة" (رواه البخاري).

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

عقوبات الأمم السابقة

الخطبة الأولى:

أرسل الله - عز وجل - رسله - عليهم السلام - مبشرين ومنذرين، فمن أطاعهم أفلح وفاز، قال - سبحانه -: (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [الأنعام: ٤٨]، ومن عصاهم خاب وخسر وعُذِب، قال - سبحانه -: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [الأنعام: ٤٩]، فالنار عذابه لمن خالفه، والجنة فضله لمن أطاعه.

وقد حاز رسلُ الله - عليهم السلام - الخُلُقَ الرفيعَ في العمل والمعاملة، فلا يسألون الناس أجرًا، ولا يطلبون متاعًا، قاموا بالرسالة حق القيام، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك" (رواه ابن ماجه).

وقال أبي ذر - رضي الله عنه -: "لقد تركنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكرنا منه علمًا" (رواه الإمام أحمد).

رسل الله - عليهم السلام - صبروا في الدعوة، وتحملوا الأذى، وأصيبوا بالجراح، ومنهم من قُتل، قال الله عن فعل اليهود: (فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ) [البقرة: ٨٧]، مثل تكذيبهم لعيسى ومحمد - عليهما السلام -، (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) [البقرة: ٨٧]، مثل قتلهم زكريا ويحيى - عليهما السلام -.

رسل الله - عليهم السلام - مكثوا في التبليغ دهرًا من الزمن، فنيت أعمارهم في هذه الغاية العظيمة، فنبينا - عليه السلام - مكث في الدعوة قرابة ربع قرن، ونوح - عليه السلام - مكث ألف سنة إلا خمسين عامًا، وتنوعت وسائل وأساليب وزمن الدعوة، فهي بالليل والنهار، والسر والجهار، دون أن ينظروا إلى كثرة الأتباع، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "عرضت عليَّ الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد" (متفق عليه).

وما من أمة إلا بعث الله إليهم رسولاً، قال - سبحانه -: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ) [يونس: ٤٧]، يبعث إليهم خاصة، قال - سبحانه -: عن نوح - عليه السلام - (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) [المؤمنون: ٢٣].

وكذلك بقية أنبياء الله - عليهم السلام - صالحٌ وشعيبٌ وهودٌ وغيرهم بُعثوا إلى أقوامهم خاصة، وأما نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعث إلى الناس عامة، قال - سبحانه -: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان: ١]، وفُضِّلَ النبي - صلى الله عليه وسلم - على الأنبياء -

عليهم السلام- بأنه "أرسل إلى الخلق كافة" (رواه مسلم).

وأخبر الله أن الغاية من مبعث الرسل -عليهم السلام- إلى أقوامهم إقامة الحجة، قال -سبحانه-: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) [النساء: ١٦٥]، فمن أطاعهم حصل له النعيم، ومن كابر وعاند ورد الحق فإن العذاب حال لا محالة، قال -سبحانه-: (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها غافلون) [الأنعام: ١٣١]، أي: لم يعذبوا حتى يبعث إليهم رسلاً يندروهم، وكقوله -سبحانه- (وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) [الإسراء: ١٥].

ولا يلقي في النار إلا من أرسل إليهم رسول فكذبوه، فخرزة النار تسأل الكفار (ألم يأتكم نذيرٌ * قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلالٍ كبيرٍ) [المملك: ٨-٩].

ونزول العذاب على الأمم المكذبة هو بحكمة من الله -عز وجل- على من استحقه، لا لأحد من الأنبياء له فيها تعجيل، فلما كذب وعاند المشركون النبي -صلى الله عليه وسلم- وطلبوا تعجيل العذاب، بين لهم أنه ليس بيده ذلك (قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيبي وبينكم) [الأنعام: ٥٨].

وكقول الله: (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسهن) [هود: ٨]، وقد قال قوم نوح لنبیهم مثل ذلك (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) [هود: ٣٢]، وكقول قوم صالح لنبیهم: (يا صالح اتتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) [الأعراف: ٧٧].

وعذاب الله لنزوله موعد ولو أبطأ، قال -تعالى-: (وما نُؤَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ) [هود: ١٠٤]، وإذا أمر الله به فإنه لا يؤخر، قال -سبحانه-: (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) [نوح: ٤].

وإذا كتب الله على قوم الهلاك فالعذاب قادم لا محالة، قال -سبحانه-: (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) [الحج: ٤٧]، وقال -تعالى-: (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) [هود: ٨].

وعذاب الله إذا نزل ليس للبشر في صده قوة ولا حيلة، (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) [المعارج: ١-٢]، ونزول عذاب الله قد يأتي بغتة دون مقدمات، (ولياتينهم بغتة وهم لا يشعرون) [العنكبوت: ٥٣]، أو بمقدمات (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون) [الأنعام: ٤٧].

وقد يأتي العذاب في الليل حال نومهم، أو في النهار حال لعبهم، قال -تعالى-: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف: ٩٧-٩٩].

وإذا نزل العذاب فلا يجدي الفرار والهرب، قال -سبحانه-: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَبُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) [الأنبياء: ١١-١٢]، فقالت الملائكة لهم: (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) [الأنبياء: ١٣]؛ فلما عاينوا العذاب قالوا: (يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء: ١٤]

ولا تنفع التوبة والرجوع عند نزول العذاب، قال -تعالى-: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) [غافر: ٨٤-٨٥].

وإذا نزل العذاب على الأمم المكذبة أهلك الجميع فلا ينجو منه أحد، قال -سبحانه- عن قوم لوط (أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) [الحجر: ٦٦]، أي: مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد، وإذا نزل العذاب بالأمة لم يبق لهم أثر، قال الله عن قوم شعيب: (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا) [الأعراف: ٩٢]، أي: كأن لم يعمروها وقيموا فيها زمناً طويلاً.

وأشكال العذاب على الأمم يتنوع كما يشاء -سبحانه-، لما نزل العذاب بأهل الأرض زمن نوح -عليه السلام- قال -سبحانه-: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) [القمر: ١١-١٢]، أو بالريح العاتية كقوم عاد (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) [الحاقة: ٧].

ومن قوة هذه الريح تقلعهم من الأرض المُنْدَسِّين فيها وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فتبين الرأس عن الجسد، كأنهم أعجاز نخل منقعر، وقد يعذب الله المكذبين بالصيحة العظيمة (فَأَمَّا ثَمُودُ فَاتَّبَعُوا أَمْرًا غَالِيًّا) [الحاقة: ٥].

وقوم لوط أرسل الله عليهم أنواعاً من العقوبات، قال -سبحانه-: (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) [الحجر: ٧٣-٧٤]، وهلاك فرعون بالماء لمن بعده آية، قال -سبحانه-: (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أُخِذًا أَعْيُنُهُمْ لِيُبْصِرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [القمر: ٤٢]،

وهكذا تتنوع العقوبات، (فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) [العنكبوت: ٤٠].

والمشركون إذا ركبوا البحر وتلاطمت بهم الأمواج وأوشكوا على الهلاك، دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون، فبين الله لهم قدرته في تعذيبهم في جانب البر مما يلي البحر بالخسف، أو يرسل عليهم حاصبًا، أو يعيدهم في البحر مرة أخرى فتغرقهم الأمواج (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) [الإسراء: ٦٨-٦٩].

ونزول العذاب عليهم جزاء تكذيبهم أنبيائهم: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ) [ص: ١٢-١٤].

وهناك أقوام بعد قوم نوح وعاد وثمود، وهم خلق كثير، كفروا وكذبوا الرسل، لم يذكرهم الله لنا، قال - تعالى -: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) [إبراهيم: ٩]

ويعذب الله الأقوام بكفرهم وتكذيبهم، وكذلك بأعمال مشينة ارتكبوها، قال شعيب لقومه: (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) [الأعراف: ٨٥]، وقال عن قوم لوط: (أَأِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ) [العنكبوت: ٢٩].

ثم اعلما أن كل الأمم السابقة الذين كذبوا أنبيائهم حلت عليهم العقوبات، واستثنى الله من الأمم كلها قوم يونس (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) [يونس: ٩٨]، قال البغوي - رحمه الله -: "فلما آمنوا أزال الله الخوف عنهم، وآمنهم من العذاب، ومنعهم إلى الأجل الذي أجل لكل واحد منهم".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية:

ذكر الله هلاك جملة من الأمم الغابرة، منها من أرادت بيت الله سوء، فحلت بهم العقوبة، وهم أصحاب الفيل، وتوعد الله من أراد بيته الحرام بسوء أو إلحاد بالعذاب الأليم في الآخرة، قال - سبحانه-: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) [الحج: ٢٥].

وكذلك من أراد بالمدينة أو بأهلها سوء، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع، كما ينماع الملح في الماء" (رواه البخاري)، وفي رواية مسلم: "من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله"، لذا فإن عذاب الله إن نزل عم وطم وأهلك".

قال - سبحانه-: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [هود: ١٠٢]، وقال الله عن قوم فرعون: (فَلَمَّا آسَفُونَا) [الزخرف: ٥٥]، -أي: أغضبونا- (فَلَمَّا آسَفُونَا) [الزخرف: ٥٥-٥٦]، سلفًا لِمَثَلٍ مِنْ عَمَلٍ بَعَمَلِهِمْ، وعبرة لمن بعدهم.

وقصص هلاك الأمم كان معلومًا لمشركي قريش لقربهم من أهل تلك الديار المكذبة حتى يأخذوا العبرة والعظة، قال الله عن قوم لوط وشعيب: (وَإِنَّهُمَا لِيَأْمَامٍ مُّبِينٍ) [الحجر: ٧٩]، فديارهم على ظهر الطريق الذي يمرون فيه المعبر عنه بالسبيل والإمام، ولما مر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالحجر - وهو لثمود قوم صالح - قال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قنع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي".

فكانت النهاية والنتيجة معهم ومع غيرهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) [إبراهيم: ١٣-١٤].

فالعاقبة والظفر دومًا لأوليائه؛ (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقال - سبحانه-: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة: ٢١]، وقال - عز وجل-: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [غافر: ٥١].

ثم اعلموا أن هذه الأمة ليست كالأمم السابقة فإذا نزل بهذه عذابًا لا تهلك جميع أمة محمد، وإنما يهلك من أراد الله له الهلاك، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي

قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة" (رواه مسلم).

فعلى المسلم أن يعتبر بأحوال الأمم السابقة، فيؤدي ما يوجب رضوان الله، ويتعدّد عما يسخط المولى - سبحانه -، فيؤدي الفرائض، وينتهي عن النواهي، ويقوم بحق الله في عباد الله على أتم وجه، ولا يغترّ بإمهال الله للمخالفين لأمره وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه؛ فصلوا عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

خطبة عيد الفطر

الخطبة الأولى:

الله أكبر (٩ مرات)

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله الذي جعل لنا في أيامنا عيداً، ووهب لنا فيه أجراً مزيداً، مَنْ به علينا بإكمال شهر رمضان. ووقفنا فيه بالصيام والقيام، والصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن، وسائر الأقوال والأعمال، فالحمد لله على صيامه وإتمام أيامه، فلك الحمد ربنا أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً.

ونصلي ونسلم على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: في يوم العيد تختلط الأفراح بالأتراح، وفي العيد يفرح من حفظ صومته، وقام بالعبادة لمولاه، ويندم من ضيعه ولم يقدره قدره.

رَحَل عَنَّا بعد أن عشنا أجمل أيام عامنا، طاعةً وعبادةً، وقربةً وإيماناً، في نهاره صياماً، وفي ليله قياماً، رَقَّت فيه القلوب للطاعات، وانصرفت النفوس عن الوقوع في الآثام، وعطفت النفوس فيه على المساكين، وبُذلت الأموال للمحتاجين، فيا الله ما أجملها من أيام، ويا الله ما أنفَسَهَا من ليالي. الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله الحمد.

مَنْ الله علينا بأعظم منة لولاها لما أدينا الواجبات، ولا انتهينا عن المحرمات، عبَدْنَا الخالق، وتراحمت الخلائق، هي نعمة الإسلام، فاحفظوا لهذه النعمة قدرها، فهي أساسُ بقاءِ بقيةِ النعم، قال -سبحانه- : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٤].

شَرَّفَكَ اللهُ بهذا الدين العظيم، فابذل له وقتك وجهدك ومالك في سبيل نشر تعاليمه السمحة، وشريعته الغراء، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" (رواه مسلم).

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله الحمد.

الإسلام يأمر بإخلاص العبادة، وينهى عن الشرك والبدعة والضلالة، يأمر بالمحافظة على الصلوات في الجماعة، حيث تجتمع القلوب والأبدان للقاء ربها خمس مرات في اليوم والليلة، قال الله -عز وجل-:

(حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: ٢٣٨].

فمن حافظ عليها فهو محفوظ، ومن ضيعها فهو خاسر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً وبرهاناً ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف" (رواه الإمام أحمد).

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

يأمر الإسلام بحسن الخلق مع القريب والبعيد، وخص منهم صاحبي الفضل والجميل، فقال -سبحانه- : (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء: ٢٤]، وقد فضل النبي -صلى الله عليه وسلم- برّهما على الجهاد في سبيل الله، سأل ابن مسعود -رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم-: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة لوقتها، قال: قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله" (متفق عليه).

في العيد تتقارب القلوب على المحبة، وتجتمع على الألفة والمودة، فرصة للتزاور والتهادي، ومجال رَحْب للتلاقي.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وسائر الأعمال.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الله أكبر (٧ مرات)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

شهر رمضان تصرمت أيامه، وطويت صحائفه، إلا أن العمر لا يزال فيه بقية، وقد ندبكم نبيكم -صلى الله عليه وسلم- لصيام ست من شوال "من صامها مع رمضان، كان كمن صام الدهر كله" (رواه مسلم).

وقد كان عمل النبي -صلى الله عليه وسلم- -دائمة- أي دائماً غير منقطع -إذا عمل عملاً حافظ عليه، وواظب عليه، وقد سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أي العمل أحب إلى الله؟ قال أدومه وإن قل" (رواه مسلم).

بعد شهر رمضان اجعل وِرْدًا تقرأ فيه كلامَ ربك، وركعاتٍ يسيرةً في كلِّ ليلة، واجعل لسانك رطبًا من ذكر الله، ويدك بالخير باذلة.

في خطبة العيد وجَّه النبي -صلى الله عليه وسلم- موعظةً خاصةً بالنساء، فهن عماد الأسرة، وساعدُ رئيسٍ في التربية والصلاح، فبصلاحهن صلاحٌ للأسرة وللمجتمع.

أمرهن رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بتقوى الله في أنفسهن وأزواجهن، وأن يحفظن حدودهن، "فمن صلَّتْ خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت" (رواه أحمد).

استمسي بحجابك، وليكن ساترًا، وربِّي من استرعاك الله عليه، فهي وقايةٌ، وحماية، وعبادة. أيام العيد أيامُ فرحٍ مباح، وسعادةٌ مشرقة، وإظهارٌ لشكر المنعم -سبحانه- بدون إسراف، ولا تبذير، ولا تباہ.

ابتهجوا بعيديكم، وأدخلوا السرور على والديكم، وصلُّوا أرحامكم، وأفشوا السلام، وأطعموا الطعام، تناولوا رضا الرحمن.

ومن هديه -عليه الصلاة والسلام- إذا كان يومُ العيد خالف الطريق بين الذهاب والإياب. أعاد الله علينا وعليكم من بركات هذا العيد السعيد، وحشرنا وإياكم في زمرة أهل الفضل والمزيد، تقبل الله منا ومنكم الصالحات.

صلوا وسلموا على رسول البرية.

خطبة عيد الأضحى

الخطبة الأولى:

الله أكبر (٩ مرات)

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

الحمد لله وفق من شاء من عباده لفعل الخيرات، وتابع لهم مواسم الأعمال الفاضلات، وحشهم على اغتنام الباقيات الصالحات، ووعدهم على ذلك وافر الأجر وجزيل الهبات، أحمده - سبحانه - على نعمه التي لا تعد، وأفضاله التي لا تحد، وأصلي وأسلم على خير عباد الله، محمد بن عبد الله، عليه وعلى آله وصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

أما بعد، أيها المسلمون: إن يومكم هذا يوم الحج الأكبر، وهو عيد الأضحى والنحر، يقضي الحاج فيه أكثر مناسك الحج، يرمون الجمر، وينحرون الهدي، ويحلقون رؤوسهم، ويطوفون بالبيت، ويسعون بين الصفا والمروة، فلذلك سمي يوم الحج الأكبر، فمعظم أعمال الحجيج في هذا اليوم المبارك تؤدي.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والل-ه أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

يومكم هذا سمي بعيد الأضحى والنحر، لأن الناس يُضَحُّون فيه وينحرون هداياهم، وما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من إراقة دم، وهذه الأضاحي سنة أبيكم إبراهيم ونبئكم محمد -عليهما السلام-، وهي سنة مؤكدة فقد "ضحى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكبشين، أملحين، قرنين، ذبحهما بيده وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما" (متفق عليه).

وبعد البسملة والتكبير يقول: اللهم هذا منك وإليك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في معنى منك -: "أي تفضلاً من رزقك وعطاياك، ومعنى إليك: أي تقريباً به إليك وحدك".

وَدَبَّحُهَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ بِثَمْنِهَا، لما فيها من إحياء السنة، والأجر العظيم، ومحبة الله لها، ويصح للمضحى إشراك من يريد في أضحيته من الأحياء أو الأموات.

وعلى المضحي أن يتحقق من أجزاء الأضحية، كسِنَّها حسب نوعها، فلإبل خمس سنين، وستان في البقر، وسنة كاملة في المعز، ونصف سنة في الضأن، وأن تكون سالمة من العيوب، فلا تجزئ العمياء، والعرجاء، والمريضة، والهزيلة.

وأن تقع في الوقت المحدد للأضحية شرعاً، وهو من الفراغ من صلاة العيد، إلى غروب الشمس من اليوم

الثالث بعد يوم العيد، وأفضلها يوم العيد، وكلما كانت الأضحية أكمل في ذاتها وصفاتها فهي أفضل، فكلوا منها، واهدوا، وتصدقوا، (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الحج: ٣٦].

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

الخطبة الثانية:

الله أكبر (٧ مرات)

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

في يوم عيد الأضحى تجلّت على الأمة النعم، قال -سبحانه-: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣]، أكمل الله لنا هذا الدين، وأتمّ علينا النعمة، وارتضى لنا هذا الدين.

ولن يُقبل من أحد دينٍ سواه، قال -سبحانه-: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران: ٨٥]، فهو دين شامل كامل، كامل من جهة عبادة الله، وكامل من جهة معاملة عباد الله، وصالح لكل زمان ومكان، واضاء بنوره أرجاء المعمورة، وتحقق ما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو ذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر" (رواه ابن حبان)، فعلى المسلم أن يتمسك به، ويدعو غير المسلم إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله الحمد.

في خطبة يوم العيد بيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- حرمة الدماء فقال: "إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادها مرارًا، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟" (رواه البخاري).

فبيّن في خطبته عظم حرمة دم المسلم، وعظم شأنه، بل وبين حقوقًا بين أفراد المجتمع، عامتهم

وخاصتهم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا - ربا عباس بن عبد المطلب - فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله" (رواه مسلم).

فعلى المسلم أن يراعي حقوقَ عبادِ الله، ويُحسِّنَ التعاملَ معهم.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله الحمد.

ثم اعلّموا عباد الله: أن أيامَ التشريقِ قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أيام التشريق أيامُ أكل وشرب وذكُرِ لله" (رواه مسلم)، فأكثرُوا فيها من ذكرِ الله بالتكبيرِ والتهلِيلِ، والتحميدِ في أدبارِ الصلواتِ وفي جميعِ الأوقاتِ.

واعمروا أيامكم بالطاعات، ورطبوا ألسنتكم بذكر رب البريات.

أعاد الله علينا أعيادنا بالأفراح والخيرات والمسرات.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
	مقدمة
	أركان الإسلام وأركان الإيمان
	أهمية الشهادتين
	فضل الصلاة
	أهمية أداء الزكاة
	فضل الصيام
	فضل العشر الأواخر من رمضان
	فضل أيام العشر من ذي الحجة
	فضل الحج
	أركان الإيمان
	القرآن الكريم
	فضل القرآن الكريم
	مراحل جمع وكتابة القرآن الكريم
	تأملات في سورة الفاتحة
	تأملات في آية الكرسي
	تفسير قوله - تعالى - (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)
	تفسير قوله - تعالى - (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)
	أصحاب الفيل
	أمور الغيب
	تفسير قوله - تعالى - (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)
	الأحاديث النبوية
	شرح حديث "إنما الأعمال بالنيات"

	شرح حديث "دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة"
	شرح حديث: "سبعة يظلهم الله في ظله"
	شرح حديث: "أيُّ العمل أحب إلى الله"
	شرح حديث: "أي الأعمال أفضل"
	شرح حديث "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا"
	شرح حديث "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس"
	شرح حديث المرأة السوداء التي تصرع
	شرح حديث "صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك"
	شرح حديث عبد الله بن سلام -رضي الله عنه-
	شرح حديث "من أصبح منكم اليوم صائمًا"
	فضل المساجد الثلاثة
	فضل مكة المكرمة
	فضل المدينة النبوية
	فضل المسجد الأقصى
	العبادات
	فضائل يوم الجمعة
	الإخلاص
	أهمية الدعاء
	التوبة
	من مواطن حمد الله
	الأسباب الجالبة لرحمة الله
	الاستقامة
	الاستحارة
	فضل الاستغفار
	أعمال صالحة أجرها مضاعف

	أسباب الاستمرار على العمل الصالح
	سير الأنبياء
	نوح - عليه السلام -
	إبراهيم - عليه السلام -
	موسى - عليه السلام -
	شُعَيْبٌ - عليه السلام -
	يُوسُفُ - عليه السلام -
	يونس - عليه السلام -
	أيوب - عليه السلام -
	الأحداث والسير
	الهجرة النبوية
	فضل الصحابة - رضي الله عنهم -
	سيرة خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
	سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
	سيرة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
	سيرة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
	سيرة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها -
	سيرة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها -
	سيرة أبي هريرة - رضي الله عنه -
	سيرة كعب بن مالك - رضي الله عنه -
	ذكر خبر فرعون
	قصة قارون
	يوم عاشوراء
	الغزوات
	عوامل النصر

	غزوة بدر
	غزوة أحد
	غزوة الأحزاب
	فتح مكة
	الأخلاق والرقائق
	بر الوالدين
	صلة الرحم
	أسباب السعادة
	الوفاء
	عيادة المريض
	الكرم
	البخل
	الصلاح
	الرفق
	الغضب
	داء الحسد
	الفأل
	متفرقات
	كمال الخالق وأفضل الخلائق
	العوامل الموجبة لمحبة الله
	الرؤى والأحلام
	أسباب تفريج الكربات
	الحقوق والواجبات
	عداوة الشيطان
	الفتن

	أنواع العلاج
	عقوبات الأمم السابقة
	خطبة عيد الفطر
	خطبة عيد الأضحى
	فهرس الموضوعات